كابوس الدمار النووى . وقد حاول الغرب أن يقلل من أهمية المبادرة الجديدة التى غير بها جورباتشوف وجه أمته وصورتها لدى العالم ، وأخفق فى كثير من محاولاته . ولكن ها هى جائزة نوبل تجىء مرة أخرى لتسلط الضوء لاعلى التيار الرئيسى فى الشعر الروسى ، وهو التيار الذى أنجز ــ حسب تعبير أثير للشاعر الانجليزى الكبير و . هـ . أودن ــ أعظم ما حققه الشعر فى عالمنا فى الثلث الأوسط من القرن العشرين ، وإنما على أكثر روافد هذا الشعر هامشية ونضوباً ، وهو التيار الشعرى الذى ينتمى إلى تراث المنافى ، وإلى حملات التشهير بالوطن الأم ، وطقوس تجريح كل إنجازاته وتضحياته .

والحق أن تجاهل التيار الشعرى الرئيسى فى الأدب الروسى الخصيب لن يغير هذا الأدب أو غيره وإنما يجنى على سمعة هذه الجائزة ، التى حادت عن الهدف الإنسانى النبيل الذى رسمه لها مؤسسها الفريد نوبل (١٨٣٣ - ١٨٩٦) قبل أكثر من تسعين عاماً . فقد أثرى نوبل من اختراعه المدمر للديناميت

دراسة

چوزيف برودسكى
واختيارات جائزة نوبل الغربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د. صبرى حافظ

ها هى جائزة نوبل تسفر مرة أخرى عن وجهها الغريب ، وتؤكد أن اختياراتها الأدبية ليست بأى حال من الأحوال من الخيارات الموضوعية المنزهة عن القصد ، وإنما هى أداة ماكرة فى ساحة الصراع الدائر بين الشرق والغرب . لأننا لا نستطيع أن نفصل فوز الشاعر الروسى المنشق جوزيف برودسكى بالجائزة هذا العام على غير توقع ، ودون أن يكون اسمه على قائمة المرشحين للفوز لعدة أعوام ، عن ضيق الغرب بالدور النشيط الذى يلعبه الاتحاد السوفيتى اليوم على الساحة العالمية ، والغربية منها على وجه أخص منذ صعود ميخائيل جورباتشوف للسلطة . فقد استطاع هذا الزعيم السوفيتى الجديد ، بسياسته «الانفتاحية» النشيطة أن يغير من صورة الاتحاد السوفيتى التقليدية ، أو فلنقل الشائعة ، فى أذهان الإنسان الغربى العادى الذى اكتشف فيه شعبا محبا للسلام ، راغباً فى بناء مستقبله وأمنه ، مخلصاً فى العمل من أجل تخليص الإنسانية من ثراءً فاحشاً . وأحس بندم شديد فى أخريات أيامه لأنه أطلق وحشاً رهيباً ، أعتى من كل الوحوش الأسطورية المخيفة من عقاله : وهو وحش التدمير الهائل ، الذى ما لبث ينمو ويتعملق ، منذ أن أطلقه الفريد نوبل من قمقمه . ويكتسب أنياباً نووية وليزرية جديدة . كان الفريد نوبل على حق فى إحساسه العميق بالندم والذنب ، لإطلاق هذا الوحش التدميرى الرهيب من عقاله . وكانت محاولته للتكفير عن هذا الذنب هى التى أدت إلى إنشاء جائزة نوبل ، التى أوقف عليها كل ثروته الهائلة ، وكرسها لمن يسهمون فى خير الإنسان ويعملون على إسعاده ، بغض النظر عن جنسياتهم أو دياناتهم . وقد أعلن نوبل بوضوح فى نهاية نص وصيته التى أنشئت بمقتضاها هذه الجوائز «إنها رغبتى الواضحة فى ضرورة ألا تكون هناك أية اعتبارات لقومية الشخص الذى يمنح الجائزة . ولابد أن يحصل عليها أجدر المرشحين لها سواء أكان

اسكندينافيا أم لم يكن» . وهكذا اراد نوبل أن تكون جائزته انسانية النزعة ، وأن تكون تجسيداً لإمكان طلوع الخير من شرنقة الشر ، فهل استطاع الخير حقاً أن يمحو الشرور التى فتح نوبل على الانسانية أبوابها ؟ .

بالقطع لا ، لأن الأكاديمية السويدية التى عُهد إليها بالاشراف على تنفيذ وصية نوبل ، ما لبثت أن حادت عن أهداف الجائزة . ولا شك أن حياد الجائزة عن هدفها أضر بالجائزة أبلغ الضرر ، وحولها من رمز نبيل للتكفير عن الإساءة إلى الانسان ، بإرهاف أسلحة الدمار المتاحة له ، إلى أداة فاعلة فى الحرب الباردة بين الشرق والغرب من ناحية ، وإلى رمز حى لعنصرية الغرب ، وضيق أفقه ، وانحصاره فى سجن مركزية الذات الغربية ، التى تتصور أنها صاحبة أرقى الحضارات ، لأنها صاحبة الحضارة المنتصرة فى الوقت الراهن من ناحية أخرى . ومن هنا فإن تجاهل الجائزة للتيار الرئيسى فى الشعر الروسى ، بعمالقته الكبار من أندريه فوزنيسينسكى ، ويفيجينى يفتشينكو ، وأناتولى بريلوفيسكى ، وبينلا أخمادولينا ، ويونا موريتس ، وفيكتور سوسنورا ، ويفيجينى فينكوروف ، وإيجور فولجين ، وبوريس سلوتسكى ، وغيرهم ، ومنحها لجوزيف برودسكى الذى يؤكد أصله اليهودى ، وجنسيته الأمريكية الجديدة انتماءاته الأيدولوجية ، ويؤكد معها العديد من الشائعات التى دارت حول الجائزة ، ليس بالأمر الجديد على جائزة نوبل للآداب . لأن من يتأمل تاريخ هذه الجائزة سيجد أنه يكرس ضيق أفقها . فقد سبق لها أن تغاضت عن عدد كبير من أعظم كتاب الغرب ومن أعلى الهامات الأدبية فى تاريخه المعاصر . وما ليو تولوستوى ، و د . هـ . لورانس ، و أبولونير ، و أنطون تشيخوف ، و جيمس جويس ، و مارسيل بروست ، و روبرت موزيل ، و ستيفان زفايج ، وفيرجينيا وولف ، و بيتر فايس ، و برتولت بريخت ، و هنرى جيمس ، وجوزيف كونراد و جرايام جرين (الذى نعرفه فى العربية خطأ باسم جراهام) ، إلا أمثلة قليلة من عشرات الكتاب الذين لم يفوزوا بالجائزة . بل إن أعظم كاتبين أنجبتهما الدول الاسكندينافية وهما هنريك أبسن النرويجى ، وأوجست ستر ندبرج السويدى لم ينالاها ، بينما حصل عليها ثلاثة عشر كاتباً اسكندينافيا من المغمورين ، لم يسمع العالم بهم بالرغم من حصولهم عليها . ويبرهن تاريخ الجائزة لمن يحتاج إلى برهان على أنها جائزة سويدية أولاً ، وأوربية ثانياً ، وغربية الهوى والمنزع أولاً وأخيراً . وأن الزعم بأنها جائزة عالمية فيه قدر من التجاوز ومقدار من الشطط . إذ تقدم لنا على أحسن تقدير ما يظن دهاقنة الثقافة السويدية ، أنه أفضل العناصر الأدبية المعاصرة . وهو ظن محكوم بمجموعة كبيرة من العناصر الموضوعية ، والمصالح الذاتية ، والانحيازات الثقافية أو الانفعالية أو التاريخية . ومحكوم قبل هذا كله بمنظور الرؤية الأوروبية ، ومنطق تفكيرها ، الذى يرى أن حضارتها هى الأنموذج ، أو المثال الانسانى الأعلى ، الذى يجب على الحضارات ، أو الثقافات الأخرى أن تحتذيه ، أو تدور فى فلكه ، أو تخضع لمعاييره القيمية والتقويمية على السواء .

من هذا المنطلق ، سويدية الجائزة أولاً وأوروبيتها ثانياً ، وغربيتها أولاً وأخيراً ، نستطيع أن نفهم الكثير من الألغاز والتناقضات التى صاحبت هذه الجائزة ، على مدى سبعة وثمانين عاماً ، والتى تبدو أوضح ما تكون فى جائزة الأدب خاصة . فمعيارية القياس والحكم فى العلوم الطبيعية ، والكيميائية ، والفسيولوجية ، والطبية ، أكثر دقة وموضوعية منها فى العلوم الانسانية عامة ، وفى الأدب خاصة ، فالأدب وثيق الاتصال بعالم القيم الاجتماعية ، والثقافية ، والاخلاقية ، مرتبط بالرؤى الحضارية والتصورات الفكرية والأيديولوجية الدفينة ، ومعبر عن المصالح القومية والسياسية . وهو لهذا قادر على الكشف عن الانحيازات التحتية والرؤى المخبوءة . فهو برغم سياسيته الواضحة غير السياسة . لأن السياسة مباشرة ، أما الأدب فمراوغ عريق . يستطيع المداراة على أكثر التحيزات السياسية المجوجة ، وتقنيعها بغلالات من الصور ، والخيالات ، والإيحاءات التى تؤثر بفاعلية تفوق كل مباشرة . كما أن الموقف الأدبى يستطيع أن ينطوى على الأيديولوجية السياسية ببراعة ومداراة يصعب كشفها أحياناً .

لهذا كله نجد أن الأدب هو المرشح الأول للكشف عن خبايا هذه الجائزة ، وتعرية اتجاهاتها الحقيقية . فمن بين أكثر من ثمانين كاتباً فازوا بجائزة نوبل على امتداد تاريخها المتصل منذ عام ١٩٠١ حتى الآن ، كان نصيب أكبر قارات العالم مساحة وتعداد سكان ، وأكثرها خصوبة حضارية ، وتعددا فى الثقافات ، وهى قارة آسيا جائزتين فقط : ذهبت أولاهما إلى طاغور البنغالى عام ١٩١٣ ، وكانت الثانية من نصيب كواباتا اليابانى عام ١٩٦٨ . ولم تحصل أفريقيا من قبل على أية جائزة لأن جائزة وول سوينكا فى العام الماضى كانت جائزتها الأولى . ولنتأمل هذا الجدول الصغير لنعرف منه توزيع جوائز نوبل للآداب بالنسبة لشعوب العالم وقراراته :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القارة	عدد السكان بالمليون	عدد جوائز نوبل للآداب
آسيا	٢٥٥٣	٢
أوروبا	٥٣٠	٦٩
أفريقيا	٤٨٣	١
أمريكا الشمالية	٣٧٩	٨
أمريكا الجنوبية	٣٥٥	٥
أستراليا	١٥	١

من هذا الجدول الاحصائى البسيط نجد أن شعوب آسيا وأفريقيا التى تضم ما يقرب من ثلاثة أرباع سكان العالم ، وعشرات اللغات والثقافات والحضارات لم تفز بغير جوائز ثلاث (بما فى ذلك جائزة سوينكا الذى يكتب بالانجليزية) بينما كانت بقية الجوائز من نصيب آداب اللغات الاوروبية التى تسود حضارتها وثقافتها القارات الأربع الباقية ، والتى يسكنها ما يزيد قليلاً على ربع سكان العالم . صحيح أن هذه الجوائز موزعة بين قارات أربع ، غير أن أمريكا الشمالية واستراليا ، ليستا إلا امتداداً للثقافة الانجليزية . أما أمريكا الجنوبية ، أو بالأحرى أمريكا اللاتينية ، فإنها امتداد للثقافة اللاتينية عامة والاسبانية خاصة . ولا ينفى القول بمسألة الامتدادات الثقافية هذه ، بأى حال من الأحوال ، خصوصية أدب كل أمة وتمايزه داخل إطار الثقافة الواحدة . ولكن كل ما يطمح إلى الاشارة إليه هو التأكيد على هيمنة منظور الثقافة الأوروبية الغربية على الجائزة ، ونفى صفة العالمية الزائفة التى تدعيها لنفسها ، لأن مؤسسها الذى حاد منفذو وصيته عن جوهر تلك الوصية النبيلة منذ أمد طويل ، أراد لها أن تكون جائزة للانسانية قاطبة . بل إننا لو تأملنا الأرقام التفصيلية للجائزة لتأكدنا من اسكندينافيتها ، أولاً وأوروبيتها ثانياً :

البلد أو الاقليم	السكان بالمليون	نسبتهم من سكان العالم	عدد الفائزين منها	نسبتهم
السويد	٨	٠٠,١٩ ٪	٦	٧,١٤ ٪
اسكندينافيا	٢٢	٠٠,٥٢ ٪	١٣	١٦,٥ ٪
اوروبا	٥٣٠	١٢,٧٠ ٪	٦٩	٨٢ ٪

من هذا البيان الاحصائى نجد أن السويد التى يسكنها ٠,١٩ ٪ من سكان العالم فازت بـ ٧,١٤ ٪ من الجوائز ، وأن أوروبا التى يسكنها ١٢,٧ ٪ من سكان العالم ، فازت بـ ٨٢ ٪ من الجوائز . وهذا ما يؤكد سويدية الجائزة أولاً ، ثم اسكندينافيتها ، ثم أوروبيتها . وهناك بالاضافة إلى هذا تحيز آخر ، هو تحيز الجائزة لأوروبا الغربية ، على حساب أوروبا الشرقية . وهذا التحيز متسق مع سويدية الجائزة وغربيتها . ليس فقط لأن السويد ، برغم حيادها الاسمى ، جزء من أوروبا الغربية ، ولكن أيضاً لأنها جزء من العالم الغربى الذى يقف من أوروبا الشرقية موقفاً عدائياً . فإذا ما تأملنا توزيع الجوائز الأوروبية بين المعسكرين فسنرى أن بلدان أوروبا الشرقية بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى التى يسكنها ٧٥ ٪ من سكان أوروبا لم تحصل إلا على ٩ جوائز (أى ١٣ ٪ من الجوائز الاوروبية) ، بينما فازت بلدان أوروبا الغربية التى لا يسكنها سوى ٢٥ ٪ من الاوروبيين بـ ٥٩ جائزة (أى ٨٧ ٪ من الجوائز الأوربية) . وهذا ما أعنيه بغربية الجائزة بالمعنى السياسى قبل المعنى الجغرافى . بل إن من حصلوا عليها من أوروبا الشرقية ، كان أغلبهم من المعادين مباشرة ، أو غير مباشرة للفكر الاشتراكى .

وقد سبق أن أتاحت لى المقادير أن أعيش لعامين فى السويد ، البلد الذى تمنح أكاديميته الملكية هذه الجوائز كل عام . وأن اتابع عن كثب مداولات هذه الأكاديمية ، وأشارك كأستاذ بأحد أقسام الأدب فى جامعة استوكهولم فى عمليات الترشيح ، وأتعرف على العناصر الفاعلة فى اختياراتها . وقد عرفت أثناء هذه التجربة أن ثمة اتجاهات فى الأكاديمية ترمى إلى الخروج بالجائزة قليلاً من دائرة هواء الأدب الغربى المكتوم ، والمغامرة بها فى آفاق بكر جديدة . والواقع أن الداعين إلى الخروج بالجائزة من نطاق الغرب ، الذى أسنت الجائزة فى أقبيته ذات الهواء الفاسد والمكتوم ، لا ينادون بأى حال من الأحوال بأن تتحول الجائزة كلية إلى جائزة لآداب «العوالم الأخرى» من آسيوية وعربية وأفريقية ولاتينية ، ولكن إلى تطعيمها كل حين ببعض نتاجات هذه البلاد الفتية أدبياً ، برغم تخلفها الاقتصادى ، وهوان بعضها السياسى . لأن هذا التطعيم لن يفتح الجائزة فحسب على آفاق ثرية بالعطاءات الخصيبة ، ولكنه سيعيد إليها سمعتها التى عانت فى السنوات الأخيرة من الأفول . وسيمد نفوذها إلى بلدان هذا العالم ، فتزداد بذلك أهميتها ، ويتسع نطاق تأثيرها . لكن تلك الاتجاهات ، برغم اعتدالها الواضح ، تلقى معارضة شديدة من العناصر المحافظة بالأكاديمية ، والتى ترى أن البقاء فى دائرة الثقافة الغربية المغلقة قد يحمى الجائزة من عواصف لا تعرف كيف تواجهها . وقد يضر هواؤها المنعش بصحة القائمين على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمر الجائزة المضعضعة ، وجلهم من العجائز الذين تدهورت قدرتهم على مواجهة الجديد ، وتحنطت رؤاهم فى قوالب جامدة لا يستطيعون لها فراقاً .

ويتزعم الاتجاه الأول داخل الأكاديمية الكاتب السويدى المرموق آرتر لوندكفيست الذى يعد برغم تجاوزه السبعين من اعلام التجديد والإبداع فى الواقع الثقافى السويدى . ليس فقط لأنه شارك فى الحركة السيريالية فى أيام شبابه الباكرة ، وواصل الإخلاص للتجريب والابداع بعدها ، أو لأنه كان طاقة ثائرة لا تعرف الحدود ولا المهادنات معظم حياته ، ولكن أيضاً لأن مغامراته المستمرة مع الكتابة تتسم بالخصوبة والتجاوز الدائم لكل انجازاته السابقة . ولأن روح الثورة وجذوة المغامرة فى الأصقاع المجهولة لا تزال حية ومتقدة فى أعماقه . فقد أصيب بالمرض منذ سنوات قلائل وبقى فى خيمة الإنعاش الطبى لعدة اسابيع ، حتى أوشك الجميع أن يعدوه فى زمرة الأموات . لكنه ما لبث ، بعد أن تجاوز هذه المحنة المرضية ، أن حولها إلى تجربة فنية شائقة وجديدة . سجل فيها فانتازيا مواجهة الموت ، وكوابيس الحياة على شفا حفرة منه ، وأضغاث الأحلام التى أطلقت حقن المخدرات عنانها ، وسمادير الغيبوبة المستمرة فى غياهب أدغال الأجهزة الطبية ، وتحت رحمة أنابيبها الخؤون . وحظى العمل باهتمام القراء والنقاد على السواء ، وقال عنه بعضهم إنه من أجل أعمال لندكفست قاطبة . وهذا فى ذاته أمر نادر لأن معظم الكتاب لا يستطيعون تجاوز أعمالهم الأولى بعد سن الخمسين ، وهيهات أن يستطيعوا الحفاظ على مستواهم بعد السبعين ، ناهيك عن تجاوز هذا المستوى . ومن الذين يؤيدون اتجاه لوندكفيست أو ستين شوستراند (رئيس تحرير مجلة آرتز) ، وشيستين إكمان ، ويوهان إدفيلديت وغيرهم .

أما التيار المحافظ المضاد فيتزعمه لارش يلينستين سكرتير الأكاديمية ، وهو واحد من توميسارية الأدب الذين لم يعرفوا اللمعان الحقيقى ، ولم يحظوا بتألق الموهبة ، ولذلك يكرسون معظم طاقتهم للحصول على المناصب الادارية ، لا إبداع الأعمال الأدبية الجيدة . ويستغلون فرصة أن الأدباء الحقيقيين يحققون أنفسهم فى الأعمال الابداعية ، ويعزفون عادة عن المناصب الادارية ، فيقفزون إلى سدنة المناصب بنفوس مشحونة بالحقد على أصحاب المواهب الحقيقية ، ويتذرعون بمعرفة اللوائح ، وحفظ القوانين ، ليحققوا بالادارة شيئا من النفوذ الذى عجزوا عن تحقيقه بالكتابة والابداع . بل ويستمتعون بمعارضة الأدباء الحقيقيين الذين أخفقوا فى تحديهم فى ساحة الأدب ، فتذرعوا بصولجان السلطة للتشفى فيهم ، وكسب المعارك ضدهم ، علهم يعوضون بذلك خسارتهم للمعركة الأصلية ، معركة الكلمة والابداع . ولذلك كان من الطبيعى أن ينادى الكاتب الحقيقى بأن تسعى الجائزة إلى استشراف آفاق بكر جديدة ، لأن الأدب نفسه استشراف مستمر لمجالات لم يسمع فيها وقع لقدم بشرية من قبل . وكان من المتوقع أن يتمسك توميسار المؤسسة باللوائح والسوابق التاريخية المأمونة العواقب .

وقد ترك تصارع هذين التيارين داخل الأكاديمية السويدية ميسمه على مسار الجائزة ، وأثر ولا شك على سمعتها ، وأدى إلى تذبذب اختياراتها ، بين الكتاب الذين يعدون كسباً حقيقياً للجائزة ولجمهور عشاق الأدب الذين يريدون أن تكون الجائزة نافذة حقيقية على ابداعات الأدب الانسانى ، وبين الاختيارات الكسولة المأمونة ، التى تفيد من يفوز بها وحده على حساب الجمهور والجائزة معاً . فبعد جارسيا ماركيز منحت الجائزة لوليام جولدنج . وكان هذا هو العام الذى انفجر فيه لوندكفيست على غير العادة ، وأعلن اعتراضه الشديد على الهبوط بالجائزة إلى تلك الخيارات العقيمة . وبعد كلود سيمون ها هو تيار لوندكفيست يفوز من جديد ، ويخرج بالجائزة إلى ربوع القارة الافريقية العذراء ، ويقدمها إلى كاتب جدير بها حقاً . كاتب يستطيع أن يعيد من جديد الإيمان بالجائزة إلى الذين تصرفهم عن احترام خياراتها تصرفات يلينستين ، وأشباه يلينستين ، من متوسطى القيمة ، ومحدودى الأفق . ولولا هذه الانتصارات ، بين الحين والآخر ، لأصحاب الرؤية النافذة ، والبصيرة الأدبية الشفافة ، على أصحاب المكاتب ومراعى الاعتبارات السياسية ، وأسيرى الرؤى التقليدية والنزعات العرقية المحنطة ، لفقدت الجائزة كل أهميتها منذ زمن بعيد .

ويبدو أن الاتجاه الأول الذى يتزعمه داخل الأكاديمية آرتر لوندكفيست قد فاز بجائزة العام الماضى عندما أقنع الأكاديمية بمنحها للمرة الأولى لكاتب أفريقى . ومن هنا فإن الاتجاه التقليدى المحافظ والذى يتزعمه لارش يلينستين سكرتير عام الأكاديمية ، وشتور الآن ، سكرتيرها الدائم ، قد عاد من جديد هذا العام ليفرض على الأكاديمية اختياراته السقيمة . وكأنه يقول للاتجاه الآخر واحدة لكم وواحدة لنا . بل إن إمعان التيار التجديدى فى اختيار كاتب أفريقى فى عام الانتفاضات الأفريقية السوداء ، هو الذى دعا التيار التقليدى المحافظ إلى الإمعان فى الشطط هو الآخر واختيار هذا الشاعر الروسى المنشق ، ومتى ؟ فى عام تألق المبادرات السلامية السوفيتية ، بالرغم من أن هناك من هو أكبر وأعظم منه من الشعراء الروس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعاصرين . ويبدو أن شطط هذا الاتجاه قد صادف هوى لدى بعض أعضاء التيار الأول الذين ينادون بأن يكون الفائز صغير السن مشهوراً ، وأن تتخلص الأكاديمية من الفائزين الشيوخ المغمورين الذى أساءوا إلى سمعتها فى السنوات الأخيرة . إذ يعتبر جوزيف برودسكى من هذه الناحية ثانى أصغر فائز بالجائزة منذ إنشائها ، فلم ينلها حتى الآن كاتب فى هذا العمر ، إلا البير كامى الذى كان فى الرابعة والأربعين عندما فاز بها عام ١٩٥٧ . فمن هو هذا الجوزيف برودسكى ، الذى أراد التيار المحافظ داخل الأكاديمية أن يطرحه على الرأى الأدبى فى مقابل فوز سوينكا بها فى العام الماضى ؟

ولد يوسف الكسندرفيتش برودسكى (الذى اصبح يعرف باسم «جوزيف برودسكى» عقب هجرته إلى أمريكا) فى الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٤٠ فى منطقة لينينجراد ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، لأسرة يهودية استطاعت الإفلات من الاضطهاد النازى بسبب بسالة الجيش السوفيتى فى التصدى للزحف الهتلرى . وكان أبوه مصوراً صحفياً حسب الرواية الأولى التى عرفها العالم قبل خروجه من روسيا ، وإن قال هو بعد خروجه معدلاً تلك الرواية حتى يستخدمها فى الدعاية من أجل استدرار الشفقة على اليهود ، إنه كان يعمل بالبحرية الروسية ، وقد أحيل للتقاعد وفق بعض القواعد التى تحول دون اليهود والوصول إلى بعض الأماكن الحساسة فى الجيش . لم يتمكن يوسف من إكمال تعليمه ، لأنه توقف عن التعليم سن الخامسة عشرة ، وعمل عاملاً ثم وقاداً فى إحدى «يحاراً ، وعمل كذلك مصوراً ومساعداً جيولوجياً ، و «مرمطونا» فى المشرحة من أجل إشباع رغبته ، التى استحوذت عليه زمناً ، فى أن يصبح جراحاً للأعصاب ، فقد أتاحت له هذه الوظيفة أن يساعد أطباء التشريح فى فتح جماجم الجثث الميتة وتشريحها ، وهو أمر أقرب ما يكون إلى جراحة الأعصاب التى لا طاقة له بها بسبب انصرافه المبكر عن مواصلة التعليم .

وأثناء قيامه بهذه الأعمال جميعاً كان ينمى معارفه الناقصة ، فقد كان يوسف برودسكى قارئاً نهماً ، شغوفاً منذ البداية بقراءة الشعر ، والتمرن على إلقائه ، إذ حرص من البداية على تطوير موهبته فى الإلقاء الشعرى ، وهو الفن الذى تعلم أسراره من الشاعر الروسى الشهير يفجينى يفتشنكو . وقد بدأ برودسكى فى تلك الفترة أيضاً تعلم مجموعةمن اللغات الأجنبية ، فدرس الانجليزية والأسبانية والبولندية . ولنستمع إليه وهو يحكى عن تلك الفترة فى المقابلة التى أجرتها معه صحيفة «الهيرالد تريبيون» الأمريكية فى ٢٣ أكتوبر ١٩٨٧ يقول : «إنه منذ طفولته كان يجلس فى الفصل محاولاً تجنب نظرة لينين ، التى تحدق فيه من حائط كل فصل ، وفى إحدى الصباحات الشتائية ، وكان ما يزال فى الخامسة عشرة ، غادر الفصل ولم يعد إليه أبداً . فقد حان الوقت لكى يبدأ تعليمه هو بقراءة كلاسيات الأدب الروسى والانجليزى . (لاحظ أنه يحرص على ذكر الاثنين) وكان كتابه المفضلون هم دستويوفسكى وأودن ورويرت فروست . وفى تلك الفترة الباكرة من حياته أخذ يتعلم البولندية لكى يستطيع ترجمة تشيسلاف ميلوتز» . ولابد أن نتريث قليلاً عند تلك الإشارة ، لأنها تنطوى على مفاتيح باكرة لاتجاهاته الفكرية . ذلك لأن ميلوتز ، الشاعر البولندى المنشق والمهاجر إلى أمريكا أيضاً والفائز بجائزة نوبل عام ١٩٨٠ ، كان مثل برودسكى الأعلى منذ بواكير حياته . فقد ترك هذا الشاعر بولندا إلى باطيس عام ١٩٥١ ، بعد أن كتب كتابه الشهير (زينزلزنى) أو (العقل المسلوب) ضد (الستالينية ونشره فى باريس عام ١٩٥٣ ، ثم استقر بعد ذلك فى أمريكا منذ عام ١٩٦١ ، حيث يعمل الآن أستاذا للدراسات السلافية بجامعة بركلى ، ومن كتبه (عالم الوطن) و (وادى عيسى) و (الامبراطور والأرض) . ومن هنا كان برودسكى يطمح منذ بواكير حياته الأدبية إلى السير فى الطريق المفضى إلى الغرب . لذلك أخذ يتعلم الانجليزية حتى يستطيع ترجمة جون دن كما يقول ، ومن أجل أن يجهز نفسه لمشروع الخروج إلى أمريكا كذلك .

* * *

كانت تلك الفترة الباكرة فى حياته هى فترة التكوين على عدة محاور ، وكان أهم هذه المحاور بالقطع هو محور الشعر . إذ بدأ يكتب الشعر وهو ما يزال فى الثامنة عشرة وبدأ فى نشر هذا الشعر قبل أن يبلغ العشرين إذ ظهرت قصائده الأولى فى بعض الصحف العمالية . فالتفتت إلى موهبته الشاعرة الروسية الكبيرة أنا أخماتوفا ووجهته إلى قراءة عيون الشعر الروسى والعالمى على السواء . كما أوصته بالرحيل فى فيافى روسيا الأم وتشرب مختلف ألوانها وثقافاتها . ولذلك آثر الرحيل داخل بلاده على دراسة الأدب المنظمة . ويبدو أن فكرة الارتحال صادفت هوى فى نفسه لأنه كان نشيطا فى حركة الدعوة اليهودية إلى الهجرة من الاتحاد السوفيتى . وقد أدى به هذا النشاط إلى الاعتقال عام ١٩٦٤ . وإن كانت له رواية أخرى فى هذا الصدد . إذ يقول إنه فى عام ١٩٦٣ أدانته صحافة لينينجراد وهو فى الثالثة والعشرين على أنه متطفل أدبى يفسد شعره الاباحى والمعادى للحياة السوفيتية الشباب . وكان على الشاعر أن يرعوى بعد تلك الإدانة ، ولكنه واصل استفزازاته الشعرية التى استهدفت لفت الأنظار إليه . وفى عام ١٩٦٤ حوكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحكم عليه قاض سوفيتى بالعمل خمس سنوات فى إحدى مزارع الدولة فى منطقة أرخانجيليسك فى شمال روسيا . وكان يقطع الأحجار ويكوم الروث أثناء النهار ، وفى الليل يقرأ أشعاراً من مجموعة مختارات من الشعر الانجليزى والأمريكى . ويقول متذكرا تلك الفترة فى حديثه الذى أشرت إليه من قبل «لقد كنت سعيدا فى أرخانجليسك ، لأننى كنت قبل ذلك أعيش فى مجمع للشقق ، ووسط الناس ، ولا أريد أن يساء فهمى عندما أقول إننى كنت سعيداً أن أعيش وحيداً فى عزلة عن الناس» . وبعد ثمانية عشر شهراً من البقاء فى معسكر العمل ذاك ، دفعت احتجاجات الكتاب السوفييت ، والكتاب الاجانب ، الحكومة إلى السماح له بالعودة مرة أخرى إلى لينينجراد .

لكن برودسكى لم يكن يريد البقاء فى لينجراد ، حيث سيكون موضع مقارنة مع شعراء بلده الآخرين الذين لايصل إبداعه بأى حال إلى مستوى إنجازاتهم ، بل كان يبحث عن أضواء الشهرة السريعة ، وقد زودته مسألة الاعتقال بجواز المرور المطلوب ، ولم تبق إلا مسألة استخدام الورقة اليهودية التى سرعان ما تهادت إليه عندما تلقى دعوتين منفصلتين للهجرة إلى إسرائيل . وفى عام ١٩٧٣ ، وفى ٤ يونيو ١٩٧٣ بالتحديد ، وضع على طائرة مليئة باليهود إلى فيينا ، وهناك قابله كارل برنر ، مؤسس دار «آردس» للنشر (وهى دار تنشر النصوص الروسية للاستهلاك الغربى) وأستاذ الأدب الروسى فى جامعة آن آربر ، (ميتشيجان) الذى دبر له لقاء مع و . هـ . أودن ، ووظيفة فى «آن آربر» كشاعر مقيم . والحق أنه لولا ميول برودسكى الأيديولوجية المعادية فى جوهرها للفكر الاشتراكى لما تعرض لما قال إنه تعرض لمتاعب فى الاتحاد السوفيتى ، ولما سمح له بالهجرة منه فى يونيه عام ١٩٧٣ . وهى الهجرة التى لا نعرف بالدقة الظروف التى حدثت فيها ، لأنه يزعم أن السلطات هى التى طلبت منه أن يقدم طلباً للهجرة ، فلما فعل وافقت على طلبه على الفور . وثمة رواية أخرى تعزو هجرة برودسكى إلى نشاطه اليهودى ، مع أنه ككثيرين من اليهود السوفييت لم يهاجر إلى دولة الكيان الصهيونى ، ولكنه آثر البقاء فى نيويورك . وهناك واصل كتابة الشعر والنقد باللغة الروسية ، وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٧٧ فور انقضاء السنوات الخمس على وصوله إلى الولايات المتحدة حسب مواد القانون الأمريكى . ولوكان برودسكى رافضاً للهجرة من الاتحاد السوفيتى كما يزعم ، أو وثيق الارتباط بوطنه بأى شكل من الأشكال ، لما سارع بالحصول على الجنسية الأمريكية فور إكمال المدة القانونية . ولما حرص على أن يؤكد فور فوزه بالجائزة بأنه فخور بالفوز كروسى وكأمريكى فى وقت واحد ، مما يؤكد ازدواجية الرسالة السياسية فى اختياره لهذه الجائزة من ناحية ، ورغبته فى إبراز تلك الرسالة من ناحية أخرى .

والحق أن الأكاديمية السويدية حرصت هى الأخرى على أن تبرز ازدواجية تلك الرسالة فأشارت فى حيثيات اختياره إلى هذه الطبيعة المزدوجة للشاعر عندما أشادت بالتزامه بفنه (لا حظ أن الالتزام الذى يستحق الإشادة هو الالتزام بالفن ، وليس بقضايا الوطن أو هموم الشعب) وأشارت كذلك إلى أنه زج به فى معسكرات الاعتقال بسيبيريا عندما كان شاعراً شاباً فى لينينجراد بتهمة «الطفيلية» (وكأن السجن قد أصبح من مبررات الترشيح لتلك الجائزة الأدبية الكبيرة) ، وأجبر على ترك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٢ ، وأمر الإجبار هذا أمر مشكوك فيه . ومع هذا يصر السيد شتور آلان ، سكرتير الأكاديمية الدائم ، على أن اختيار الاكاديمية لا ينطوى على أية رسالة ضمنية موجهة للاتحاد السوفيتى . وتشير ملاحظة الأكاديمية إلى تلك الحدة واللمعان والكثافة فى شعره المكتوب بالروسية ، وإلى سيطرته على اللغة الانجليزية والمصطلح الانجليزى وخاصة فى مجموعته (تاريخ القرن العشرين) التى ظهرت بالانجليزية عام ١٩٨٦ ، وكذلك إلى مجموعة المقالات التى نشرها بالانجليزية كذلك بعنوان (أقل من واحد) وهذه من المرات النادرة التى تشير فيها الأكاديمية إلى مقالات الكاتب ، لأنها تهتم عادة بأعمال الكتابة الإبداعية . لكن الحالة هنا ليست مجرد تغيير العادة الجارية ، بل توجيه الانتباه إلى مقالات الكاتب التى تنطوى على رؤاه السياسية المباشرة . ولا ينفك الكاتب نفسه يؤكد تلك الرؤى ، فيقول فى تلك المقابلة التى أجرتهامعه (الهيرالد تريبيون) : «إننى مشوق إلى أن أرى أصدقائى فى لينينجراد ، ولكنى أفضل أن يجيئوا هنا لزيارتى . إننى لا أومن بهذا البلد بعد الآن ، ولا تهمنى أموره ، إننى أكتب بلغته ، وأنا أحب تلك اللغة . وعندما جاء توماس مان إلى كاليفورنيا سألوه عن الأدب الألمانى فأجاب : إن الأدب الألمانى حيث أكون . وهذا فى الواقع تصريح فيه شىء من العظمة ، ولكن إذا كان باستطاعة ألمانى أن يصرح به ، فإن باستطاعتى كذلك أن أفعل» .

وأذا تغاضينا عما فى هذه الملاحظة من غطرسة كاذبة ، وعدنا إلى حديثنا عن هذا الكاتب الغريب الذى أرادت الأكاديمية السويدية أن تلفت أنظار العالم إليه ، رأينا أنه نشر فى نفس العام الذى حصل فيه على الجنسية الأمريكيةديوانه الذى كتبه فى روسيا (نهاية عصر جميل) لأول مرة فى أمريكا . ثم واصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتابة بعد ذلك فنشر دواوين (شيء من الكلام) و (يورانيا) و (قصائد مختارة) وغيرها من الدواوين التي ترجم بعضها إلى الانجليزية بمشاركة من الشاعر نفسه . ذلك لأن برودسكي يكتب النقد والمقالات باللغة الانجليزية الآن وله عدة كتب في هذا المضمار . ويرى برودسكي «أن القصائد والروايات تنتمي للثقافة ، للأمة جمعاء . فقد اغتصبت تلك الأعمال والأفكار والرؤى من الناس وها هي ، بفعل الكتابة نفسه ، ترتد إلى أصحابها الأصليين ، ولا أظن أن على هؤلاء الأصحاب الأصليين أن يشعروا بالامتنان لتلقيها» . ولكنه يجد مع ذلك «الشجاعة» ولا أريد أن أقول الصفاقة ليعلن أنه هو والأدب الروسي شيء واحد . وربما فسرت لنا تلك الصفاقة ملاحظة دافيد ريمنيك الذي أجرى معه تلك المقالة المذكورة بأنه قد يساعد المهاجرين الروس إلى أمريكا ، ولكنه حريص على أن يعرقل وصول أي منهم إلى شهرته ، فقد أوصى أحد الناشرين بعدم الاهتمام برواية (الاحتراق) لناسيلي أكسينوف . وكأنه لا يريد ألا يكون ثمة أدب روسي خارج عالمه الأدبي المحدود والمسيج بأنانيته وإحساسه الغريب بالمركزية .

وإذا تركنا هذا كله وحاولنا التعرف على عالمه الأدبي ، أو بالأحرى الشعري المحدود ذاك ، فسنرى أن شعره يتسم بالمزج بين العناصر المستقاة من شعر أندريه فوزنيسينسكي (١٩٣٣ -) وبين العناصر الميتافيزيقية التي تتجلى بأوضح صورها في شعره الغنائي ، وفي شطحاته التأملية . وحينما أشير هنا للعناصر المستقاة من فوزنيسينسكي ، فإنني أود أولاً أن أرد الفضل لذويه ، لأن هذا الشاعر الروسي الكبير هو الذي فجر مؤامرة الشعر في الاتحاد السوفيتي في مطالع الستينات ، وهو الذي أعاد للشعر مكانته الجماهيرية الكبيرة ، وخلصه من السذاجة والشعارات والصياغات المحفوظة ، ورد له روحه الروسية النقية التي طمرتها التعاليم الحزبية ، واستلت روحها التعليمات السياسية المباشرة . وهو أبرز شعراء هذا الجيل وأوفرهم بلورة للروح الشعرية الجديدة التي تلقى عليها برودسكي أول دروسه الشعرية الحقيقية ، قبل مغادرته لروسيا الأم . ويتسم شعر فوزنيسينسكي بتهشيم التتابع المنطقي التقليدي للأشياء ، وعدم الاستعاضة عن هذا التتابع بأي نوع من التداعيات ، بل بخلق علاقات جديدة بين الأشياء والكائنات ، تتحول فيها الأشياء الجامدة إلى كائنات حية تنبض وتتحرك ، بينما تتحول الكائنات في بعض الأحيان إلى أشياء جامدة . وخلال عملية الاستلاب هذه يبني الشاعر قصيدته . وهي كقصيدة تعيش مغامرتها داخل اللغة حيث تكتسب كل العناصر اللغوية ، من جرس واشتقاقات ، وتنغيم ودلالات ، طاقات تعبيرية جديدة من خلال التساوق المستمر والمعقد بين هذه العناصر جميعاً ، وكأننا أمام عمل معماري بالغ الإحكام الهندسي . ولا غرو فقد درس فوزنيسينسكي الهندسة المعمارية .

وقد تعلم برودسكي منه كل هذه الخصائص ، وتعلم منه بشكل أخص هذا الانشغال العميق باللغة ، إذ يقول في تلك المقابلة : « إن اللغة هي منزلي ، وهي ما أعيش من أجله . إن ما يحفزني حقاً للعمل ، بل وللحياة هو إحساسي باللغة الروسية ، إنها تعيش حياتها الخاصة في داخلي وتطفو إلى السطح في بعض الأحيان وفق منطقها الممتع الخاص» ، بل إنه عندما كتب رسالته المعروفة ــ ضمن ألعاب الحرب الباردة ــ إلى بريجينيف ركز فيها أيضاً على هذه المسألة عندما قال : «عزيزي ليونيد إليتش : إن اللغة من أي معيار من معايير من الدولة ، وأنا أنتمي إلى اللغة الروسية ، ومع أنني أفقد مواطنتي السوفيتية ، فإنني لا أكف عن أن أكون شاعراً روسياً ، وأعتقد أنني سأعود يوماً» . لكن هل الشاعر الروسي شاعر في الفراغ ؟ هل هو شاعر لغة مجردة من التواريخ والدلالات ؟ أم أنه شاعر لغة يعيشها شعب ، لغة لها محتواها الفكري والاجتماعي ، ووظيفتها التوصيلية والأيديولوجية ؟ لكن تلك قضية أخرى كما يقولون . المهم هذا الاهتمام باللغة أخذه برودسكي عن الشاعر الروسي الكبير أندريه فوزنيسينسكي ، وطعمه بحس مأساوي نابع من تجربته الإنسانية الخاصة كلاجيء ومغترب أبدي ، يستفيد في هذا المجال من احساس بيكيت الدائم بأن الحياة البشرية تعاني من إجداب قارس البرودة على الصعيدين الروحي والوجداني . استمع إلى مقطع من قصيدته الطويلة «مرثية جون دون» .

جون دون نام ، كل ما حوله نام/نامت الجدران ، والأرض . والسرير ، والصور/نامت الطاولات ، والمزاليج ، والسجاجيد ، والخطاف/ومقصورة بما فيها ، وخزانة ، وشمعة ، وستائر/كل شيء نام ، القناني ، والكؤوس . وأحواض المياه/والخبز ، وسكينة الخبز ، والخزف ، والبلور ، والصحون/ونواصة الليل ، وخزائن الملابس ، والثياب الداخلية ، والزجاج/والساعات ، والأبواب ، والخطى على الدرج/الليل في كل مكان/في كل مكان الليل/في الزوايا ، في العيون ، في ملاءات الأسرة ، بين أكداس الورق ، في الطاولات ، في خطة مجهزة/في كلماتها/في الحطب ، في الملاقط ، في الفحم في موقد بارد/في كل شيء . .

ويستمر الشاعر في أكثر من مائتي بيت في رصد مظاهر النوم ، والليل السادر ، والصمت الرازح بصورة تستحيل معها

القصيدة إلى عالم بأكمله ، ينطوى على الحاضر والماضى ، على الواقع والحلم على الكون والأبدية . لكن اختيار الشاعر لموضوعه ، واهتمامه بتجسيد فداحة الليل الشامل الذى يلف الكون ، والإشارة المتكررة إلى الليل الرازح ، وإلى الخطب المجهزة وكلماتها التى تنضح بالليل ، هو ما يجعل لشعره مثل هذه الأهمية السياسية فى الغرب الذى يريد أن يصور روسيا بأكملها كعالم ليلى ، يشهد أبناؤه بفداحة الكابوس الرازح فوقه . لأن اللعب فى تلك المنطقة الحرجة من الصراع بين الشرق والغرب هو الذى يضمن للشاعر المنشق الشهرة ، وجائزة نوبل .

ومع ذلك لا أريد أن يفهم من هذا أنى أقول إن برودسكى شاعر ردىء أو معدوم القيمة الأدبية ، فالأكاديمية السويدية أذكى من ان تمنح جائزتها المجزية لشاعر ردىء لا قيمة له . ولكن هناك الكثيرين من الشعراء الذين يماثلونه جودة ، وهناك من يفوقونه موهبة وإنجازاً فى مجال الشعر الروسى نفسه ، ومن هنا فإن اختياره هو دونهم جميعاً ، هو الذى يدعونا إلى التساؤ ل ، وإلى التنقيب عن الأسباب التى دفعت الأكاديمية إلى تفضيله عليهم . ولا أريد أيضاً أن يبدو للقارىء أننى أحمله وزر اختيار الأكاديمية له ، لأنه هو حريص على أن يرسم موقفه الفكرى والأيديولوجى بأعلى قدر من الوضوح . ليس فقط من خلال مقالاته أو سيرته الذاتية ، ولكن حتى من خلال تأكيده على نوعية الشجرة الشعرية والأرومة الأدبية التى ينحدر منها فى الأدب الروسى . فعندما يسأل عن الشعراء الذين تأثر بهم فى الأدب الروسى ، فإنه لا يذكر فوزنيسينيسكى الذى أخذ عنه الكثير من الرؤى والتقنيات ، ولا حتى يفتشينكو الذى تعلم منه فن الإلقاء الشعرى ، واستفاد من تكنيكه فى حسن الالتفات ، والنقلات السريعة ، والضربات اللفظية البارعة ، ولكنه حريص على أن يذكر أوزيب مانديلستام (١٨٩١ - ١٩٣٨) الشاعر اليهودى الذى مات فى ظروف غامضة إبان العهد الستالينى ، ومارينا تسفيتاييفا (١٨٩٢ - ١٩٤١) الشاعرة الروسية التى هاجرت إلى أوروبا الغربية فى أعقاب الثورة ، والتى كرست قصائدها لتمجيد جيش الروس البيض فى نضاله ضد فيالق البلاشفة ، وبوريس باسترناك (١٨٩٠ - ١٩٦٠) الذى لا يعرفه الغرب إلا متمرداً على النظام السوفيتى فى (الدكتور زيفاجو) ، ليؤكد لنا أنه ينحدر من أصلاب هذا الخط المتمرد على الثورة الروسية ، وسياستها .

وحتى نترك للقارىء وحده مسألة الحكم على مدى جدارة جوزيف برودسكى الأدبية بالجائزة نقدم هنا ترجمة لثلاث قصائد من شعره :

حـــب

لقد استيقظت الليلة مرتين ،
وهرعت إلى النافذة
فأبصرت مصابيح الشارع
كشذرات متناثرة من جملة قيلت أثناء النوم
دون هدف أو غاية ، وكأنها كلمات محذوفة
لا تهدهدنى ولا تسرى عنى .

لقد حلمت بك ، وكان معك طفل
وبعد أن عشت كل هذه السنوات بعيداً عنك
وعانيت من إحساسى بالذنب
حلمت بأن يدى تدغدغان بطنك ، ولما صحوت
وجدت أنهما تعبثان بسروالى .

ولما تلمست مفتاح النور ،
واتجهت متثاقلا صوب النافذة
تيقنت أننى تركتك هناك وحيدة
فى الظلام ، فى الحلم
حيث انتظرت هناك بصبر
دون أن تلومينى عندما أدرت ظهرى لك
على تلك الأمور غير الطبيعية .

مقاطعة . لقد تواصل الظلام ، الذى بددته الأضواء هناك ، كنا متزوجين
وفى ليلة عرسنا ، لعبنا لعبة الوحشين المقيدين
وكان الأطفال هم مبرر عرينا .

وفى إحدى الليالى المقبلات
ستجيئين إلى ثانية ، متعبة ، وقد ازدادت نحافتك
وسوف أرى معك إبنا أو بنتا ،
ومع أننا لم نسمِّه أو نسمِّها بعد
فلن أهرع هذه المرة إلى مفتاح الضوء .

وهل سأبعد يدى عنك ؟
ليس من حقى أن أتركك فى عالم الصمت والظلال هذا أمام سور الأيام
لتسقطى فى وهدة الاعتماد على هذا الواقع الذى يحتوينى ولتصبحى مستحيلة .

طبيعة صامتة

(١)

يتزاحم الناس كما تتراكم الأشياء

ويمكن أن يصيب الناس العيون بالكدمات والأذى
كما تعيبها بهما الأشياء
ومن الأفضل أن تعيش فى الظلمة

إننى أجلس على دكة خشبية
أراقب العابرين
وبينهم أحيانا أسرَ بكاملها
وقد أسأمنى الضوء .

هذا شهر شتائى
أول شهر فى التقويم
سأشرع بالحديث
عندما تسأمنى الظلمة .

(٢)
لقد حان الوقت ، سأبدأ الآن
لا يهم بماذا أبدأ ، فلا فرق
افتح فمك ، لأن من الأفضل أن تتكلم
مع أننى أستطيع أيضاً ممارسة الخرس .

ما الذى سأتحدث عنه إذن ؟
هل أتحدث عن العدم واللا شىء ؟
هل أتكلم عن الأيام والليالى ؟ أو عن الناس ؟
لا ، فلأتحدث عن الأشياء ، عن الأشياء وحدها .

لأن الناس سيموتون بالتأكيد
سيموتون جميعا ، كما سأموت أنا
فإن كل حديث عنهم تجارة كاسدة
كتابة على جدران الريح .

(٣)
أن دمى مكرور جداً
برودته قارسة أشد تجمداً
من الثلج فى قاع التيار
والناس ليسوا بضاعتى .

إننى أكره منظرهم
وقد التصقوا بشجرة الحياة العظمى
كل وجه متشبث بها
ولا يمكن انتزاعه وتحريره منها .

إن شيئا يمجه العقل
يتبدى فى كل وجه وشكل
شيئا كالإطراء أو المداهنة
لأشخاص غير معروفين .

(٤)
الأشياء أكثر مدعاة للسرور
فمظهرها الخارجى ليس خيراً ، ولا شريراً
أما مخبرها فإنه لا يكسف
عن طيبة أو سوء .

إن جوهر الأشياء عفن جاف
تراب . . . . سوسة تنخر الخشب
وأجنحة فراشة متصلبة
حوائط هشة ، متعبة للأيدى .

تراب .
عندما تشعل الضوء ، لن ترى غير التراب
هذه هى الحقيقة
حتى لو أحكمت لف الأشياء وتغطيتها .

(٥)
هذه الخزانة القديمة
فى الخارج أو فى الداخل
تذكرنى بشكل غريب
بكاتدرائية نوتردام فى باريس .
فكل شىء معتم فى داخلها
منفضة التراب أو مقعد الأسقف
تستطيع لمس تراب الأشياء
أما الأشياء نفسها ،
حدث عنه إذن ؟
فلن تستطيع لمسها كقاعدة
لا تحاول أن تنظف أو تروض
لأن التراب هو لحم الزمن
لحم الزمن الحق ودمه

(٦)
فى الأونة الأخيرة
كثيرا ما أنام أثناء النهار
ميتتى ، فيما يبدو ،
تحاول الآن أن تختبرنى
تضع مرآة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالقرب من شفق اللتين تزفران
لترى إذا ما كنت أستطيع
احتمال العدم فى رائعة النهار .

إننى لا أتحرك
ففخذى كقطعتين متخشبتين من الثلج
وزرقة أوردتى
لها شكل البرودة الرخامية .

(٧)
عندما تستدعى الأشياء ملائكتها

لتفاجئنا وتدهشنا
فإن الأشياء تسقط بعيدا من عالم الإنسان
هذا العالم المصنوع من الكلمات
إن الأشياء لا تتحرك ولا تقف
فهذا هو هذياننا واهتياجنا
كل شىء فضاء
لا يوجد أى شىء فيما وراءه

يمكن ضرب الشىء وحرقه ،
إخراج أحشائه وتحطيمه
والإلقاء به بعيداً والتخلص منه
ومع ذلك فلن يصرخ الشىء أبداً
ولن يسب ببذاءة ، أو يتذمر .

(٨)
شجرة . . . . وظلها
تخترق الأرض بجذورها المتشبثة
وقد تشابكت فى أشكال بيانية معقدة
مرسومة على الطمى والصخور .

تداخلت الجذور واختلطت
وللأحجار والحصى كتلها الخاصة
التى تحرر الجذور من أغلال

التجذر العادى
هذا الحجر ثابت
لا يستطيع أحد أن يحركه
أو يزحزحه عن مكانه
وظلال الأشجار تستحوذ على الإنسان .
كما تقتنص سمكة فى شبكة

(٩)
شىء له لون بنى
وحدوده غائمة غير واضحة
فى غبشة الفجر
لم يبق شىء
سوى طبيعة صامتة .

سيقبل الموت
وسيعثر على جسد
يعكس صمته الهادىء
مقدم الموت الوشيك
مثل وجه امرأة ما .

المنجل والجمجمة والهيكل العظمى
حزمة من الأكاذيب العبثية
ولكن الموت عندما يجىء سيبدو وكأن له عينيك أنت .

(١٠)
إن مريم تخاطب المسيح الآن :
هل أنت ولدى ؟ أم أنك الإله ؟
لقد سمرت إلى الصليب
فأين يا ترى الطريق المفضى إلى بيتى ؟

وكيف يمكننى أن أغمض عينى
وأنا خانقة ومفعمة بالهواجس ؟
أأنت ميت ؟ أم مازلت حيا ؟
هل أنت ولدى ، أم أنك الإله ؟

ويرد عليها المسيح بدوره :
أكنت حيا أم ميتا أيتها المرأة
فإن الأمرين سيان
إبن أم إله ؟
أنا منك

جنازة بوبو

(١)
لقد ماتت بوبو
ولكن لا تخلعوا قبعاتكم
فإنكم لا تستطيعون أن تفسروا
لماذا ليس ثمة من عزاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا نستطيع أن نثبت فراشة
على سارية الأدميرالية
لأن كل ما سنفعله ، هو سحقها .

فمربعات النوافذ
بغض النظر عن الجهة التى تنظر إليها
أما بالنسبة للجواب على سؤال :
ماذا حدث ؟ فإنك تفتح علبة فارغة
والواقع أن هذا هو ما حدث .

لقد ماتت بوبو ، وانتهى يوم الأربعاء
والشوارع خالية من أى بقعة تمضى فيها الليل
كل شىء أبيض ، ناصع البياض
والمياه وحدها هى السوداء
ففى الليل لا يستطيع النهر أن يحتفظ بالثلج .

(٢)
ماتت بوبو
سطر ينطوى على الحزن
مربعات النوافذ ، والأقواس شبه الدائرية
وهذا الجليد القارس
إذا ما كان على الواحد أن يموت
فليكن ذلك بالرصاص

وداعا يا بوبو ، يا جميلتى بوبو
فإن دموعى ستناسب الثقوب الكائنة بشرائح الجبن
إننا مضعضعون ، ولا يمكننا أن نلحق بك
ولسنا أقوياء بالقدر الذى نستطيع معه الصمود فى أماكننا
فى الحر اللافح ، وفى البرد القارس
أعرف سلفا أن صورتك لن تتلاشى
بل على العكس
ستظل متألقة بشكل فريد .

(٣)
ماتت بوبو
هذا إحساس يمكن المشاركة فيه
وإن كان زلقا كالصابون
وقد حلمت اليوم
بأننى كنت مستلقيا فوق سريرى
وكان هذا هو ما وقع بالفعل
أنزع ورقة من التقويم
حتى تصحح تاريخ اليوم
لأن قائمة الخسائر تبدأ بالصفر
والأحلام بدون بوبو ، توحى بالواقع
ونفحة من الهواء تقبل من فتحة التهوية

بوبو ماتت

وشفتى الواحد منا مفتوحتان
وهو يريد أن يقول : لا يمكن أن يحدث هذا
ولا شك فى أنه الخواء الذى يعقب الموت
وكلا الأمرين أكثر احتمالا
مع أنه أسواء من الجحيم

(٤)
لقد كنت كل شىء
ولكن لأنك الآن ميتة ، يا حبيبتى بوبو
فقد أصبحت لا شىء
أو بتعبير أدق
كونا من الخواء والفراغ
وهذا شىء ، إذا ما فكرنا فيه ، فادح للغاية

ماتت بوبو
وفوق العيون المدورة ،
يشبه مشهد الأفق السكين

ولكن ، لا كيكى ، ولا زازا ، يا بوبو
تستطيع أن تحتل مكانك الخاوى
فهذا مستحيل ؟

يوم الخميس مقبل
وأنا أومن بالخواء والفراغ
إن الأمر هنا كالجحيم تماما
بل وأكثر منه قبحا وسوءا
ودانتى الجديد ينحنى صوب الصفحة
وفوق مساحة خالية
يضع كلمة .

القاهرة : صبرى حافظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زهر الليمون .. أسطورة واقعية

د. سعيد البحراوى

قد تبخل علينا الحياة ـ أحيانا ـ بزهر الليمون الأبيض الجميل ، وتغرقنا فى الرمادى المعتم ولكن الفن الحقيقى ، حتى وهو يصور هذا الرمادى ، قادر على أن يمنحنا دائماً زهر الليمون .

ARCHIVE

حينما يقرر النقاد وعلماء الجمال أن عصر الأسطورة قد انتهى ، فإنهم يعنون أن الظروف الاجتماعية التى جعلت من الأسطورة نوعا أدبياً وفنياً سائداً وأساسياً ، قد انتهت ، وانتهت فيها سيادة الأسطورة كنوع أدبى ، وليس معنى هذا انتهاء مبررات وجود الأسطورة فى النفس البشرية عبر العصور والأماكن المختلفة ، باعتبارها إحدى إمكانيات بلورة مناطق معينة من الوعى واللا وعى فى هذه النفس وصياغتها .

لقد كانت الأسطورة القديمة صياغة الانسان البدائى لوعيه الكونى من أجل فهم العالم وتفسيره . ورغم أن هذا التفسير كان تفسيراً ميتافيزيقيا ، إلا أن الأسطورة لم تنقطع أبداً سواء فى تشكيلها أو فى وظيفتها عن عالم هذا الإنسان البدائى اليومى والواقعى وعلى هذا الأساس ، فإن تلك الأسطورة تضمنت فلسفة الإنسان البدائى فنه وعلمه أو سعيه من أجل المعرفة العلمية للكون .

وإذا كان العلم البشرى قد استطاع عبر تاريخه الطويل أن ينفى كثيراً من التفسيرات الميتافيزيقية التى تضمنتها الأسطورة بشأن الإنسان وعالمه ، فإن الكثير الكثير من القضايا بقى ، مستعصياً على التفسير العلمى المعاصر ، بل يمكننا القول انه كلما تقدم العلم كلما زاد وعى الإنسان بوجود قضايا خاضعة للتفسير الميتافيزيقى ، كما أن تطور الانسان نفسه عبر العصور يخلق مناطق جديدة تحتاج إلى جهد علمى كبير لفهمها فهما علمياً .

وهكذا يظل الإنسان يحيا جزءاً من حياته باستمرار فى نطاق الأسطورة التى لا يقترب منها العلم ، وحتى إذا اقترب منها وقدم لها فهمه وتفسيره ، فإن انتشار هذا الفهم يحتاج إلى وقت حتى يصل إلى كل هؤلاء المؤمنين بالأسطورة ، وحين يصل قد يقتنعون وقد لا يقتنعون . ذلك أن تغلغل الأسطورة فى تكوينهم قد يكون أعمق من قدرتهم العقلية على نفيها تماماً بتأثير العلم . يصدق هذا على مختلف الأزمان والأماكن ، ولكنه يزداد صدقاً فى المناطق التى تتداخل فيها أنماط الانتاج والمستويات الحضارية المختلفة بدرجة عالية ، كما هو الحال فى معظم بلدان العالم الثالث ، وربما بعض بلاد العالمين الأول والثانى أيضاً .

على هذا النحو وسعنا ـ فى استخدامنا ـ معنى الأسطورة

دون الخروج على الإطار العام لتشكيلها ووظيفتها . نفينا عنها طابعها الميتافيزيقى الغالب بحيث لم تعد مغامرات كونية وأفعال آلهة أو أنصاف آلهة ، أو بشر مدعومين بقوى خارقة ، وإنما أصبحت كامنة فى داخل البشر وفى لمسات علاقاتهم البسيطة وسلوكاتهم اليومية وتصوراتهم وأحلامهم متضمنة شذرات من الانجاز الحضارى البشرى القديم والحديث ، الممتد عبر مخزون بالغ الثراء تهدره العلاقات السريعة والخالية من الانسانية التى يعيشها عصرنا .

إن هذه الأسطورة الحية المعاشة ــ هى الصلب الأساسى لمادة الفن المعاصر ، أو هكذا ينبغى أن تكون . وهى كانت وستظل مادة الفن ، مع اختلافات واسعة فى زوايا النظر إليها فبعض الفنانين يختار منها الفردى الموغل فى الفردية ، وبعضهم يراها كحركة جماعية للبشر تغلف سعيهم الدؤوب من أجل الحياة ، ومن أجل جعلها ، هى وأسطورتها ، أفضل وأجمل . بعض الفنانين يتخذون من شذرات هذه الأسطورة الحية حجة يعودون بها إلى الماضى ، وبعضهم يسعى لاكتشاف علاقة هذه الشذرات بيقية النسق الذى تنتمى إليه ، أى نسق الإنسان المعاصر . البعض يتخذ منها وسيلة لتكريس القهر العميق ، والآخرون يكتشفون فيها إمكانيات التخلص من القهر ، وصولا إلى الفرح والسعادة . بعض الفنانين ــ إذن ــ يرجعون الأسطورة إلى معناها القديم ، وبعضهم يدرك وجودها ومغزاها المعاصر . وهؤلاء الأخيرون ، هم الفنانون الذين يدركون الأسطورة كواقع ، ولا يحولون الواقع إلى أسطورة يدركون أن الأسطورة هى بنت الواقع ونتاجه ، وينبغى أن تفهم هكذا وتعالج هكذا ، وليست حاكمة للواقع واسرة له ، ومعيدة إياه إلى ماض جميل نحن إليه ولا نستطيع تحقيقه .

حين ينظر الفنان إلى أسطورة الواقع التى تشكل عالمه سواء أراد أو لم يرد ــ من زاوية معينة فإن هذه الزاوية تحدد الشكل الذى يرى به هذه الأسطورة أو الأجزاء المعينة منها . ومن الطبيعى أن زاوية النظر (أو الرؤية) تساهم فى تشكيلها عوامل متعددة منها وضعه الطبقى (ومن ثم نوعية الأسطورة التى تشكل وعيه) ومنها ثقافته واطلاعه وحساسيته . . الخ . وثمة صراع دائم بين هذه العوامل ينتج منه اختيار لأسطورة مشكلة تتضمن أسطورة العالم الخارجى والرؤية الداخلية فى النهاية .

خلاصة الأمر أن للأسطورة شكلها فى الواقع ، وأن التعامل معها لابد أن يتضمن الشكل والمضمون دون انفصال بينهما . وفى هذه الزاوية يمكننا أن نلمح اختلافات كبيرة لدى أدبائنا المحدثين ، فبعضهم ــ أو أكثرهم ــ قد وقع فى هوة الانفصال بين مضمون الأسطورة وشكلها . أو بمعنى أدق خان مضمون الأسطورة الواقعية ، حينما انتمى إلى شكل لا ينتهى إلى هذه الأسطورة ، وانما ينتمى إلى أسطورة أخرى ، هى أسطورة أوربية ، أفردت شكلها ــ تلقائياً ــ سواء كان رواية أو قصة قصيرة أو مسرحية . وقد يكون هذا الانفصال هو أخطر مشاكل أدبنا الحديث ، وربما المعاصر أيضاً .

إن هيكل وتوفيق الحكيم رغم تعاملهما مع الأسطورة المصرية إلا أنهما خانا شكلها حينما استعارا الشكل الأوربى وزاوية النظر الأوربية . واقترب نجيب محفوظ والشرقاوى ويوسف إدريس من شكل الأسطورة المصرية أكثر ولكنهما جعلاها أكثر سطحية ولم يدركا عمقها بما يكفى . وربما كان يحيى حقى أكثرهم قرباً من شكل تلك الأسطورة ومضمونها ، لكنه لم يوفق فى إدراك التناقض بينها وبين الأسطورة القريبة المسماة بالعلم فأقام بينهما ــ فى النهاية ــ صلحاً تلفيقياً .

ولم يكن جيل الستينيات يستطيع أن يتجاهل الأسطورة المصرية لأنه كان من صلبها تماماً ولكنه حوصر فى داخل همومه الفردية ومنع من الاتصال الحقيقى بهذه الأسطورة وضلله البعض بأوهام الحداثه وأمراض العصر ، فوقع أسير التناقض بين انغماسه فى الأسطورة المصرية الحقيقية وأوهام الأسطورة الحداثية الأوربية (من حيث الشكل وبعض زوايا النظر) .

والآن يبدو لى أن هذا كله ينكشف جلياً أمام أبناء هذا الجيل الذى يشكل صلب إبداعنا المعاصر مع الكتاب الذين جاءوا بعده . تنكشف كل هذه التناقضات دون اعلان ودون تنظير .

وأخذ هؤلاء جميعاً يمارسون كل على حدة وبمنهجه الخاص ــ البحث عن طريق الخروج من هذا المأزق . وبعضهم ــ بالفعل قد اكتشف طريقاً حقيقياً كما أشرت فى دراسة سابقة بعنوان نحو أسطورة واقعية فى الرواية المصرية لأعمال جميل عطية ابراهيم وبهاء طاهر وابراهيم عبد المجيد ، ويمكننا أن نضيف إليهم صنع الله ابراهيم وابراهيم أصلان ، محمد البساطى وجمال الغيطانى واسماعيل العادلى ، واليوم يأتى علاء الديب ليضع علامات واضحة على طريق خاص فى هذا الاتجاه .

« زهر الليمون » هى أسطورة علاء الديب التى صدرت أخيراً . « زهر الليمون » هو اسم الرواية وهو صلب الأسطورة ، أو هو الأسطورة ذاتها . الأسطورة التى تغلف العمل كله رغم أنها لا تحتل فى صفحاته سوى سطور قليلة فى الجزء الأخير . وبالتحديد بدءاً من الثلث الأخير (الفقرة ١٧) . وتأتى فى سياق ذهابه لزيارة بيتهم القديم الذى لم يعد بيته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يكن السور الذى يحيط بيتهم قد اكتمل بعد . أرض فراغ وحقول صغيرة تحيط به من كل جانب .

فى الناحية الشرقية سكنت عائلة « أم رضا » فى عشة مصنوعة من الصفيح والطين مقامة تحت شجرة ليمون كبيرة . شجرة فارهة ضخمة كثيفة الأوراق ، صحيحة كثيرة الأزهار والثمر . كانت أم رضا تعيش من بيع ثمارها وبيض الدجاج ، وأشياء أخرى كثيرة تقضيها أو تبيعها لأصحاب البيوت المجاورة .

تعيش فى قطعة الأرض هذه ، كأنها ملكة ، مالكة ، تحت شجرة الليمون الفارشة . على مدار السنة ، تتداخل خضرة الأوراق اللامعة ، مع الزهر الأبيض الناصع مع صفرة الليمون المفرحة عندما ينضج على الشجر . كانت « أم رضا » تصنع فى قطعة الأرض الفراغ هذه ، **تحت شجرة الليمون ، بهجة ونظافة لا تشوبها شائبة** . صـ ١٠٢ ـ ١٠٣ من الرواية .

تبدأ الرحلة وتنتهى عند شجرة الليمون .

كانت هى العلامة والراية ، بيتهم كان هو البيت المجاور لشجرة الليمون . كانت هى العنوان .

أريجها صاف ، يسافر فوق خضرة الحقول .

عندما اقتربا من عشة أم رضا . . قامت المرأة من أمام النار التى أوقدتها ، وحملت لهما حبات ليمون خضراء نضره ذكية الرائحة . كانت الأرض أمامها مفروشة بزهر الليمون **المتساقط** ، أبيض ، أصفر القلب ، مهدر ، وهى تدوس عليها بأقدامها الحافية الكبيرة . أما على الأغصان فكانت الأزهار **قوية بيضاء نضرة كأنها تاج فوق الخضرة** .

مال يجمع بعض الأزهار المتساقطة وتمنى بينه وبين نفسه ألا يزرع أبوه شجرة ليمون فى الحديقة صـ ١٤٠ ـ ١٤٢ .

كان هذا فى الماضى الذى يتذكره الآن . أما فى الحاضر ، فقد بحث عن شجرة الليمون فلم ير سوى أطراف منها بعيدة ، تظهر خلف البيت بين العمارات .

هل يريد طارق أن يسمع حديثه عن شجرة الليمون ، عن زهرها الأبيض المتساقط على الأرض !

هل يستطيع أن يتحدث معه فى ضوضاء الشارع المتزايدة عن سر تلك العلاقة بينه وبين الزهرة البيضاء !

سيحسب هذا رومانتيكية عرجاء . صـ ١٣٨ وراجع أيضاً صـ ١١١ والآن (لاأحد يحتاج اليه ، ليس له ضرورة . لا هنا ولا هناك . تساقط وتساقطت أيامه ، كما يتساقط زهر الليمون ، بلا نبل ولا أريج صـ ١٤٧ .

لقد أطلت فى نقل هذه السطور التى وردت فيها إشارات مختلفة لزهر الليمون ببعض التصرف فى الترتيب ، لكى أظهر سيطرة هذه الصورة أو الأسطورة على بناء الرواية من الماضى إلى الحاضر أو من الحاضر إلى الماضى كما سنشير فيما بعد . ومن المهم أن نلاحظ فيما وضعت تحته خط من إشارات الراوى.أن تصوير زهر الليمون تصوير تناقضى أو جدلى بمعنى أدق ، فهو يدرك جمال الزهر على الشجر فى نفس اللحظة التى يدرك فيها تساقطها وذبولها على الأرض ، حتى ليتمنى ألا يرزع أبوه شجر ليمون آخر . فى نفس الوقت الذى يموت فيها حبا يدرك امكانيات تساقطها وذبولها ، بحيث لا يصبح الماضى ، الذى يرمز إليه زهر الليمون حلماً أحادياً جميلا ، ولا يصبح سقوطه (مثل سقوط البطل ووحدته فى الحاضر) حنينا إلى ماض جميل يرغب فى العودة إليه .

صحيح أن زهر الليمون رمز واضح إلى الماضى بكل جماله وقيمة وبهائه ، ولكن هذا الماضى نفسه لا يخلو من تناقض ، وليس خالياً من تناقضات الحياة الطبيعية . . كانت له أيضاً مشاكله . وإذا تأملنا الجزء الأخير من الرواية أيضا ، لاحظنا رمزاً فرعياً يدعم هذا الرمز ـ الأسطورة ـ الأساسى ، وأقصد رمز « كولونيا الليمون » التى تحبها أمه والتى اعتاد أن يقدمها لها فى كل زيارة يقوم بها إليها .

إن هذا الرمز الثانوى يؤكد انتماء الليمون (زهره وكولونياه ورائحته) إلى الماضى ، ولكن هذا الماضى ليس جميلاً فقط ، بل أيضاً مكروه أو على الأقل غير محتمل فالأم التى يقدم لها الكولونيا لم يبق لها إلا أن تعيش على السرير منتظرة الموت ، والمحيطون بها ينتظرون موتها أكثر ، وعبد الخالق نفسه لا يعارض ذلك ، بل هو ذاته يهرب منها يقول (بعيدة هى . لا يستطيع أن يقدم لها شيئاً . ولا يقدر على الانسحاب) صـ ١١٥ . ولكنه ينسحب .

* * *

على هذا النحو تتشكل الأسطورة « زهر الليمون » فى الرواية ، اسطورة تناقضية يحبها عبد الخالق المسيرى ، ولكنه لا يستطيع أن يستعيدها ، كما أنه لا يقدر على الانسحاب .

هى إذن الموازى الرمزى للحياة التى يسعى عبد الخالق لاستعادتها دون جدوى فهو لا يستطيع ، وربما لا يريد أيضاً .

ولكننا نحن نشعر بهذه الحياة ونتمثلها ونحياها مع سطور الرواية التى تتمتع بهذه الخاصة دون كثير غيرها من رواياتنا المعاصرة . خاصية تجسيد الحياة واحيائها واعطائها للقارىء ، رغم أنف البطل ، ورغم موت هذه الحياة لديه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن هذه الخاصية المميزة لهذه الرواية ، نابعة من عدة عناصر داخلها . أولها أن الرواية ليست رواية ترجمة ذاتية . فالبطل لا يتحدث بضمير الأنا ، هناك البطل وهناك الراوى . وهذا يسمح بمسافة واسعة بين البطل وبين الراوى/الكاتب ، الذى يتمتع ، دون أن يبدو له أى أثر فى الرواية بالقدرة على كشف تناقضات البطل الداخلية ، وتناقضات البطل مع الحياة ، وتناقضات الحياة ذاتها . أى أن الراوى/الكاتب يتمتع بقدرة شمولية فى رصد الحياة مازالت تنقصنا فى كثير من رواياتنا المعاصرة التى تقع فى إطار الرؤية التحت واقعية .

أما العامل الثانى فهو قدرة الكاتب على التجسيد ، فرغم أن اللغة فى الرواية لا تستخدم إلا المفردات المعتادة ، وليست لغة سحرية موشاة بالجناس المتعمد كما يفعل بعض كتابنا ، فإنها قادرة على أن تعطيك الحياة فى يديك ، أن تملأك إحساساً بها ، قد يكون الشىء فراغاً أو مللا ، فتملؤك إحساساً بهذا الفراغ أو الملل ، فتبقى على إحساسك حيا ، ويقظاً ، ولا تصل بك إلى الأفكار ولا تتعامل مع المجردات ، ولكنها تجعلك أنت تصل إلى هذه المجردات ، كما نفعل نحن الآن .

وفى تقديرى ـ أن هذه الخاصية ليست أسلوبية فحسب ، ولكنها خاصية نابعة من رؤية تحب الحياة حباً حقيقياً ، وما كانت تتوفر لولا توفر خاصية الإدراك الشمولى التى أشرنا إليها فى الفقرة السابقة ، وكلتاهما : حب الحياة والشمولية ، صفتان تتمتع بهما هذه الرواية أكثر من أى من كتابات علاء الديب السابقة .

* * *

لقد بدأ علاء الديب الكتابة منذ نحو ثلاثين عاماً ، ونشر مجموعتين تتضمن كل منهما روايات قصيرة وقصصاً قصيرة ، هما والقاهرة التى صدرت عن روزا اليوسف سنة ١٩٦٤ ، و(صباح الجمعة) الصادرة عن نفس الدار سنة ١٩٧٤ . كثير من العناصر المشتركة بين هاتين المجموعتين وهذه الرواية ، والتى تتمثل فى خاصية البعد عن الترجمة الذاتية ، والتركيز على عالم الهامشيين المقهورين ، بل حتى فى وجود بعض الشخصيات كما هو الحال فى قصة (قارىء الكف) ، حيث نجد (أنور أفندى المسيرى) الذى يحمل بعض ملامح عبد الخالق المسيرى ! أقول إنه رغم ذلك ، فإن هناك فارقا هاما بين تلك الأعمال والرواية الجديدة ، يمكن أن يلخصه النص التالى فى رواية الحصان الأجوف : (تفاصيل بلا كل . . واقع بلا حياة . . حتى الأشياء ترفضنى . . والليل أمامى بلا نهاية) (صباح الجمعة ص ٣٢؟ (فرغم أن الواقع عند عبد الخالق المسيرى أيضا بلا حياة (بالنسبة له) وأن الأشياء ترفضه ، وأن الليل أمامه بلا نهاية ، إلا أن منطق الكاتب ورؤيته ـ هنا ـ يرفضان أن تكون التفاصيل بلا كل لدينا هنا رؤية كلية وشمولية واضحة تجعلنا ندرك ما لايدركه البطل أو ما يحس به ولا يقدر على قوله أو ممارسته .

إن هذا الفارق بين كتابات علاء القديمة والرواية ، هو الفارق بين الرؤية المحاصرة الجزئية التى سادت كتابات الستينات بصفة عامة ، وبين الوعى الجديد الذى حل بهؤلاء الكتاب فى الآونة الأخيرة (راجع دراستنا عن الاتجاهات الجديدة فى القصص المصرى المعاصر بمجلة الطريق اللبنانية العدد ٤ سنة ١٩٨٧) .

ومع ذلك فإن علاء الديب ، وبخاصة فى هذه الرواية ، يمثل صوتاً متفرداً عن كتاب الستينات بسبب محدد هو اختلاف طبيعة البطل فى هذه الرواية بالإضافة إلى مثول الاسطورة حية معايشة .

إن عبد الخالق المسيرى فى هذه الرواية ليس بطلاً ضدا كما هو فى الرواية العربية المعاصرة أو معظمها . وإنما هو بطل إشكالى والفارق الأساسى بعين البطل الضد والبطل الإشكالى ، هو أنه حين يصارع الحياة ، فلا يصارعها بنسق متكامل من القيم التى يمتلكها ولا يفقدها ، بينما الآخر والإشكالى ، يمتلك هذا النسق ، ويحافظ عليه ، وهذا هو سر أزمته ، إنه يحافظ على هذا النسق القيمى بينما الاخرون يذوبون مع الحياة وتصرعهم القيم المتهرئة التى يزداد تهرؤها كل يوم وكل لحظة . إن رفاق عبد الخالق المسيرى فى الرواية هم أبطال رواياتنا المعاصرة . أما هو فبطل إشكالى يمتلك نسقه القيمى ويمتلك أسطورته ويصارع بهما هذا التهرؤ وهذا الذوبان . قد لايستطيع أن ينتصر ، وهذا طبيعى لأنه فرد ، ولكنه ، أبداً لا يتدرج فى الحياة ، تلك التى فقدت وأضاعت زهر الليمون .

« أما عبد الخالق المسيرى فقد كان يرد عليه وعقله غارق مع زهرة الليمون أريجها الذى لم يشمه اليوم ، أريج الماضى ، والأرض ، والوطن ، رائحة رضا ، وأم رضا ، « العشة الرطبة ، والأرض الخضراء ، ألن يستطيع أن يدفع عن رأسه أبداً هذه الخيالات !) ص ١٣٩ .

لا . لن يستطيع أبداً أن يدفع عن رأسه هذه الخيالات . لأنه لولاها لما عاد هو عبد الخالق المسيرى ، ولم تكن هذه الرواية .

إن هذه الخيالات (الأسطورة) التى لا يمكن دفعها ، تشكل محور بنية الرواية الدائرية المغلقة التى تمتد على محور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زمكانى هو رحلة من السويس إلى القاهرة ، ثم إلى السويس ، عبر ست وثلاثين ساعة هى إجازة نهاية الأسبوع التى يمتلكها عبد الخالق المسيرى ويرغبها ، وتشكل هذه الرغبة غير ممكنة التحقق التوتر الأساسى أو الدراما الأساسية فى الرواية وتقوم بديلاً عن البناء الدرامى الهرمى المعتاد ، بحيث يتحول البناء الروائى إلى لحظات مشحونة بالدراما والتوتر طوال الوقت ، دون أن تنفجر هذه الشحنة انفجارا حقيقيا فى أى من هذه اللحظات ، سوى لحظتين أساسيتين قصيرتين ، لتعود الرواية بعدها إلى استكمال الخط المعتاد لتغلق الدائرة وتعيدنا إلى ما بدأنا به استلقاء على السرير مفتوح العينين ، دون فعل أقصد لحظتى الصراع الجاد فى المقهى ، ثم فى المنزل مع طارق) .

يعمل البطل بمدينة السويس منذ خروجه من السجن ، بعد أن توسط له صديقه أحمد صالح لدى أحد معارفه من المديرين بالوزارة . وكلاهما قد اختار له تلك المدينة وهو قد رضى بذلك ــ بعدا عن المشاكل . ومنذ تللك اللحظة ، وهو يعيش حياة المدينة بحب مرغوب لا يتحقق أبداً .

يحب السويس ، فقط لو أبعدوه عن الميدان ، ومعنى المحافظة والعصر : لو أبعدوا عنه البوتيكات الجديدة والميكروفونات ، والمجمعات السكنية التى فرجت قبل أن يسكنها الناس .

يحب السويس لو أعادوا لها معناها « أتساق من الكبانون » مع البيوت القديمة ، والكازينو الخشبى البعيد . . . .

يحب الشوارع كلها قبل أن تنهشها فئران القذارة واللصوص الجدد) ص ١٣ ــ ١٤ .

ومنذ تلك اللحظة أيضاً ، وهو يحب القاهرة ، ولا يستطيع أبداً أن يستغنى عن عادته الشهرية ، نهاية الأسبوع تلك التى يذهب فيها إلى القاهرة ، التى لم يعد يملك فيها الا بقايا أصدقاء وبقايا أهل وبيت ، ولكنهم يمثلون له الشىء الكثير الذى حرص على الذهاب اليه . إنه ليس هؤلاء الأصدقاء الذين ينهارون يوما بعد يوم ، ويفقد واحد منهم بعد الآخر . وليس أهله ، الأم التى عاشت تنتظر الموت ، والأخ الذى فقد فعاليته ، وليس ابن الأخ (طارق المسيرى) الذى يتهمه بالخيانة مع أبناء جيله . إن ما يذهب اليه هو زهر الليمون ، هو كل هؤلاء بما كانوا يمثلونه له فى الماضى من قيم نبيلة سيظل هو محافظاً عليها .

لهذا السبب ، فإن التقاطعات الزمكانية التى تقوم عليها بنية الرواية ، تجعل من الست وثلاثين ساعة عمراً كاملاً أو أعماراً ، عمره هو ، وأعمار أصدقائه وحبيبته وأخيه ، ليكشف لنا عن تاريخنا الوجدانى عبر أكثر من ربع قرن من الزمان.أناس ناضلوا وأحبوا ، وعاشوا الآمال والأحزان معاً وها هم الآن يقعون واحدا فواحداً ، تحت وطأة الانفتاح والتعصب الدينى والخمر أو الحشيش ، ويجلسون معاً ليأكلوا بعضهم بعضا ، أو يبقون وحدهم ليصارعوا الأمراض أو أفكار السفر الجهنمية القادرة على هدم البيوت السعيدة رغم كل الفاقة (أسرة صديقه فتحى) .

ورغم كل ذلك ، فإن عبد الخالق ، فى رحلته التى انتقلت من السويس إلى المحطة ، إلى البار ، إلى منزل فتحى إلى منزل أسرته وبعض المقاهى ثم الغداء الأخير مع أحمد صالح ثم إلى السويس مرة أخرى ، يقابل أناساً يبدون لنا بشراً طيبين وصامدين بغض النظر عن إحساس البطل بهم أو اتفاقة أو اختلافه معهم لدينا بعض الأصدقاء الذين ظلوا أصدقاء رغم كل شىء (فتحى وزوجته ، وأحمد صالح ، ولدينا أيضا طارق المسيرى الذى يكاد عبد الخالق يتلبسه ويعتبره امتداداً طبيعيا له مع طارق تشرق دائماً شموس صغيرة وكثيرة . . .

قال لنفسه : « عبد الخالق المسيرى . طارق المسيرى » ماذا بهم) ص ١٢٧ ، ولكنه يستطيع لأنه لا يملك (كلمات بصيرة ، كاشفة ، يقولها فى اتساق فيعيد للقلب القلق بعض الهدوء) ص ١٣٩

إن طارقا رغم ذلك ، رغم حدته وقلقه ، وصدامه مع عمه ، ورغم أنه لا يمثل نهاية الرواية ، فتلك كما قلنا تتم فى الـ ويس متقاربة مع البداية معلنة توقف الزمن أو دائريته فى نظر البطل أو ربما أيضاً ــ الكاتب ، أقول إنه رغم ذلك ، يبدو طارق فى الرواية ، أملا جديداً . قد لا يتبناه البطل ، لأنه غير قادر على تبنى شىء ، ولكنه يبدو موضوعياً ، رغم أنفه ، أملاً يفرزه الواقع ، حاملاً لكل مشاكل هذا الواقع ، الذى لا يتوقف رغم ذلك ــ عن الإفراز ، وعن إنتاج التناقضات ، وعن الاستمرار فى الحياة .

وقد يبدو هذا الواقع ، فى نظر عبد الخالق ــ خالياً من الحياة ، من زهر الليمون ، ولكن الرواية استطاعت ــ بفضل ما سبق أن أشرت اليه من خصائص ، وبفضل جودة السبك وحسن الديباجة كما يقول النقاد العرب القدماء ، أن تعطينا الحياة مبطنة بالعديد من زهرات الليمون المحسوسة وإن لم تكن بادية .

دراسة

أحمد سويلم ومكابدات فى مدائن العشق

د. حامد أبو أحمد

أحمد سويلم شاعر يحق أن نقول عنه إنه شاعر مكتمل التجربة ، بلغ مرحلة تجعله جديرا بالدراسة المتأنية للكشف عن أصول هذه التجربة ، وأبعادها وتطورها . إن عمر تجربة هذا الشاعر يناهز ربع القرن ، ذلك لأنه بدأ يكتب الشعر ، وهو طالب بالجامعة فى منتصف الستينيات ، وكان عمره فى ذلك الحين اثنين وعشرين عاما (ولد فى ديسمبر عام ١٩٤٢) . وقد خلفت هذه السنوات الطوال عددا كبيرا من القصائد الشعرية تمثلت فى ثمانية دواوين تبدأ بديوان « الطريق والقلب الحائر » الذى صدر عن « دار الكاتب العربى » عام ١٩٦٧ ، وتنتهى (حتى هذه اللحظة) بديوان « الشوق فى مدائن العشق » الذى نشرته خلال عام (١٩٨٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب . وقد دخل الشاعر أيضا مجال المسرح الشعرى فأصدر مسرحيتى « إخناتون » و « شهريار » فى عامى ٨٢ و ١٩٨٣ . كما حاول أن يسهم فى مجال الدرس الأدبى ، فأصدر عام ١٩٨٤ كتابه الذى يحمل عنوان « المرأة فى شعر البياتى » فى سلسلة « المكتبة الثقافية » .

البدايات

كانت البداية إذن فى ديوان « الطريق والقلب الحائر » . ويضم هذا الديوان عشرين قصيدة موزعة فى خمسة فصول أو أقسام ، منها أربع قصائد تحمل تاريخ عام ١٩٦٥ والقصائد الأخرى تنسب إلى عام ١٩٦٦ . وهذه إحدى ميزات دواوين أحمد سويلم لأن كل قصيدة عنده تحمل ، فى نهايتها ، تاريخ كتابتها ، مما يسهل كثيرا مهمة الدارس لشعره . وقد جاء بعد هذا الديوان بثلاث سنوات تقريبا ديوانه الثانى « الهجرة من الجهات الأربع » الذى صدر ضمن سلسلة « كتابات جديدة » عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٠ ، بالاشتراك مع ثلاثة شعراء آخرين « فرج مكسيم » ونصار عبد الله ، وعمر بطيشة . وتنسب قصائد هذا الديوان الثانى إلى سنوات ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ .

وتتمثل فى هذين الديوانين خصائص المرحلة الأولى عند أحمد سويلم مثل الإكثار من استخدام الجمل الإنشائية وخاصة فعل الأمر المسبوق بلام الأمر ، والعزف على وتر التمرد والثورة ، واستخدام الصورة الشعرية التى تقف فى مرحلة وسط بين الصورة التقليدية والصورة الإيحائية المركبة ، واللجوء إلى الأقنعة فيعبر الشاعر عن نفسه من خلال الشخصية ــ القناع ، وتوظيف الأسطورة : مصباح علاء الدين وسيزيف وعشتار وإيزيس وغيرها ، ووضوح التجربة بحيث تصل بسهولة إلى المتلقى .

ويلاحظ أن هذه الخصائص هى نفسها تقريبا خصائص شعر الرواد : صلاح عبد الصبور ، وأحمد عبد المعطى حجازى ، وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى ، إذ كان الشاب أحمد سويلم فى تلك المرحلة مفتونا بهم إلى حد الانصهار فى عالمهم الشعرى ، وبالأخص عبد الوهاب البياتى الذى كان صوته وصداه واضحين الوضوح فى قصائد أحمد سويلم الأولى . إن قصائد ديوانه الأول تحمل أصواتا من كل هؤلاء

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرواد ، وإن كان البياتى هو صاحب الصوت الأول والتأثير الأول ، وبخاصة فيما يتعلق باستخدام فعل الأمر المسبوق بلام الأمر . يقول أحمد سويلم فى قصيدة « الدرب الشهيد » :

لنحترق فى ذلك المضيق
ولنتناثر فوق موجه . .
ولنفقد الطريق
ماعاد لاشتياقنا مطاف
ولنكسر المزمار . . ولنمزق الشغاف

ففى هذه الأبيات الخمسة يستخدم فعل الأمر المسبوق بلام الأمر خمس مرات ، وهذا بلا شك أثر من آثار البياتى . وفى قصائد الديوان الثانى « الهجرة من الجهات الأربع » يصبح صدى البياتى هو الصدى الأوحد ؛ فنجد طريقة البياتى فى بناء القصيدة ، ورموزه ، وأساطيره ، وأقنعته ، ونزعته الثورية ، وتمرده ، ومفرداته ، وصوره . بل إن هناك قصيدة لو نسبت للبياتى لما شك أحد فى هذه النسبة لأنها تحمل كل خصائص أسلوبه . هى قصيدة « أين المفر » التى يبدأها أحمد سويلم بقوله :

ريشة بيكاسو على الخليج
تذوب فى نشيج . .
ثيران مدريد بلا مصارعين
تسابقت تناطح المضيق
فالعباب . .

فريشة بيكاسو ، وثيران مدريد التى بلا مصارعين ، والخليج كلها أشياء منتزعة من عالم البياتى . وتمضى القصيدة على هذا النحو ، ونقرأ فيها أيضا قوله « فليصمت المنجم الكذاب ، وليطْوه العباب » وكلها عناصر تشى بشدة تأثر الشاعر الشاب أحمد سويلم بأستاذه الرائد الذى كتب عنه فيما بعد كتاب « المرأة فى شعر البياتى » . ولا ينسى أحمد سويلم فى قصيدة « نبوءة نيسابور » أن يكتب فى هامشها : « صحبة مشرقة مع ديوان « الذى يأتى ولا يأتى » للشاعر عبد الوهاب البياتى . ونقرأ القصيدة فنجدها أيضا توقيعا على أوتار البياتى لدرجة أن أحمد سويلم يستخدم نفس تعبيراته الشائعة : « لا تشرب كأسك بالمجان . . لا تقرأ ورد الليل . . فليس هناك مكان » ، كما ينجح فى التعبير بالصفة على نحو ما يفعل البياتى : « الشىء الضائع يا إنسان . لن يأتى رهن إشارتك البلهاء . فتش ــ إذ تبغى ــ عن أرض عذراء . « تلك نبوءة شاطئنا المطمور » لا تنتظر البعث الغامض فى صحراء . مات الفارس فى الكتب الصفراء » . فكل هذه الصفات التى استخدمها أحمد سويلم تمضى منسجمة مع صفة البياتى فيالبيت الذى ضمنه أحمد سويلم لأبياته وهو « تلك نبوءة شاطئنا المطمور » ، كما أنها تنسجم مع طبيعة هذا العالم الشعرى الذى استطاع الشاب أحد سويلم أن يستوعبه بشكل جيد ويتمثله خير تمثيل فى فترة كان فيها يتلمس طريقه نحو النضج والتعبير عن تجربته الخاصة .

والتأثر بالآخرين ليس دليل ضعف فى الشاعرية ، بل هو على عكس ذلك تماما لأنه يعنى أن هذا الشاب استطاع أن يقف على أحدث منجزات القصيدة العربية فى الفترة التى بدأ فيها إبداعه . أى أنه كان يملك الوعى بالقصيدة ، وكانت لديه القدرة على أن يدرك أين تقف قدماه .

البحث عن الأصالة

ولذلك لم نصب بالدهشة عندما رأينا أحمد سويلم فى دواوينه التالية ، التى صدرت فى السبعينيات يبدأ الطريق نحو عالمه المنفرد وخصوصيته . وإذا توقفنا قليلا عند ديوان « الليل وذاكرة الأوراق » عام ١٩٧٧ رأينا أننا لا نستطيع أن نبحث فيه عن غنائية القصيدة ، وعن جرسها الموسيقى وصورها البسيطة أو المركبة ، وإنما نعثر على أشياء أخرى مثل استعارة بعض أدوات الفنون الأخرى كالسرد والحكاية والحوار الدرامى ، وما يتبع ذلك من نثرية العبارة فى بعض الأحيان . كما أخذت تظهر عناصر أسلوبية جديدة سوف تصبح من اللوازم الثابتة فى شعره مثل التضمين ، والرمز واستلهام بعض مواقف المتصوفة ، وانتشار مساحة التدوير فى القصيدة ، وطول البيت حتى يزيد فى معظم الأحيان على عدد تفعيلات البحر التام . ففى قصيدة « أبجدية الحب . . والألم » يستخدم الشاعر أسلوب القص ، ولهذا يكثر استخدام الأفعال الماضية والمضارعة ، ويأتى فعل الكينونة « كان » ليلعب دورا محوريا فى النص

« كنت أسمع عن هذه الأمسيات
الشقية . . عن هذه الأمسيات
الصقيعة . . كنت أكذب نفسى . .
أكذب تلك الأقاويل . . حين أتيت تغير
وجهك . !
كنت أرسل كل مساء بريدا . . وكان
بريدك يحمل لى من ليالك حلما . .
وشوقاً . . ووعدا . . (وكنت أغامز كل

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

الصبايا ـ نهارا ـ أصاحبهن ولكنى كنت
فى الليل ـ كنت بحق عيونك ـ كنت
أبيت وحيدا وحيدا . . »

وقد تكررت كلمة « كنت » فى هاتين الفقرتين اللتين اجتزأنا منهما بعض السطور ثمانى مرات . وفى النص الأصلى يتضمن هذا الجزء ثلاث فقرات مكونة من ستة عشر سطرا يتكرر فيها فعل الكينونة أربع عشرة مرة . وتتكرر الأفعال الماضية أو التى تحمل معنى الماضى (لأن الأفعال المضارعة تأتى بعد فعل الكينونة الماضى فتأخذ نفس الصفة) ليس فى هذه الأبيات وحدها بل فى القصيدة كلها حتى تؤكد فيها عنصر الحكاية . وهكذا لم يعد البيت هو الوحدة الشعرية للقصيدة كما كان فى الديوانين الأولين ، وإنما يصبح السطر بما يحمل من خصائص نثرية هو السمة الرئيسية للقصيدة عند أحمد سويلم .

وفى هذه القصيدة « أبجدية الحب . . والألم » وفى غيرها من قصائد الديوان يختفى الأسلوب الإنشائى تماما . وتتنازل القصيدة عن غنائيتها وعن صورها الشاعرية المحلقة كى تقدم تجربة قريبة من أسلوب القصة القصيرة ، التى أصبحت هى الأخرى قريبة جدا من عالم الشعر . وهكذا تتداخل الأنواع الأدبية ويستعير كل منها من الآخر ما يفيد فى إحداث « تقنيات » طريفة متجددة . فكأننا إذن أمام قصة قصيرة تستعير لغة الشعر والسرد فيها على لسان « الأنا الراوى » .

وفى قصائد هذا الديوان وفى غيره من الدواوين التالية ، وبخاصة الديوان التالى له مباشرة « الخروج إلى النهر » عام ١٩٨٠ ، تبدو خاصية هامة من خواص أسلوب أحمد سويلم تنتشر على مساحة واسعة فى أعماله وهى « التضمين » . إن هذا الشاعر مولع بتضمين قصائده أبياتا من دواوين كبار شعراء العربية فى تاريخها الناصع من أمثال المتنبى ، وابن زيدون والمعرى وغيرهم . وأظن أننا لسنا فى حاجة لأن نذكر بعض الأمثلة هنا لأن هذه الظاهرة من الظواهر الواضحة جدا فى شعر أحمد سويلم حتى باتت نسبتها إليه والتصاقها به أمرا لا يخفى . والتضمين عنده يدخل فى نسيج القصيدة وينصهر فى مضمونها العام . إنه نوع من إعادة اكتشاف الشاعر لتراثه بالاقتباس منه بحيث يشف عن مشاعره الذاتية وعالمه الإنسانى المعاصر . وفى هذا يصبح لهذا الاقتباس جانبان : جانب الدلالة الفعلية التى يفصح عنها ظاهر النص ، والجانب الإيحائى الذى يوحى به النص المقتبس فى ضوء علاقته بالقصيدة كلها التى تكون وحدة موضوعية واحدة .

ويتصل بهذا العنصر عنصر آخر هو توظيف التراث سواء على شكل مواقف أو من خلال شخصيات تراثية معروفة ، عربية كانت أو إسلامية أو فرعونية . وهنا لا تكون الشخصية التراثية مجرد قناع يعبر الشاعر من خلاله عن نفسه ، وإنما تتحول إلى معادل تراثى يساعد على تعميق الإيحاء السائد فى تضاعيف السياق الشعرى . وقد كان لجيل الحداثة الأول فى الخمسينيات فضل الريادة فى استخدام النموذج التراثى وتأصيل وظيفته الفنية فى القصيدة الحديثة ، على نحو ما نرى عند بدر شاكر السياب ، وصلاح عبد الصبور وخليل حاوى وعبد الوهاب البياتى وغيرهم ، ولكن الجيل الذى جاء بعدهم ، وهو جيل الستينيات الذى ينسب إليه أحمد سويلم ، قد توفر على تعميق هذه الخاصية الجديدة فى الشعر العربى وجعلها نوعا من الرؤية الفنية التى تربط الماضى بالحاضر وتجعل من التراث كيانا غير منفصل عن واقعنا وحياتنا المعاصرة .

وثمة عنصر آخر من عناصر التجربة الشعرية عند أحمد سويلم سوف يظل علينا من ديوانه « الليل وذاكرة الأوراق » وسيستمر ويزداد كثافة فى دواوينه التالى حتى ديوانه الأخير . هذا العنصر هو الدخول فى دائرة التصوف بمفهومه الشاعرى لا الدينى . وقد دخل التصوف عالم الشعر بهذا المفهوم الجديد مع الرمزيين الفرنسيين فى نهايات القرن الماضى وأصبح يمثل أحد التيارات الهامة فى شعر الحداثة منذ ذلك الحين حتى الآن . ففى قصيدة « مكابدات الذاكرة » المكتوبة فى ٨/٣ عام ١٩٧٣ يقول أحمد سويلم :

لا تسألى فيم ينام كل شىء دهرا . .
هذا أنا وقد سريت الليل . .
لم يبق غير ثلثه الأخير . .
قبضته . . كابدته . . ذرّيته . . أودعته الرياح والمسافة . .
شربت كأس الفطرة . .

وهكذا تمضى مكابدات أحمد سويلم الأدبية على طريقة المتصوفة فتستعيد معجمهم ، وأشواقهم ، ونشوتهم . إن الشعر هنا يصبح قرين النشوة والفرح الأبدى .

ولعل قصيدة « أحلام الصيف المختزنة » من ديوان « الليل وذاكرة الأوراق » هى أكثر القصائد جدارة بأن تكون مفتاحا لفهم تجربة أحمد سويلم فى شكلها ومضمونها ووسائلها الفنية . فمن جهة الشكل تأخذ تقسيما فريدا : مفتتح ومختتم وبينهما أحلام بيديا الفيلسوف وأحلام شهرزاد . واختيار بيديا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفيلسوف يعنى اختيار « كليلة ودمنة » واختيار شهرزاد يعنى اختيار « ألف ليلة وليلة » . وبهذا يكون الشاعر قد عزف فى هذه القصيدة على وتر ما هو فذ وعالمى فى تراثنا . ويختم الشاعر قصيدته بقوله : « أبدا لن تضيعى فعينى عليك . أبدا . . أبدا لن تضيعى . » . وهذا يعنى أن جيل الستينيات والسبعينيات بالذات قد أخذ يعض بالنواجذ على كل ما هو أصيل وعملاق فى التراث العربى ، وبالأخص اللغة[٢] التى تشكل الأداة التى يتبدى منها هذا التراث . فأحمد سويلم يعنى لن تضيع شهرزاد ولن يضيع بيديا الفيلسوف وكتابه الشهير كليلة ودمنة ، الذى جعله عبد الله بن المقفع ، بلغته وصياغته وتشكيله وبنائه ، أثرا من آثار اللغة العربية التى نقلت إلى آداب العالم وأثرت فيها فى فترة مبكرة .

وقد صدر للشاعر أحمد سويلم فى عقد الثمانينيات ديوانان هما « السفر والأوسمة » عام ١٩٨٥ و« العطش الأكبر » عام ١٩٨٦ . وفى هذين الديوانين يعود أحمد سويلم من جديد إلى غنائية القصيدة وأبياتها القصيرة قوية الإيقاع وإن كانت هناك بعض القصائد تأخذ بنظام السطر مثل قصيدة « فقرات من كتاب الحب » من الديوان الأول . ولكن يستمر توظيف التراث والشخصيات التراثية . وتدخل فى ديوان « السفر والأوسمة » تجربة جديدة متمثلة فى قصيدتين هما « أمام تمثال دون كيشوت » و« أحزان غرناطة » كتبهما الشاعر بتأثير الزيارة التى قام بها إلى إسبانيا فى شهر ديسمبر عام ١٩٨٣ . أما فى ديوان « العطش الأكبر » فيستبدل الشاعر فيه بالتراث والشخصيات التراثية عنصرا جديدا يعبر من خلاله عن أشواق نفسه وآمالها وآلامها ، وهو « البحر » الذى يصبح بمثابة معادل طبيعى لذات الشاعر . وبهذا يحاول أحمد سويلم أن يقدم الجديد . صحيح هناك بعض اللوازم الثابتة التى تحدثنا عنها من قبل ، لكنها تأتى دائما فى إطار محاولة جادة لتجاوز المراحل السابقة .

الشوق فى مدائن العشق

صدر هذا الديوان أخيرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ويضم ثمانى عشرة قصيدة مكتوبة خلال سنوات ٨٤ ، ٨٥ ، ١٩٨٦ ، ما عدا قصيدتين جاءتا بدون تاريخ هما القصيدة الأولى « ملاحظة » ، والقصيدة السابعة « حين أغزو عيونك » . وهذا الديوان يؤكد الاتجاه الذى أشرنا إليه فيما سبق عند الحديث عن الديوانين السابقين عليه ، وهو « العودة إلى غنائية القصيدة . والغنائية هنا بالطبع تختلف عن الغنائية الأولى : ذلك أن الأولى كانت تحمل أصوات الشعراء الرواد وبالأخص الشاعر عبد الوهاب البياتى ، أما الغنائية الجديدة فتنسب كلها إلى مبدعها الشاعر أحمد سويلم ، بعد أن قام بعملية تنقية وتصفية وانتقاء لتجاربه السابقة ، حتى جاءت الغنائية فى هذا الديوان محكمة البناء قوية النسيج ، عميقة الأغوار . يقول فى قصيدة « لا ارتواء » :

عطش فى دمى : :
وأنا أبحث الآن عن بلسمى
ساءلتنى (الطواويس) عن مرفئ
كنتِ أنت الضفاف التى تطلع الشمس
كنت الرمال التى تهب الدفء .

وواضح أن الشاعر قد عاد إلى وحدة البيت الشعرى ، وتخلى عن السطر النثرى ، وهى ظاهرة مطردة فى كل قصائد هذا الديوان . كما عاد الشاعر إلى استخدام الصورة بمستوييها البسيط والمركب . لكن الجديد هنا هو أن الكلمات أخذت ترتبط فى علاقات جديدة يحددها السياق ويغيرها الاستعمال ، وهى متصلة بباطن الشاعر وبأعماقه الداخلية أكثر من اتصالها بالواقع ــ وهذا ــ فى رأيى ــ من أهم التجديدات التى استحدثتها فى القصيدة العربية الأجيال التالية لجيل الرواد . فقد أخذت الكلمات دلالات جديدة مختلفة حسب خيال كل شاعر ــ أو حتى حسب الموقف الذى يعبر عنه ــ وصرنا نقرأ فى دواوين عفيفى مطر وأمل دنقل ومحمد أبو سنة وأحمد سويلم والأجيال التى جاءت بعد ذلك ما يحطم الدلالات المتعارف عليها للكلمة ، حتى غدت الكلمة عالما فى حد ذاته يموج بالحركة والنشاط والتحولات ؛ فهى فى هذا السياق غيرها فى سياق آخر . . وهلم جرا . فالشاعر هنا يقول « عطش فى دمى » وبذلك يكون قد جمع بين العطش والدم فى سياق جديد غير مألوف بينما التعبير الشائع والمألوف هو « متعطش للدماء » لكن العطش هنا تحول فأصبح من صفات الدم نفسه بعد أن كان من صفات الإنسان . وفى بيت آخر من هذه القصيدة نفسها يقول : « ورذاذ من الشمس يسقط فوقى . . يبللنى » ومعروف أن الرذاذ يسقط من السحاب لا من الشمس ، ولكن الشاعر هنا ربط بين الكلمات فى علاقة جديدة تتجاوز دلالتها الواقعية إلى الإيحاء بدلالات أكثر التصاقا بالأنا الداخلى .

ونجد مفتاح هذا الديوان فى قصيدة تحمل عنوان « المشنقة » يقول فيها :

مشنقتى . .
إن الذى ما بيننا لا يستقيم كسطور النثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يتوازى مثل ضفتين تحضنان النهر
لكنه . . مثل الذى أكتبه فى الشعر
تارة . . يطول باعا . .
وتارة . . نقطعه . . ذراعا
ومرة يحيط أرض الله . . والسماء
ومرة يضيق . . مثل طوق ساعة ! .

ويشتمل هذا الديوان على بعض القصائد التى تصل فى سهولة ويسر إلى المتلقى ، مثل قصيدة « ملاحظة » و« أبواب العشق » ، والقصيدة الأخيرة « صرخات فى الوقت الضائع » فهذه قصائد تطول باعا أو نقطع الطريق إليها فى ذراع . ولكن هنا قصائد نضطر إلى قراءتها مرة ومرة حتى نستخرج ما فيها من صنعة وتغلغل فى أعماق النفس ، وضرب فى ساحات الزمان والمكان مثل قصيدة « عناق فى الغربة » و« حين أغزو عيونك » و« المشنقة » وكثير من قصائد الديوان . وهناك قصائد تحلق فى عوالم المتصوفة الرحبة حيث تمتد المكابدات فتعبر أجواز الفضاء وتقطع ما بين الأرض والسماوات فى غمضة عين . منها قصيدة « الشوق فى مدائن العشق » التى يحمل الديوان اسمها ، وقصيدة « الراوى قال » التى يقول فيها :

قلت : الدفء بقلبى منذ خلعت الجلد
وأشعلت به ناراً
وتوحدت مع العالم . .
لا أعرف شيئا عن نفسى . .

وهناك قصائد تضيق حتى تصبح مثل طوق الساعة ، على نحو ما نرى فى قصيدة « من يحكم هذا العالم !!» التى يوظف فيها الشاعر إحدى الحكايات الشعبية الشائعة والمألوفة فى الريف المصرى عندما يخسف القمر فيخرج أطفال القرية يطوفون بالشوارع ويهتفون « يا بنات الحور خلو القمر يدور » ، وبذلك يستجلب الشاعر نمطا تراثيا جديدا ، يضاف إلى ما أبدعه ومازال يبدعه من توظيفه للتراث المكتوب وللشخصيات التراثية ، هو هذا التراث الشعبى الشفاهى الحاضر والماضى فى وقت واحد . ومن خلال الخسوف والأغنية الشعبية المتصلة به يبث الشاعر رؤيته للعالم وحكامه . يقول :

وهتفنا : (ـ يامن خنقوا وجه القمر الليلة
يكفيكم . . أعميتم أعيننا
وتجوّلتم دهرا بين دمانا)
ـ من أى زمان يأتينا هذا الزمن الخائن
من أى بحار تتدفق أنهار الأرض
من يحكم . . هذا . . العالم ؟

فهذه قصيدة من النوع الخطابى المباشر ، لكن الشاعر يحاول أن يضفى عليها نوعا من الطرافة والجدة بتوظيفه لهذه الحكاية الشعبية .

وفى ديوان « الشوق فى مدائن العشق » يستمر أحمد سويلم فى توظيفه للتراث وللشخصيات التراثية على النحو الذى أشرنا إليه من قبل . وبدلا من أن تأتى الشخصية التراثية فى تضاعيف القصيدة تصير عنوانا لها . ولذلك تقابلنا قصائد تحمل عناوين « سندباد » و« شكوى شهريار الفصيح » و« حكايات وادى عبقر » . وفى هذه القصيدة الأخيرة يستخدم التضمين أو « الاقتباس » الذى قلنا إنه إحدى لوازمه فيورد أبياتا لأبى فراس الحمدانى ، ولابن زيدون ، وللمتنبى ولغيرهم من الشعراء القدامى . وكالعادة يتحول الخاص عند أحمد سويلم إلى العام فنرى فى تعبيره عن همومه الخاصة تعبيرا عن الهم القومى العام بل يتجاوز الشاعر ذلك فى بعض الأحيان ليعبر عن الهم الإنسانى . يقول فى قصيدة « سندباد » :

أتخذ كهوف العالم وطنا
إذ أشعر أن الوطن بقلبى شرنقة
تعصرنى . .
وتفتتنى يرقاتٍ . . يرقات . .
تُحرقها الشمس . .

وتتسع مساحة التجربة الصوفية فى هذا الديوان أكثر من ذى قبل حتى تصبح عنوانا على الديوان كله . ذلك أن الديوان يحمل عنوان قصيدة « الشوق فى مدائن العشق » التى تعد من أهم القصائد فى هذا المنحى عند الشاعر . وتبدأ القصيدة بكلمة بحروف أصغر بين قوسين تقول : (حاشية على منطق الطير لقطب التصوف الإسلامى فريد الدين العطار) . ومعروف أن عناوين القصائد والدواوين فى الشعر الحديث أصبحت مرتبطة بدلالات السياق الفنى للقصائد . ومن ثم كان لاختيار هذا العنوان للديوان كله دلالة توحى بأن الشاعر أصبح يعطى أهمية خاصة لهذه التجربة الصوفية ، إذ يقول :

(لا حاجة للغزو الآن . .
يكفى أن تحلم حتى يتجسد حلمُك
أو تهمس حتى يسمع لحنُك
أو تتلاشى . . حتى تتوحد . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهل فقد الشعراء الأمل فى الواقع حتى أصبحوا يحلمون بتغييره من خلال الأحلام والتلاشى والتوحد ؟ ربما . لكنه على أية حال توجه نحو عالم أرحب وأكثر صفاء وعدلا يحس فيه الشاعر بالدفء الذى يفتقده فى هذا العالم الملىء بكل صنوف الزيف والدجل والاضطراب . ولهذا يقول أحمد سويلم فى قصيدة « الزلزال » : « فى مرآتى . . دفء لا فح . . » ويقول فى قصيدة « الراوى قال » : « الدفء بقلبى منذ خلعت الجلد » ويقول فى قصيدة « الشوق فى مدائن العشق » :

أما نحن ــ العشاق المهمومين ــ
فطيور فقدت من زمن فوق الأرض
العش الدافىء . .
من أجل خلاص القلب

فهل كان العش من قبل دافئا ثم أصبح الآن باردا ، حتى صار الشاعر يبحث عن الدفء الآن فى عالم آخر هو عالم التصوف ؟ كل هذا وارد ، وكله دال على أن الشاعر لم يعد قادرا على تحمل ما يراه من زيف وبهتان فغدا يحلم بحال أفضل وبعالم أفضل . ويلاحظ أن هذه القصائد الثلاث (« الزلزال » و« الراوى قال » و« الشوق فى مدائن العشق ») ذوات التجربة الصوفية تأتى على هيئة حوار درامى بين صوت قادم من أعماق الغيب وبين الشاعر :

أشعر وهجا . . يلفحنى
أسمع صوتا ينذرنى :
(اخلع قشرتك الآنَ
وذبْ فى ألق الألوان . .)

من قصيدة الزلزال

أما قصيدة « الراوى قال » فعنوانها يدل عليها ، وإن كان يجب أن نبحث عن عنوان آخر يكون أكثر دلالة على مضمون القصيدة ، ونظنه « سقوط الأصنام » . أما القصيدة الثالثة فنجد هذا الصوت أو الهاتف يوقظ الشاعر من نومه قائلا : « انهض . . ينتظرك خلف الباب . ملكان كريمان . . جاءا من خلف الليل يشقان جوهرة الصدر المطفأة الألوان » . فالشاعر يعلن أنه يملك فى صدره جوهرة لكن مساوىء هذا العالم الموبوء أطفأتها . وهكذا يأتى هذا الحوار الدرامى فيضفى على القصيدة نوعا من الصراع ؛ صراع الشاعر مع العالم المحيط به ومع كل ما يؤدى إلى قبح هذا العالم وتخلفه عن تحقيق الفردوس على هذه الأرض .

ولعل قصيدة « عناق فى الغربة » تحتاج فى ختام هذه الدراسة ، أن نتوقف عندها قليلا . وهى قصيدة كتبها الشاعر أو ألقاها فى بغداد فى نوفمبر عام ١٩٨٥ . وهى تحتاج إلى أن نقرأها أكثر من مرة ونقف كثيرا عند صورها ومعانيها ومفرداتها وبنائها الفنى الناضج حتى نقف عند ما فيها من جمال . تبدأ القصيدة بالأبيات التالية :

وددت لو أنى استرحت ساعة
وأوثقت جواد الشعر فى شجرة
أو أننى قبضت من تراب الأرض قبضة
ثم مزجتها بالماء حتى تستحيل طميا
فأسد فجوة ما بين حائط الليل وباب القلب . !

فهذه أمنية يود الشاعر أن يحققها قبل أن يلتقى ببغداد هى أن يسد الفجوة ما بين حائط الليل وباب القلب ، حتى لا يفسد الليل عليه بهجته ونشوته بهذا اللقاء . والليل هنا يأخذ دلالته القديمة الممتدة فى التراث العربى وهى أنه يستطيل ويمتد باستطالة الهموم والأوجاع .

وها هو ذا حائط الليل يقف لأحمد سويلم بالمرصاد فيود أن يتخلص منه ساعة بأن يوثق جواد الشعر فى شجرة أو يقبض قبضة من التراب ويحولها إلى طمى حتى يسد بها فجوة الهموم القادمة من حائط الليل . وعند لقاء الشاعر ببغداد تفيض الينابيع أنهارا وبحارا . ولعل أفضل ما نختم به هذه الدراسة أن نورد أبيات هذا اللقاء السحرى التى تقول :

حين التقينا . .
كان كل ما أكنّه . . شيئا بقدر الكف مغلقاً
لكنه فض بأول انتباهة . .
وكان كل ما أظنه . . لم يعد كِلْمتين
فصار ألف ليلةٍ من الحكايا . .
وكان كل ما أشنه زوبعة قصيرة العمر
على جدار كوب الماء
لكنما غافلنى القلب . . ففجّر البحر القديم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هوامش

(١) انظر فى ذلك كتابنا « رائد الشعر الحديث خوان رامون خمينيث » دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، وبه فصل (الفصل الرابع) تحت عنوان « خوان رامون خمينيث وتجربته الصوفية » .
وقد كان لشيوع هذا الموضوع فى الشعر الحديث أثر فى ظهور كثير من

الكتب المخصصة لدراسته مثل كتاب هيلموت هاتزفلد « دراسات أدبية عن التصوف الإسبانى » الذى أصدرته دار نشر جريدوس فى إسبانيا وغيره من الكتب .

(٢) فى مقال أخير للأستاذ رجاء النقاش عن الشاعر حسن طلب نشر بمجلة المصور الصادرة فى ١٩٨٧/٩/١٨ جاء قوله : « ويجدر بنا أن نشير هنا إلى ملاحظة دقيقة للناقد النابه صبرى حافظ ، فى تعليقه على عشق حسن طلب لألفاظ اللغة العربية وحروفها حيث يقول : « إن هناك مرضا جديدا انتشر فى أوساطنا الاجتماعية والثقافية . وهو مرض الرطانة باللغة الأجنبية واحتقار اللغة العربية وقد بدأت اللغة الأجنبية تسود وتصبح لغة الإعلان واللافتات والأغانى الشائعة ، وهذا ما خلق عند عدد من الفنانين ومن بينهم حسن طلب نوعا من التحدى فانحازوا إلى اللغة العربية وأخذوا يتغنون بحروفها وألفاظها ، ليعيدوا الاعتبار إلى اللغة القومية ويصدوا زحف الغزو الثقافى الجديد ضد هذه اللغة » .

وهكذا يتلاقى الحس الواحد عند الجيلين الأخيرين

القاهرة . د حامد أبو أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسة

تيار الوعى ورواية إسماعيل فهد: كانت السماء زرقاء

د. عبد البديع عبد الله

بظهور رواية « تيار الوعى » تحول اهتمام الكتاب من تصوير العالم الخارجى الى محاولة التعبير عن العالم الداخلى للشخصيات متأثرين فى ذلك بعدة عوامل فلسفية وفنية منها : نظرية « فرويد » عن اللا شعور ، وظهور فلسفة جديدة للفن تقوم على رفض المحاكاة والنظر إلى العمل الفنى كيانا مستقلا ، ورواية تيار الوعى ، رواية « تكنيك » ، توظف إمكانات فنية كثيرة ، منها استخدام « المنلوج الداخلى » ، والرمز وتحدث تأثيرات خاصة باستخدام بعض العناصر والاستفادة منها ، كالموسيقى « والفن التشكيلى ، وتكنيك السينما ، بالإضافة إلى القدرة الخاصة للكاتب على استخدام اللغة ، والجمل القصيرة ذات الإيقاع السريع كما يستفيد كتابها من الطباعة بتنويع الحروف بين « البنط » العادى والبنط الأسود للتمييز بين السرد وما يدور فى وعى الشخصية .

وأول سمة مشتركة بين كتاب تيار الوعى فى الرواية العربية ، ثورتهم على « القص » ، فالرواية تبدأ من نقطة « ما » قد تكون قمة الانفعال ، وقد تكون لحظة شديدة الهدوء فى الظاهر ، ثم يستخدم الكاتب وسائله فى الرجوع الى الزمن الماضى ، والتقدم إلى الأمام . . . وهكذا يظل القارىء فى حالة انفعال حتى ينتهى من قراءة العمل فيحاول أن يعيد ترتيبه فى ذهنه اذا أراد أن يعرف « الحكاية » التى أصبحت غير موجودة ، أو غير موجودة بالشكل التقليدى المألوف .

ولعل سبب ذلك : أن عملية التداعى الذهنية لا تسير وفق تسلسل منطقى مرتب ، ولكنها لحظات طارئة سريعة ، تتمثل على هيئة أفكار متتالية ، أو صور كثيرة لا يمكن السيطرة عليها أو إيقاف تدفقها لأنها بعيدة عن سيطرة العقل الواعى ، فهى تتم بصورة غامضة مبهمة لا تخضع لمقاييس منطقية .

وفى رواية «كانت السماء زرقاء» لإسماعيل فهد إسماعيل ، وهى إحدى روايات تيار الوعى العربية ، يصرح الكاتب بأسباب استخدام حروف الطباعة المختلفة وأنها «لزيادة الايضاح» وهو اعتراف ضمنى بالغموض لأسباب كثيرة أشرنا إلى بعضها ، وخلاصتها أن رواية تيار الوعى ، تفتقر إلى الوحدة الموضوعية التى تمكن الكاتب من اختيار نقطة للبداية يرتفع معها إلى قمة الحدث ، ثم يبدأ إلى الهبوط تدريجيا إلى الحل أو النهاية . فالكاتب هنا لا يبدأ من البداية ، ولا يعرف أين ينتهى بل إن الزمن أصبح ضيقا فى هذه الرواية إلى درجة بالغة ، فالرواية تدور فى « لحظة » ولكنها لحظة شديدة الكثافة ، تضع القارىء فى قلب المشكلة . وبدلا من المقدمات السردية ، تغمر الرواية القارىء بالتفصيلات الحاضرة أو « الآنية » التى يندمج فيها الزمان والمكان ، لأنها تعبر عن حالة شعورية فياضة تبدأ بعد محاولة هروب فاشلة انتظارا للحظة التالية التى يتوقع فيها الهاربون القبض عليهم فيساقون الى قدرهم ، أو ينجون بجلودهم ويعودون الى حياتهم . وبين اللحظة الأولى التى حدثت وانتهت ، واللحظة الأخرى المتوقعة تدور الرواية . فى هذه اللحظات الفارقة التى زرع فيها الهاربون على آخر خط لحدود بلادهم بعد محاولة الهرب الفاشلة ، يكون التداعى . إنها حالة عصبية لا يمكن للعقل أن يسيطر عليها ، أو

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمنطقها ، أو حتى يواجهها ، فلم يكن بد من انطلاق الوعى الآخر أو الباطن .

والرواية ذات طابع شديد الخصوصية ، تقوم على مجموعة كبيرة من المعدلات الصعبة المتشابكة تقدم ، بشكل ما ، يدور فى ذهن بطل شديد الحساسية لا اسم له .

وسنحاول أن نقوم بتجميع صورة البطل من خلال المعلومات المتناثرة على امتداد الرواية ، قبل الحديث عن عملية التداعى ، حتى يكون الحديث عما يدور فى ذهن البطل مرتبطا بنوع من المعرفة لهذا البطل .

هو هارب بين مجموعة من الهاربين فى نقطة بعيدة عند طرف الحدود . وهذه النقطة التى توقفت عندها رحلة الهروب ، تبدأ منها رحلة جديدة هى مرحلة المواجهة . ويتراوح عدد الهاربين بين خمسة عشر رجلا وعشرين ، ولكنهم يتناقصون حتى يصبحوا اثنين ، البطل الراوى ، وضابط معلق على الأسلاك الشائكة بعد أن أصابته رصاصة فى إليته أعجزته عن الحركة . هو ضابط سابق أطاح به الانقلاب العسكرى ، وأصبح مطلوبا بتهمتين ، الأولى أنه من رجال النظام السابق ، والأخرى أنه قتل الجنود الثلاثة الذين أبلغوه بالانقلاب وما يحدث له بعد ذلك من تقاعد وتخل عن المراكز التى كان يحتلها فى النظام السابق .

انهما اثنان ، أحدهما مدنى هارب من واقع حزين مر ، والآخر « عسكرى » هارب من مصير يلقاه عادة من دارت عليهم الدائرة ، وهذه هى المعادلة الأولى فى سلسلة المعادلات التى ترسم شخصية البطل ، وتبنى عليها الرواية .

إما المعادلة الثانية ، فهى تلك العلاقة الغريبة بين الهارب المدنى وامراتين إحداهما زوجته ، والأخرى حبيبته ، ولكل منهما تناقضاتها مع نفسها وتناقضاتها معه . وأغرب هذه التناقضات أنهما تحبانه حبا قويا ، لكن هذا الحب من جانبهما ، لا يمنعه من طلاق الأولى ، وفض بكارة الثانية ، والهرب ، أو محاولة الهرب من كلتا المرأتين معا .

والحق أن امرأة هذا البطل كانت قد فرضت عليه فرضا دون معرفة سابقة ، إذ كان مشغولا بأخرى ، يحبها ، ويفضل أن يظل مرتبطا بها برباط عاطفى لا شرعى ، لكن الأسرة - وللأسرة سلطان فى مجتمع محافظ - رفضت الاعتراف بشرعية العلاقة ، وإمكان استمرارها لسببين هما أن الفتاة التى يحبها عجفاء ، فهى غير مرغوب فيها كامرأة ، فى عرف أهله . والثانى أنها على غير دينه ، فهى ليست مسلمة . ولم يستطع الحب أن يدافع عن نفسه فسقط ، وجاء دور الأب - والمجتمع منذ البداية أبوى - ليفرض على ابنه الفتاة التى ينبغى أن يرتبط بها ، برغم أنه لا يحبها ، بل لا يعرفها . وعلى الرغم من أن الإبن رفض فكرة الارتباط بمن فرضها عليه أبوه ، فإن الأب لم يرعو وإنما سار فى إجراءات الزواج بين ابنه وتلك الفتاة التى لم يرها ولم تره . وعند عقد القران يرفض الإبن الحضور فيعقده الأب نيابة عن ابنه ، ثم يفعل أبوها الشىء نفسه بالنيابة عن ابنته ، ويسجلان العقد باسميهما فيصبح الفتى زوجا للفتاة دون أن يسبق ذلك أى صلة من صلات الود والتقارب . وبعد أسبوع من القران يبدأ التعارف بين الزوجين وينتهى الى بيت الزوجية ، لا بقوة حب نما بينهما ، ولكن بسلطان الجنس واندفاع الشباب ورغباته ، فقد كان الجنس مشتعلا فى البداية ، فأعمى الفتى عن تناقضاته مع زوجته ، ثم لم يلبث أن هدأت فبدأت العاطفة تتململ ، وراح العقل يفكر ، فكانت الأزمة بينهما ، تلك الأزمة التى انتهت بالطلاق .

وأما المعادلة الثالثة ، فتتم من خلال الربط الذكى ، بين تطور علاقة البطل مع زوجته وصديقته ، وبين ما يدور على الشاشة فى سينما الرافدين فى أحد أفلام شارلى شابلن الصامتة . هذا إلى جانب مجموعة من الدلالات الرمزية كان الكاتب يلقيها هنا وهناك ، ويتداخل فيها القصد الواقعى بالقصد الإيحائى . فالضابط الهارب المعلق على السلك الشائك الذى يأكل الفجل ولا يجنى منه إلا الغازات هو أحد هذه الدلالات . عندما ما يعلق زميله على إحساسه بالألم فى معدته بقوله : « أنت اخترت نوع الطعام الذى تأكله ، لهذا عليك أن تتحمل نتيجة الوجبة التى أكلها طموحك الزائف » . « إن يبدو واقعيا لإنسان لا يجد ما يأكله فيأكل ما يجده ، ولكن عبارة « الطموح الزائف » تجعل للمعنى دلالة أخرى غير الدلالة الواقعية المباشرة ، فالفجل لا يمثل طموحا زائفا أو حقيقيا الا اذا كان رمزا لشىء ما وهو ما نجده فى متابعة الحديث فيقول : « ولكنك ماذا فعلت ؟ قتلت جنودا ثلاثة أمروا بالقبض عليك ، تماما كما أفكر الآن بضربى معدتى للتخلص من آلام الغازات » .

فالفجل لم يعد طعاما يتقوت به ، وانما أصبح رمزا للوجبة التى يصعب هضمها بلا ألم . هو القتل الذين قتلهم الضابط الهارب ساعة إبلاغه بالنبأ ، ثم بدأ يعانى احتمالات القصاص .

واستخدام التداعى فى هذه الرواية يتم بشكل تلقائى الى حد كبير . بدأ من لحظة الفشل فى الهروب الى عبادان بإيران ، والتوقف عند آخر نقطة من أرض بلده تطل على نهر شط العرب ، وتهدده طلقات حرس الحدود تحصد الهاربين . فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الحالة العصبية كان لابد للعقل أن ينطلق ، ولابد أن تكون انطلاقته الى شى مبهج يعوضه عن جثوم اللحظة والامها ، فكانت ذكرياته المتخبطة أول حالة من حالات التداعى : « كان ثوبها أزرق ضيقا يبرز مفاتن صدرها وفخذيها . حدث ذلك قبل يومين . . . »

وربما يدل هذا التداعى على الندم ، لأنه رفض أن يسمع إليها وهى التى حاولت أن تمنعه من الهروب إلى حد أنها أعطته أقصى ما يمكن لامرأة أن تعطيه ، بقية الحوار فى موضع آخر بالكتاب « لن أعود إلى البيت إلا بعد أن تعدنى بالعدول عن الهروب إلى إيران » . أجبتها .

لا أستطيع وعدك .

توقفت عن السير . كناقد حاذينا القاطرات الحديدية الصدئة . . - أرجوك ! . . أتوسل إليك ! . أنا بقيت على إصرارى . . لا . . - من أجلى : - أنا أحبك ! . فأجبتها : وأنا أحبك لكن سأذهب . أمسكت برأسى ، قبلتنى بقوة . . - أرجوك ! بدأ الدم يغلى فى جسدى . . - من أجلك أثور على العالم ، ولكن ليس على قرارى الأخير ! . عادت تقبلنى بأشد . . - أنا أحبك ! وبكت . . - لا تفسدى جمالك بالبكاء ! جففت دموعها . . - سأكون كل لك إن لم تذهب ! .

ويعدها بالعدول عن السفر ، وكان يعرف أنه يكذب ، فحاول الهرب ، لكنه فشل . أما هذه التى منعته من السفر ورمز لها بثوبها الأزرق الضيق الذى يبرز مفاتن صدرها وفخذيها ، فهى الوجه الآخر لواقعه المريض اليائس إنها الأمل الذى يحلم به ولايثق بتحقيقه . لذلك يهرب منها دائما ، وتلاحقه دائما . تحاول أن تخفف عنه أزمته . تفهم سر الخلاف مع زوجته لتتجنبه . تلعب دورها فى سبيل إبرائه من آلامه الزوجية والعاطفية والنفسية . هو يعانى من زوجته إهمالها مشاركته فى الاهتمامات فتعطيه الاهتمام . تقرأ كراساته التى يخفيها فى مكتبته وتناقشه فى قصصه التى يكتبها . هو يعانى من زوجته حالة الخمول والثبات وعدم التغيير ، وتأتى ذات الثوب الأزرق ، المدرسة باحدى المدارس لتحاول أن تثير فيه من جديد الإحساس بالتغيير والجمال من خلال مناقشاتها المستمرة ودفاعهاالمستمر أحيانا وإحساسها بالمسئولية أحيانا ومدحه بكلمات مثيرة لغروره مثل أنت إنسان خاص لتحيى بها إحساسه بإنسانيته ، وهو الإحساس الذى أوشك أن يقتلعه من عالمه ويطيح به بعيدا . إنها تعمل على تحسين أحواله العائلية ليبقى . وزوجته أو واقعه ، تعمل دائما على منعه من الهروب منها فمن تكون هذه ، ومن تكون تلك ؟ .

يبدو أن هاتين المرأتين ليستا سوى رمزين وضعهما الكاتب ليقدم من خلالهما قضية القصة ، وهى قضية سياسية ، فالزوجة هى النظام القائم المفروض بشكل ما عليه . وهو يفرض بقوة القانون وبقوة وجوده ما يشاء ، والإنسان يرفض واقعه لأنه يشعر بأنه مظلوم فيتمرد . تقول الزوجة طلقنى وسأضع يدى على الجزء الأكبر من راتبك . الدين والقضاء الى جانبى والدين والقضاء هما النظامان اللذان يحكمان العلاقات بين الناس فى المجتمع . بل انها تهدده باسقاط الجنين الذى تحمله لأنها لا تحبه ، تهدده بالانتحار بشرب زجاجة من النفط ، ولكنها لا تنفذ تهديدها لأنها تجد فى اللحظات الأخيرة أنها ترضيه بهذه الطريقة فتكف عن محاولة تحقيق ماتريد لئلا يكون فى ذلك تحقيق لإرادة يتمناها بدوره . ولذلك تعيش تعيسة وتعذبه معها ، هو فى النهاية سيطلقها وينهى الموقف ويحرمها من كل شىء بالهروب ، ولكن ذلك لا يتم لأنه لن يهرب ، كما أن الخوف من مضايقاتها بإقامة العلاقة الجديدة مع قريبته ذات الثوب الأزرق التى تمثل الوجه الآخر من الشخصية أو السعادة كما يحلم بها على الأرض . لكنه مصر على الهرب لأنه يجد أن هذه المرأة التى تحمل كل إمكانات السعادة لن تمكنه من نيل شىء مما يتمناه فى حياته مادام هذا العسكرى الهارب على قيد الحياة .

إن هذا العسكرى أو الضابط السابق المضروب بالرصاص والمعلق على سلك شائك فى نقطة على الحدود يجب أن يموت إذا كان للآخر أن ينجو عن الهرب ويعود إلى من تحبه ، ولكنه لا يقتل هذا الضابط وإلا أصبح فى نظر نفسه على الأقل قاتلا ، كما أنه لا يستطيع أن يساعده فى الذهاب إلى أقرب مستشفى لإخراج الرصاصة وتطهير الجرح لأنهم سيقبضون عليه ويرحلونه إلى حيث يلقى جزاءه ، فهو إنسان لا يملك المقدرة على الاستمرار ، حيا بلا إرادة ، وقد فقد ماضيه وأصبح بلا مستقبل ، وحاضره مريض ، لذلك يشعر الضابط أنه لاقيمة له فيلح على صاحبه الهارب ألا يهرب وأن يعود الى من أحبته ووهبته السعادة ليستأنف معها حياته . واذا كان الشرط الوحيد لاثناء الهارب عن تنفيذ خطته هو موته فإنه يرحب بأن يموت لتعيش هذه المرأة الوفية الجديرة بالحياة مع من أحبت .

وفى القصة إيحاءات كثيرة ترمز إلى سخرية الكاتب من رتابة الحياة وسطحيتها والاهتمام بالمظاهر دون الجوهر عند ذهابه إلى سينما الرافدين يقول انه لم ير هذه السينما من قبل فيسمع من يجيبه بأنها نفس السينما القديمة لكنها جددت وأعيد افتتاحها ، فيعلق على هذا قائلا : إذن فالمادة الخام هى هى . الجوهر هو هو . . تبدلت الأسماء ، وزوق المظهر الخارجى بألوان رخيصة . واقع ماقبل سنوات هو واقع اليوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما يبدأ العرض بفيلم من أفلام الدعاية يعلق بقوله : هم دائما يدعون إلى الأحسن .

والكاتب يعتمد على استخدام تكنيك السينما أو المونتاج ، ليربط بين المعادلات التى أشرنا إليها باستخدام القطع المفاجىء ، والارتداد ، فالقصة تبدأ بحالة الهروب الفاشلة ، ثم يتم قطع السرد لندخل فى ذهن الهارب المدنى بطل الرواية ، ونحيا جزءا من قصته مع صاحبته ذات الثوب الأزرق . ثم نعود الى واقعه ، فنجده يسمع صوتا يأمره بالهرب . لكنه يصر على توضيح أنه ليس متهما ، ويتوقف فيرى الأمر ، فاذا هو الضابط المشبوح على السلك الشائك مصابا . يدور بينهما حوار يتداخل فيه الماضى والحاضر ، أو الواقع والحلم ، أو التاريخ أو الذكرى .

ويميز الكاتب بين السرد والذكرى « التداعى » باستخدام نوعين من الحروف : الحروف العادية للسرد ، والحروف السوداء الثقيلة للتداعى ، ويستخدم فنية المونتاج السينمائى ، للربط بينهما عن طريق استخدام القطع المفاجىء . والدخول فى حدث جديد ، ثم القطع مرة أخرى والعودة إلى الحدث السابق ، ثم قطع جديد . . وهكذا . وهذه الطريقة مرهقة لذهن القارىء وتقتضى منه تركزا شديدا لأنه يشعر كأنه يقرأ قصتين فى آن واحد ولكنهما منفصلتان ، الرباط بينهما غير مرئى ولا واضح ، ولكنه بعيد يبدو فى المعادلات الموضوعية ، واللوازم الإيحائية التى تربط المستويات المتباينة للأحداث ، ومنها استخدام شخصية شارلى شابلن كمعادل رمزى للبطل يوضح أو يزيد غموضا - أحيانا - العلاقة بين البطل والزوجة والحبيبة . كما فى اللقطات التالية :

(١) « ركز عينيه على شارلى شابلن وهو يسير منفرج الساقين » وتمثل هذه اللقطة رمز الحبيبة ، التى كانت تسير منفرجة الساقين بعد أن فض بكارتها فى الطريق عند محطة القطار القديمة بالبصرة .

(٢) شارلى شابلن يطلق سائلا أسود من مضخة صغيرة فى يده على وجوه المارة معيدا بذلك تمثيل حركته وهو يقوم بضبط صمامات داخل المعمل . فيعلق البطل على ذلك بقوله : أنا أيضا أطلق إنسانية سوداء فى وجوه الآخرين .

(٣) شارلى شابلن تجرى عليه تجربة الأكل عن طريق آلة مبتكره « إناء الحساء دلقته الآلة على ثيابه » فيعلق على هذا بأن فتاته ناضجة للأكل كذلك بعد أن يتطلع إلى نهديها المتململين داخل الثوب الأزرق .

(٤) شارلى شابلن يهرب من رجل الأمن . امرأة مكتنزة تطلب اليهم - بالاشارة - الامساك به وهو تعليق على الصراع بينه وبين زوجته بعد طلاقهما وإصرارها على أن يوصلها إلى بيت أبيها ، فى نفس الوقت الذى بدأ ذاك الصراع كأنه مطاردة جنسية له ، « اذهب بى إلى بيت أبى » . ابتعدى عنى . أنا غريب عنك . لكنها ألقت بالطفلة على الأريكة وتشبثت بى . أصبح جسدها يلامس جسدى . الدين لا يسمح .

والرواية تبدأ من نقطة ما من التطور ، هى النقطة التى تلى نهاية الحدث أو الختام ، وليست هذه النقطة هى بداية الرواية فحسب ، ولكنها بداية النظر من جديد إلى الأحداث الماضية ، على ضوء العلاقة الجديدة بين الهاربين ، العسكرى والمدنى ، وما يسفر عنه التقارب بينهما من اعادة نظر فى الحدث الروائى . وهذا لا يعنى أن الرواية ، التى بدأت بعد أن انتهت أحداثها ، تعود وتستقيم فى السرد مرة أخرى فى خط نام متطور ، فنحن نواجه فى كل لحظة ، بتقدم الى الأمام ، وتقطّع أحداث وتفاصيل ، ثم نفاجأ بأننا نعود مرة أخرى الى نقطة مالم نكن قد مررنا عليها بحسب التطور التدريجى المفترض . انها أشبه ما تكون بغرفة ذات أبواب متعددة متداخلة ، لا ندرك بالضبط أى باب نلجه لنصل الى الخارج ، ومع ذلك نلج أبوابا كثيرة ، بعضها نكون قد مررنا عليه من قبل دون أن ننتبه اليه وبعضها لم نكن نتوقع ولوجه بسرعة . ولكننا نفاجأ فى النهاية بأننا وصلنا الى الخارج . هذا هو ما يجعل الكاتب يتحرك الى الأمام ، والى الخلف ، ليلقى مزيدا من الضوء ، كلما أدرك أن هذا ممكن . وعلى سبيل المثال ، نرانا أمام خلاف زوجى لا نعرف كيف بدأ وعلى أى صورة ينتهى ، فنجد أن الموقف بين الزوجين متأزم الى درجة التدهور :

زوجتك مجنونة . هى لا تريد لك الاختلاط بأى انسان آخر . كنت أعلم بأنك ستثور يوما فتحطمها على ألا تحطم نفسك ، أما قصة هذه الزوجة التى استحالت الحياة معها ، فإننا لا نتعرف عليها إلا بعد ذلك بستين صفحة كاملة ، وقبل ختام القصة بثلاثين صفحة . زوّجها له أبوه ، بعد أن رفض فكرة الزواج من فتاة أخرى ، غير العجفاء ، التى كان على علاقة بها . بعد عقد القران بأسابيع استطاعت أمى إقناعى بمحاولة الاختلاط بها . فان لم تعجبنى سنجد لك حلا .

وليس الهدف من عمليات الارتداد ، وعدم إعطاء كل المعلومات دفعة واحدة ، إثارة صعوبات فى وجه القارىء ، أو إحداث غموض لديه ، وإن كانت كلتا النتيجتين و ردة عن غير قصد ، ولكن الكاتب يعطى من المعلومات بقدر ما يسمح

الموقف ، ويدخر بعض المعلومات ، لحين الحاجة إليها . إنه لا يقدم عملا روائيا جاهزا ، ولكنه يبنى العمل من خلال رؤ ية مفترضة لذهن متوتر قلق ، لا يستطيع أن يكون مرتبا مسلسلا منطقيا مع نفسه ومع الآخرين ، ولذلك اختار ذهنا متعبا متوترا ، لئلا يحدث فى العملية الإبداعية ما يمكن أن يقال عنه تصنع ، هو ذهن البطل الهارب ، العاجز عن مواصلة الهرب ، أو العدول عنه فهو فى موقف سىء يائس ينتظر الخطر ويحيطه الخطر بالفعل ، فلا يجد مفرا من الاستلام لضغوط اللحظة ، فكانت هذه الرواية .

القاهرة : دكتور عبد البديع عبد الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشروع

رواية تأليف حسين عيد

عرض نقدى

فؤاد كامل

فى أواخر الخمسينات ، اهتم بعض نقادنا المعروفين وأخص منهم بالذكر ، المرحوم الدكتور محمد مندور ، والدكتور لويس عوض ، والأستاذ رجاء النقاش ، والأستاذ أحمد عباس صالح - بقالب جديد لكتابة القصة أو الرواية القصيرة هو قالب « الأوتشرك » ، Oeherk ؛ وذلك على أثر مقال مُتَرْجم نُشر فى مجلة « الشرق » التى كانت تصدر حينذاك . وجاء فى هذا المقال أن « الأوتشرك » تحقيق صحفى أو دراسة مفصلة لقطاع ما من قطاعات الحياة فى بلد من البلدان - قد يكون من البلدان النامية ، أو المتقدمة على حد سواء - ولكنه تحقيق أو دراسة تتخذ طابعا فنيا هو طابع القصة القصيرة أو الطويلة نوعا ما ، ويكون هادفا بطبيعة الحال إلى الكشف عن سوءات القطاع الذى اتخذه موضوعا له ، والتصدى لإصلاحه . فهو أولا وقبل كل شىء من الأدب الواقعى الجديد الذى يرى أن الفن للمجتمع ولخدمة الحياة .

وربما كان المناخ العام - الاقتصادى والاجتماعى - السائد فى بلدنا الآن هو أفضل مناخ لظهور مثل هذا القالب وانتشاره . فثمة قدر من الحرية يتيح لكتابنا من القصصيين والروائيين أن يتعقبوا الفساد والانحلال فى كثير من قاعات المجتمع . ولن تنقصهم فى محاولات التعقب هذا الدراسات والأبحاث الموضوعية التى نشرت فى تلك المجالات ، والتى غالبا ما تدفن فى الأدراج إن كانت صادرة عن هيئات أو مؤسسات أنشئت خصيصا لوضع تلك الدراسات والأبحاث ، أو يتغافل عنها المسئولون ويتجاهلونها إن كانت صادرة عن أقلام حرة لا تتوخى غير الصالح العام . هذا عن جانب المضمون الذى يمكن أن يُصَبَّ فى هذا القالب الجديد - قالب « الأوتشرك » . أما من ناحية الشكل ، فأظن أن القالب القصصى والروائى عندنا قد بلغ درجة ملحوظة من النضج الفنى على أيدى كبار أدبائنا من المبدعين فى هذا المجال ، بحيث يسمح لقصاصينا من الشبان الجدد أن يصوغوا تلك المضامين والدراسات الموضوعية فى القالب الفنى المنشود الذى يخلو من الخطابية والمباشرة .

والرواية القصيرة (مائة صفحة) التى كتبها القصصى الشاب حسين عيد بعنوان « المشروع » والتى صدرت مؤخرا عن « دار الشؤون الثقافية العامة » فى بغداد - نموذج طيِّب لهذا القالب الجديد الذى يتناسب مع أوضاعنا السائدة . وقد دفعنى إلى كتابة هذا العرض النقدى لهذه الرواية القصيرة أو القصة الطويلة خطورة القطاع الذى تتعرض له ، وهو القطاع العلمى فى بلدنا ، قطاع الأبحاث الذى يُعَدُّ فى كل بلد نام - طليعة التقدم ، والرأس المفكر المُبتكِر الذى نعلّق عليه أعظم الآمال فى نهضتنا المعاصرة ، وصحوتنا المتأخرة .

وهذه الرواية حلقة فى مسلسل الضمائر الشريفة التى تتهاوى ضميرا إثر ضمير ، والقلاع التى تتداعى قلعة إثر قلعة ، هى قصة العلماء الذين آثروا البقاء فى بلدهم لخدمته ، ولم ينضموا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى أفواج العقول المهاجرة من العلماء النوابغ الذين كانوا معقد الرجاء فى إصلاح هذا البلد ، (وهل من الممكن إصلاح بلد بغير نوابغ أبنائه ؟) . فماذا كان مصير هؤلاء الذين آثروا البقاء فى أوطانهم ؟ هذا هو ما تقصه علينا رواية « المشروع » .

« ص » بطل الرواية شاب فى منتصف العمر ، تخرج فى كلية الزراعة ، والتحق بمركز من مراكز البحوث الكبرى فى مصر ، وذلك لشغفه بالبحث العلمى ، واقتناعه بأن الملاحظة والتجريب هما أساس المعرفة ، والسبيل إلى النهوض . انكب على عمله فى إخلاص وتفانٍ ، فسبقه زملاؤه ، الذين لم يكونوا على مثل أمانته العلمية ، بسبب ذكائهم الاجتماعى ، أو بالاحرى نفاقهم الاجتماعى وتزلفهم لرئيس المركز الذى تخطى « ص » فى الترقية عدة مرات ، بل ترك القسم الذى يعمل به « ص » دون رئيس بضع سنوات لكى لا يمنح « ص » هذه الرئاسة وهو يعلم أنه أكفأ العاملين فيه .

و« ص » متزوج ، وزوجته تعمل هى الأخرى ، وله منها ولدان وبنت ، وثلاثتهم يتعلمون فى مدارس أجنبية ، كما أن له أبا شيخا عليلا فى حاجة إلى نفقات للعلاج ، لأن معاشه الضئيل لا يكفيه . وباختصار تأخذ بمخنق « ص » أزمات اقتصادية ضاغطة تشتد قبضتها يوما بعد يوم ، وهى الأزمات التى يعانيها معظم الموظفين الشرفاء محدودى الدخل فى هذه الأمة .

فى هذه اللحظة المتأزمة من حياة « ص » ، وفى هذه الحياة المأزومة التى انشغل عنها بعكوفه على بحوثه العلمية عكوف الزاهد - يعرض عليه مدير المركز الانضمام إلى مشروع من المشروعات العديدة التى تقوم بها مؤسسة أجنبية فى مصر ، وتحتاج فى تنفيذها إلى معاونة العلماء المختصين فى المركز ، لقاء مرتبات ومكافآت سخية تغدقها على المتعاونين معها .

يفكر « ص » طويلا فى الأمر ، ويتشاور مع زوجته التى تتحدث إليه عن قبوله لهذا العرض بوصفه شيئا مفروغا منه . ويستعرض « ص » أزماته المالية المتلاحقات ، والضغوط التى تحاصره من كل جانب ، وتنتهى به أوضاعه المأزومة إلى الهزيمة !

يأخذ المؤلف بعد ذلك فى رصد رياح التغيير التى هبت على حياة « ص » . وهنا تظهر براعته القصصية ، فبعد أن كان معنيا فى الشطر الأول من الرواية بتسجيل الظواهر الخارجية المحيطة ببطل قصته ، ينتقل فى هذا الشطر الثانى إلى الاهتمام بما يدور فى الداخل . . فى نفسية « ص » ، فيتعقب دبيب الخداع الذاتى ، والتبرير العقلى الزائف الذى يحاول به « ص » تخدير ضميره ، والتنكر لكل القيم والأسس التى قامت عليها حياته ، وأمانته العلمية بوجه خاص . وكان من الممكن أن يتخذ هذا الشطر من الرواية عنوان مسرحية أرثر ميللر الشهيرة « بعد السقوط » ، كما كان من الممكن أن يكون عنوان الرواية كلها : « سقوط عالم » ! ويسوق الكاتب انطباعات « ص » بعد زيارته الأولى للمؤسسة الأجنبية :

« كان (ص) مبهورا بكل ما يراه حوله . لم يصدق عينيه وهو يرى تجهيزات المعامل ، وهو الذى اعتاد العذاب للحصول على أتفه احتياجات العمل كالكحول الأبيض مثلا . . أدهشه أيضا مقابلة عدد كبير من أساتذة الجامعة . . خرج فى النهاية ثملا بما رأى . . . فوجد مندوب المؤسسة والسيارة فى انتظاره ليوصلاه إلى منزله ، أخبره بالعنوان ، وظل طوال الطريق صامتا ، ساهما . . لقد تفتحت له فجأة أبواب عالم جديد ، يستطيع بدأبه وإخلاصه أن يقدم فيه إنجازا غير مسبوق . . فبدا وكأنه يهمس لنفسه ؛ لابد أن نستفيد من تلك الإمكانات المتاحة ونبذل الجهد من أجل التنمية . . سوف أضرب المثل للزملاء ، وأكون نموذجا فى التفانى والأمانة العلمية . . وسوف أعلو - كعهدى - على تفاهات الزملاء وما يتردد عنهم أحيانا ، وأهم شىء سيكون أمامى فى المرحلة القادمة هو اختيار فريق عمل مناسب ، سيكون معيار الاختيار هو الكفاءة والنزاهة ولا شىء سواها ، ولن تتدخل الوساطة أو المحسوبية فى اختيارى . سوف أضرب المثل لكل الزملاء . . سوف أضرب لهم المثل . . ! » .

وهكذا بدأت الخطوة الأولى فى السقوط بخداع النفس والتبرير العقلانى الذى يؤدى بصاحبه فى نهاية المطاف إلى أن يصبح مَثَلاً وعبرة لمن لم يتردوا بعد فى الهاوية ، ولمن فاتهم السقوط !

وعندما دخل « ص » ذلك العالم الجديد ، تغيّر كل شىء من حوله : مركزه فى القسم ، إذ أصبح رئيسه ، معاملة الزملاء له فى الأقسام الأخرى بعد أن علموا برضا رئيس المركز عنه ، حياته العائلية . . « اجتاحنى دوار خفيف . شعرت وكأنى أجرى ، ألهث ، ثمة تيار قوى يجذبنى إليه بقوة خفية ، فيحوّل إيقاع حياتى الرتيب إلى إيقاع صاخب لم أعتده من قبل . أحداث يلطمنى وقعها كموجات البحر التى لاتهدأ . عالم جديد الجهة ، يجيش بحركة صاخبة لم ألفها . أندفع فيه . أعيشه بكل ذرة من كيانى . أتجرعه حتى

الثمالة . أنا المحروم ، أسير بحيرة حياتى ، الساكنة ، الراكدة الآسنة التى كنت أرقب فيها سنوات عمرى ، تتسرب أمام عينى مهدرة ضائعة ، داخل أنابيب الاختبار والمراجع أو بين شكاوى زوجتى المستمرة من تكاليف المعيشة المتزايدة ، ومتاعب الأسرة وتربية الأولاد . . لا أملك أن أوقف ضياعها . .

« فهل أملك ـ الآن ـ أن ألتقط أنفاسى لأفكر مليا فيما يحدث ، وأنا أرى الثمار من حولى تتدانى ، وما علىّ إلا أن أقتطف منها ما يحلو لى ؟ هل أملك ؟ ! »

وبالطبع ، لا يملك من أخذ فى السقوط أن يمنع نفسه عنه ! ومع انغماسه فى السقوط بكل ما يصاحبه من علاقات زائفة ـ ومنها العلاقات الجنسية بزميلات له فى العمل ـ بدأ تحليله ووعيه بما حوله يتناقص شيئا فشيئا ، وأحس بأنه لم يعد يفهم شيئا مما يدور حوله : « ومن قال إنه يفهم شيئا فهو فى الحقيقة جاهل . . »

وفى ومضات من الوعى خاطفة كان يداهمه سؤال مفاجىء : « هل بدأت أكذب على نفسى ؟ ! » . ومن قبيل هذا الكذب على النفس كان رده على زميل له هو « على زكى » الذى حذّره من التعامل مع تلك المؤسسة الأجنبية لأنها تنظّم بحوثا مشتركة مع العدو ، عن المحاصيل التى تنمو فى المناطق الجافة . . قال « ص » : « إن ثوريّتك القديمة تهيىء لك أن الأعداء وراء أى عمل لا نقوم به وحدنا . . إن المؤسسة تدعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد ، وأعتقد أننا كبار بما فيه الكفاية ، لكى نعى ما نفعل وان نستفيد من الخبرات والامكانات التى تعرض علينا . . ولا تنسَ أن هذه المعونات تخضع لنظم ودراسات على أعلى مستويات ويتم اعتماد بروتوكولات تعاون دولية فى هذا الشأن . . وكلها أمور تخضع لقواعد وأسس تضمن سلامة هذه البرامج . . ولا تنس أيضا أن مجال عملنا هو العلم والبحث العلمى . . لقد أصبح تبادل المعلومات العلمية والخبرات أمرا متاحا فى جميع أنحاء العالم . . ونحن نتعامل بصدر وعقل مفتوحين ، ونعلم أن هناك من يعمل معنا ، وأن هناك من يعمل مع الأعداء . لكنى أكرر أننا قد نضجنا بما فيه الكفاية ، لكى نعى ما نفعل . . »

« وعلى زكى » هذا هو ما يمكن أن نسميه « البطل المضاد » فى الرواية ، وإن يكن فى حقيقة الأمر « البطل الصالح الذى لم يسقط تماما كالآخرين » . أو هو بمعنى أدق « ضمير الرواية » أو شخصية المؤلف . غير أنه عندما تمادى فى شكوكه واتهاماته ، ووضع يده على جوهر « المشروع » ولبابه الذى ترمى إليه المؤسسة حين قال لزميله المخدوع (ص) إياك أن تخدعك أموال المشروع التى تقدمها لك المؤسسة . . إنها قليلة بما يحصلون عليه منا . . إنهم يضربون النظام العلمى والأمانة العلمية فى داخلنا ، يفرقون بيننا ، يمزقوننا من الداخل . . هل يعجبك هذا التناقض بين زميلين فى معمل علمى واحد . . أحدهما فى مشروع والآخر ليس كذلك ؟ قارن بينهما من حيث الدخل والامكانيات والعلاقات والفرص . . »(ص ٥٩) ـ عندما وصل « على زكى » إلى هذه الدرجة من الوعى بأهداف « المشروع » الخفية ألا وهى رسم الخطط من أجل استعمار ثقافى وفكرى لبلادنا ، مستغلين نقص إمكاناتنا وظروفنا المعيشية الصعبة ـ كان مصيره أن أدانه الجميع إدانة كاملة ، وأحاله مدير المركز إلى التحقيق .

وفى تلك الأثناء كان « ص » يحس بازدواجيته ، وكلما فكّر فى التراجع « . . تكالبت عليه وجوه سعاد (عشيقته) ، زوجته ، أولاده ، أكرم (أحد زملائه) ، مدير المركز ، زملاؤه بالعمل ، والأستاذ مرسى (أستاذ بالجامعة من أنصار شيلى وأشيلك) . ومن بعيد انبثقت شخصيات أفراد أسرته : أبوه ، أمه ، وإخوته ، وحاصرته الوجوه والشخصيات ، فاستعاد كلمات زوجته : لقد أرسل الله لنا هذه المؤسسة فى الوقت المناسب لانقاذنا » . ويقول هو : وبمضى الوقت « أوقن أن داخلى إنسانا آخر يتصرف ويقول حتى إننى لم أعد أشعر بالكلمات وهى تخرج من فمى . . بل يحدث كثيرا لو تذكرتها بعد ساعات أن أتحير وأتساءل . . لماذا قلت ما قلت ؟ ! » . وفى لقاء له بعشيقته قال : «لن تصدقى ما يحدث لى . . كأننى إنسان آخر يعيد الآخرون اكتشافه ـ وفى منولوج يقول : « أحسست أن رياح التغيير شملت كل شىء وأعتقد أنى تحولت إلى شخص آخر ربما يحمل ملامح (ص) السابق ، لكنه مختلف عنه فى كل شىء . . . » .

هذا الرصد الدقيق للتحول النفسى الذى طرأ على شخصية « ص » بعد سقوطه يُحسب للمؤلف بكل تقدير . كما تحسب له أيضا دراسته الدقيقة لمجال يختلف كل الاختلاف عن مجال اهتماماته الأدبية ، وأعنى به المجال العلمى ، مجال مراكز البحوث وما يدور بين جدرانها من خفايا وأسرار ، بحيث استطاع أن يقدّم فى نهاية الأمر تحذيرا يُحسب له كل حساب : « إننى أعتقد أننا من خلال هذه المشاريع ـ قد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أرسلنا معلومات كافية عن محاصيلنا وأصولها الوراثية وتطورها ، وبيانات كاملة عن نظم الزراعة والرى والصرف وطبيعة التربة . . بل وأعتقد أننا وضعنا بأيديهم تقارير عن كل صغيرة وكبيرة تحت ستار العلم والتبادل العلمى فى تقارير باركها كبار الموظفين والعلماء ، تحت شعار الانفتاح على العالم وتبادل المعلومات . . . أما هم فيحصلون على هذه البيانات ، ويغذون بها الكومبيوتر ، لتبرمج وتحلل بأساليب معينة ، يعرفون منها ، كيف يفكر باحثونا ؟ وما هى طموحاتهم ؟ . . . إنهم يعاملوننا كبشر من الدرجة الثانية أو الثالثة ، ويقدمون لنا الفتات . . »

* * *

ويفضى به السقوط إلى الإغضاء عن الأمانة العلمية فى كتابة تقريره عن « المشروع » لتقديمه فى الموعد المحدد للمؤسسة الأجنبية ، إذ يعتمد على معلومات وبيانات يرتاب فى صحتها ولم يقم بمراجعتها المراجعة العلمية الدقيقة التى ينبغى أن تتم فى مثل هذه الأبحاث ، بل اكتفى بأن فلسف الأمر بأنه تسلم هذه النتائج عن طريق باحث متخصص ، وهو يعلم أن هذا الباحث المتخصص اعتمد على مساعدين محدودى الخبرة . . والمهم أن يصل التقرير فى موعده .

وبعد تقديم التقرير ، التقى (ص) مصادفة بزميله المشاكس « على زكى » فباغته بهذا السؤال : بعد أن قدمت تقرير المشروع عن سنة مضت . . هل تعرف أين تذهب هذه التقارير ؟ ومن يضمن لك أنها بين أيد أمينة ، ستحافظ على سريتها ، ولن تصدرها مباشرة لأعدائنا ؟ » يقول ص : « لم أحاول أبدا أن أجادله ، كنت مؤمنا فى أعماقى أنه أحد المشككين ، الحاقدين ، بل كنت أظنه فى بداية لوثة عقلية ، بدأت تظهر عليه أعراضها » .

وحين انضم إلى قسم « ص » شاب حديث التخرج اسمه « أيمن توفيق » أعاد إلى (ص) ذكرياته القديمة عند بداية تعيينه بالمركز ، حين كان شغفه بالعلم والبحث لا يشبع ، وانتبه للشاب حين قال : لا شك أننى محظوظ أن عينت فى هذا القسم . . . فسمعة حضرتك العلمية تمثل نموذجا يحتذى . . . ابتسم (ص) : « أى سمعة يقصدها هذا الساذج . . البحث العلمى أم المشروع أم الغراميات الأنثوية ؟ أم العلاقات العامة ؟ » وباغته سؤال : منذ متى لم يجلس أمام المجهر ؟ منذ متى لم يعمل بيديه سوى كتابة التقارير ؟ . . إنه لم يعد يذكر الهدف الرئيسى من خطة قسمه ، أو أى قسم ، بعد أن أصبح مشرفا على عدة أقسام ؟

فإذا فاض به الكيل ، واسى نفسه بقوله : « لست وحدك الذى تفعل ذلك . . . إنهم جميعا يفعلون أضعاف ذلك . . . إنهم جميعا يفعلون ذلك ؟ » .

وجاء وقت جدّ الوزير فيه كل المشروعات ، وأعلن بدء مرحلة انتقالية إلى أن تطبق برامج الخطة القومية ومشروعاتها ، وعين مديرا جديدا للمركز ، غير أن هذا التغيير لم يرض عنه « على زكى » الذى كان يكرر دائما : لا فائدة من تغيير الأشخاص ، دون تغيير القواعد أو النظم وتغيير النفوس ، حتى نرجع إلى الأمانة العلمية ونتحملها ، ونتكاتف معا ، وننسى ما مضى . . على المسئولين تهيئة الجو العملى والعلمى المناسب وعلينا التفرغ لعملنا فكرا وبحثا . . . » .

وبتجميد المشروعات ، تجمد أيضا نشاط « ص » ، وتقلصت علاقاته المنفعية والجنسية على السواء ، وأصبح كثير البقاء فى بيته حتى أزعج هذا زوجته التى كانت تمارس حريتها فى الصباح بعد خروجه إلى العمل حتى أطفاله ضايقهم وجوده الثابت الصامت . وبذل محاولة يائسة فى بعث علاقاته الغرامية القديمة ولكن دون جدوى .

وأخيرا استقر عزمه على العودة إلى العمل ، فأخذ يذهب بانتظام إلى المركز ، ولكنه اكتشف أنه أصبح عاجزا تماما عن استعمال المجهر أو متابعة أى نقاش علمى أو التركيز على فكرة أو اقتراح جديد . ومن ثمّ جعل يتابع اجتهاد أيمن توفيق وزميلته الجديدة التى انضمت إلى القسم فيما بعد . وأما « على زكى » فقد رشح فى العهد الجديد لمنصب نائب المدير . وكأن المؤلف أراد فى ختام روايته أن يترك لنا بصيصا من الأمل فى الجيل الجديد من العلماء متمثلا فى « أيمن » و« ثريا » - وفى الجيل القديم من أمثال « على زكى » وأضرابه الذين لم يتلوثوا تلوثا كاملا .

* * *

هذا العرض الموجز لا يغنى عن قراءة هذه الرواية الجديدة للقصصى الشاب « حسين عيد » الذى أضاف بها اجتهادا جديدا إلى اجتهاداته السابقة : قطار الحادية عشرة (مجموعة قصص) - الهجرة نحو المدن القديمة (رواية) - لو تظهر الشمس (مجموعة قصص) - ففى رأيى أن التوفيق كان حليفه فى رواية « المشروع » ، شكلا ومضمونا ، وقد جاء أسلوبه فيها مناسبا لموضوعها ، فلم يكن فيه تزيد أو فضول ، وأكاد أذهب إلى أنه شبيه بالأسلوب العلمى الذى يتوخى الدقة والبساطة فى آن معا ، ولا يعيبه إلا أنه يذكرنا أحيانا بأسلوب التلكس والبرقيات ، كما أن رسم الشخصيات كان فى حاجة إلى مزيد من العناية والتفصيل

القاهرة : فؤاد كامل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة من قارىء

المشكلة مستمرة

عبد الله خيرى

اخترنا هذه الرسالة من بين عشرات الرسائل المشابهة والتى يكون موضوعها غالبا الشكوى من عدم النشر أو إهمال ما يرسله القراء من شعر ونثر أو أن « إبداع » تخصص صفحاتها لكتاب بعينهم . .

والسيد/ عصام الدين أحمد كامل محمد صاحب هذه الرسالة يذكرنا مرة أخرى بتلك القضية التى فرغنا منها فى العام الماضى ، وهو يفهمها على غير وجهها الصحيح ؛ فحين أثرنا هذه القضية واشترك معنا القراء كنا ندين عدم الأمانة والتهاون والسطو على أعمال الآخرين ، وقلنا إن هذا ــ وإن كان شائعا الآن فى مجالات أخرى - يشكل ظاهرة خطيرة فى مجال الأدب .

هذا هو الموضوع ، فكيف فهم الصديق أننا نقدر هذا الشعر أكثر من تقديرنا لشعر أمل دنقل أو محمود درويش أو شعر محمد عفيفى مطر الذى كتبه وعمره عشر سنوات ؟ لقد كنا ببساطة نناقش قضية أن يكون الفنان « أمينا » ولم نتعرض لشعر هذا الشاعر أو ذاك . . ومع أن النقل كان واضحاً وأكده خطاب عجيب نشرناه وقتها يثبت ذلك ، فإن كل ما قلناه لهذا « الشاعر » ولغيره من الذين يحاولون الكتابة أن يواصلوا القراءة والجهد ، ولم نقل له كما قال الجاحظ إن الذى يبدأ حياته هكذا لن يكون شاعراً . . بل لن يكون فى أسرته شاعر فى المستقبل .

ولأن السيد عصام لم يفهم الأمر على وجهه الصحيح توهم أننا نؤثر أدباء القاهرة على أدباء الأقاليم أو أننا لا ننشر إلا للأسماء المعروفة . . ولم يدرك أيضا أننا أو نحن نسأل فى آخر المقال الذى أشار إليه « هل نطلب من كل من يقدم عملاً إبداعيا أن يثبت شخصيته ؟ » كنا نتبع أسلوبا عربياً يعرفه الشعراء وغيرهم . . بل يعرفه محدود الثقافة ، وهو أسلوب الدهشة المستنكرة أن يكون هذا هو نوع الاتصال المطلوب مع الأدباء ولم نقصد قط كما فهم أنّ على الكاتب أو الشاعر أن يسلم إبداعه بنفسه إلى المجلة .

وهذه « الأولويات » التى ذكرها القارىء تثبت على الأقل شيئاً واحداً هو أن بعض القراء يقرأون ما فى أذهانهم لا ما هو موجود أمام أعينهم . . وهكذا تتحول : المحلة الكبرى ــ ديرب نجم ــ كفر صقر ــ الاسكندرية ــ دمنهور ــ طنطا . . . وكل مدن مصر وقراها الصغيرة إلى كلمة واحدة ثابتة كبيرة مثيرة للحنق هى القاهرة حتى تظل المشكلة مستمرة . . فالنقص عندهم لايكون فى الشعر مثلاً أو فى تقدير الإنسان ــ كل إنسان ــ لذاته تقديراً مبالغا فيه غالبا ، وإنما فى تحيز المجلة الذى يحول بين الشاعر وقرائه .

إننا نحتكم هنا ــ كما فعلنا من قبل مع السيد فرج عبد العال ــ إلى هذا الخطاب الذى أرسله الصديق عصام ، وهو نموذج لخطابات كثيرة ترد إلى المجلة ، ولعلنا بذلك نجيب على كثير من أسئلة القراء .

فإذا كان الشاعر قد أرسل لنا كما يقول « ثلاث قصائد » وإذا كان له « مأخذ هام على مجلتى الحبيبة أورده فيما يلى » وإذا كان يتسائل ساخراً « هل من الصواب قفل باب النشر فى وجه كل أدباء الأقاليم من أجل شاعرين زائفين ؟ » أو يسأل هل نريد من كل أدباء مصر أن يحضروا إذا « أرادوا النشر » وإذا كان يختم خطابه بهذه الفقرة الحاسمة « هل تعرفون كل شعراء مصر ؟ بالتأكيد لا وأنا أبسط دليل شاعر وليس هذا غرورا فقصائدى هى التى تقول ذلك ومع ذلك فأنتم تجهلوننى » .

إذا كان الصديق عصام قد ارتكب هذا فى رسالة قصيرة من صفحة ونصف ، فهل يحق له أن يلومنا أو يلوم أية مجلة أخرى إذا لم تنشر له ؟ ألا يعنى هذا الخطاب الذى يراه القراء أن المسافة لا تزال بعيدة بين هذا الشاب الغاضب والشعر ؟ وأن اختلاق وهم أدباء الأقاليم وأدباء القاهرة أسهل بكثير من خوض المعارك المتواصلة مع اللغة العربية ، خاصة إذا كانت هذه المعارك فى أصعب مراحلها ، فإذا كان الشاعر الغاضب لا يعرف إلى هذه اللحظة أن « من » حرف جر ولا يعرف تمييز العدد ولا يعرف أن واو الجماعة تأتى فاعلاً ، رغم شيوع هذه البديهيات واتفاق الناس منذ قرون طويلة على صحتها ، فكم من الوقت يحتاج هذا الشاعر ليخرج لنا بعد الغوص فى أعماق بحر لغتنا المتلاطم تلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللآلىء التى يخرج بها الشعراء ؟ وإذا كان يتخبط كل هذا التخبط ليكتب خطاباً « معناه فى ظاهر لفظه » كما يقول العرب قديما ، فماذا سيفعل إذا أراد أن يكتب الشعر الذى تُحيل كلماته إلى عوالم كاملة من الصور والأحاسيس ؟

إننا ننشر خطاب الصديق عصام كنموذج لكثير من هذه الرسائل الغاضبة التى ترد إلى المجلة .. ونتوقع أن يتيح لنا الأدباء قراءة أعمالهم ونشر الجيد منها ولا نطلب منهم إلا مراعاة هذا الشرط الأساسى ، فعليهم أن يتأكدوا ـ ولا بأس بالرجوع إلى بعض أساتذتهم أو إخوانهم ـ من أن هذه الأعمال يمكن أن تنشر ، أما الاختصام حول حروف الجر وتمييز العدد وغير ذلك من المسلمات . فيبدو أنه أصبح فى ظل معرفة أدباء الشباب باللغة العربية قضية عسيرة الحل !

القاهرة : عبد الله خيرت

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الناقد الكبير د / عبد القادر القط

تحيه طيبه من تلميذ لإبداع

ولى سيدى الفاضل مأخذ هام على مجلتى الحبيبه أوردهما فيما يلى :

قصيدتى "أغنيتى أنا" والتى نشرت بإسم عادل فرج عبد العال فرج محافظة القليوبيه مركز كفر شكر قرية البقاشين والتى إتضح أنها للشاعر فاروق بنجر وقصيدة "حكاية الياسمين" والتى نشرت بإسم شريف عبد القادر عبد الرحمن والتى إتضح أنها للشاعر الأسوانى محمد هاشم زقالى . ليسوا فى ½ مستوى "أغنيه الكحكه الحجريه" لأمل دنقل ولا فى ½ مستوى "الأرض" لمحمود درويش ولا فى مستوى قصائد محمد عفيفى مطر التى كتبها وعمره ١٠ سنوات ولكن أثروا فى رسالة إبداع أعظم تأثير لقد جعلوا مجلة الأدب والفن لاترى فى الإبداع الجيد أولويه للنشر فمتى ترى أن الأولويه للأسماء المعروفه الأولويه لمن سبق له النشر فى مجلات معروفه الأولويه للأعمال التى تصل باليد لا التى تصل بالبريد وللأعمال التى تأتى معها بما يضمنها ـ ولست أدرى ما معنى هذا الشرط الأخير والذى ورد بإمضاء أسرة التحرير صفحه (٥) العدد الثانى السنه الرابعه ١٩٨٦ فبراير تحت عنوان إعتذار .. ونداء .. وأسئله ـ سيدى رئيس التحرير هل أدركت ما فى القصيدتين من إبداع

سيدى رئيس التحرير : إسمح لى أن أسألك لم كل هذا ؟ هل من الصواب قفل باب النشر فى وجه كل أدباء الأقاليم من أجل شاعران زائفان ؟ فمن أين لكم بالإبداع بل من أين لكم إستمرارية الإبداع على المدى الطويل ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيدى الناقد الكبير د / عبد القادر .

▫ إذا كنتم ستتابعون بدقه الغالبيه العظمى مما ينشر من كتابات أدبيه فى المنابر الهامه على إتساع الوطن العربى ومصر فسوف يفوتكم بالتأكيد معرفة إسمى لأنى لا أكتب فى أى من هذه المنابر الهامه وإنما أكتب فى منابر بلدتى أبوحماد / شرقيه وكل ما نُشر لى فى الشمس الجديده أو شعاع أو آفاق جديدة وهى مجلات تصدر على مستوى محافظة الشرقيه فقط وأظنكم لتسمعون هذه الأسماء لأول مره .

▫ هل إرسالى لثلاثه قصائد على مدار سنه ليس دليلاً على أننى كاتب ولست سارق وهم « الخروج من ثقب »، « عندما جاء الخريف »، « الاسبوع ستة أيام »

▫ أما إذا كان تفكيركم فى الإصرار على معرفه كل كاتب أو شاعر شخصيًا قبل النشر له ما زال قائمًا فتلك مشكلة كبرى حيث أننى أعمل كمهندس جيولوجى فى واحة الفرافره (٦٠٠ كم من القاهره) وأيام أجازتى المعدوده أقضيها وسط أسرتى فى الشرقيه فليس من السهل أن آتى لكم الآن ولكن البريد هو المتاح أمامى الآن وفى كل وقت . وهل من السهل على شعراء صعيد مصر أن يحضروا إذا أرادوا نشر مع كل ما فى إنتقالهم من مشقه .

ثم دعنى سيدى الفاضل أخيرًا أسألك هل تعرفون كل شعراء مصر ؟ بالتأكيد لا وأنا أبسط دليل شاعر وليس هذا غرور فقصائدى هى التى تقول ذلك ومع ذلك فأنتم تجهلوننى

عصام الدين أحمد كامل محمد
أبوحماد - شرقيه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سكينة فؤاد.. في شارع النيل

زينب العسال

« ٩ شارع النيل » ، مجموعة قصصية للكاتبة سكينة فؤاد ، تعد امتداداً لما قدمته من ابداعات ، متمثلة فى : محاكمة السيدة س ، وملف قضية حب ، وترويض الرجل ، ومجموعتها الشهيرة «ليلة القبض على فاطمة» . .

وقد استطاعت سكينه فؤاد ــ بمجموع أعمالها الإبداعية ــ أن تحقق تميزاً بين كتاب القصة القصيرة ، لجملة أسباب ، فى مقدمتها رؤيتها الجريئة للصراع الدائم بين الانسان والأشياء ، وبين الإنسان «المرأة» وما تعانيه من احباطات تفوق ــ فى تقدير الكاتبة ــ ما يلاقيه الرجل . .

والحق أن التعرف إلى عالم سكينة فؤاد لا يتأتى بالقراءة العابرة ، ولا القراءة الأولى ، ولا حتى الاكتفاء بقراءة نماذج من أعمالها . . ولكنه يحتاج إلى قراءة متأملة واعية لمجموع ابداعات الكاتبة ، ليخلص لنا فى النهاية عالم قد يبدو مليئاً بالاحباط والتشاؤم ، وربما داخلته سخرية من الواقع الذى يحاصرنا بكل قساوته ، فلا يتيح لنا مجرد التفكير فى تغييره ، ولكن الانشغال المتأمل ــ كما قلت ــ بما تعنيه كل قصة ، وما تعنيه إبداعات سكينة فؤاد فى مجموعها ، ربما أسفر عن نتائج مغايرة تماماً . .

ولأن عالم سكينة فؤاد ليس غريباً ولا بعيداً عنا ، وإنما هو موجود وكامن فى كل منا . ولأننا نحن الذين نشكل هذا العالم ، فإنه من السهل التعرف إلى هوية شخصيات المجموعة . إنهم ابطال حقيقيون ، أفاضت الصحف فى الحديث عن أبعاد الحكايات ، وربما المآسى ، التى عاشوها . وكل يوم نرى ، أو نسمع عن أبطال آخرين يختلفون فى الملامح ، ولكن تبقى صور حياتهم هى نفس الصور التى تناولتها الكاتبة .

لم تهبنا الكاتبة أحلاماً وردية نتلهى بها ، ونسرى عن نفوسنا المتعبة ، ولا قدمت لنا الانسان «السوبر» الذى يقاوم كل الظروف ، بل قدمت الانسان فى لحظات ضعفه وانسحاقه وفقدان حيلته . الشخصيات تتحرك أمامنا ، تناقش وتسأل وتجيب وتضحك وتغضب وتحزن وتسعد وتحيا كل المشاعر والانفعالات الانسانية . ومع ذلك ، لا نلتفت إليهم ، لا نكاد نحس بأصواتهم ولا وقع خطواتهم ، وربما . . ولا حتى ملامحهم الظاهرة . .

*

لقد حيرنى اختيار « ٩ شارع النيل » اسما للمجموعة ، فالنيل شريان حياة فى كل بقعة من بقاع مصر . وتزيد الكاتبة فتحدد المكان الذى تدور فيه أحداث القصة . إنه قصر على النيل ، ولكن أحداث القصة تترك هذا القصر لتنزل إلى الدور الأسفل «البدروم» النافذة لا تعلو الأرض إلا بأشبار . والبدروم نفسه يتكون من حجرة ودورة مياه ، هى كل أمل الساكن الشاب القادم من الريف وطموحه ، والشاب لا يرى من العالم الخارجى سوى نصفه الأسفل «وقد يأتى النيل من داخل شقتنا ، يمد الرأس لتأتى طرف العين بطرف مائة من بعيد ، ولكن ادمان هواية مشاهدة النيل من نافذة شقتنا قد يهدد رقبتنا بالامتداد ، ويهدد بتحولنا إلى نوع من ظاهرة الزرافة البشرية» (ص ٨) . .

إنه يحاول مجاوزة الواقع بأن يهبنا البسمة ، بل السخرية من ذلك الواقع . . فهو يتعايش مع واقعه ، ويحاول أن يجد فيه بعض الجماليات ويمنى النفس بأنه قد يجد من ترضى به زوجاً لتقاسمه البدروم ، وتجعل منه جنة ، فهو لا يملك إلا القليل من المال ، ولكنه يملك قناطير من الأحلام ، لم تبددها وحشة المدنية بعد ! . .

الكاتبة فى هذه القصة ، وفى قصص أخرى ، تقدم أسباب هذا «التعايش» مع الواقع الأليم ، وعدم محاولة تغييره ، والاكتفاء بالأقوال المأثورة التى حفظها البطل عن أمه ، وأمه عن جدته . .

الأمر نفسه ــ تقريباً ــ يطالعنا فى قصة «بنت السلطان» : حكمة الجدة أم اسماعين كانت «من نظر إلى فوق يتعب» ــ وكنت أفضل أن يذكر المثل كما تتداوله الألسنة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«اللى يبص لفوق يتعب» ، وخاصة أن الكلام يصدر على لسان الجدة أم اسماعين . .

ورغم أن البطل أجاد اغلاق أبوابه عليه جيداً ، حتى لا يسمع ولا يرى ما بالخارج ، فإنه لم ينعم بالهدوء لأن الخارج اقتحم حياته . ومع أن بطلنا يتعود الزحام والضوضاء وارتطام عجلات السيارات الضخمة بالأرض ، فإنه بعد أن انقضى نهار واثنان ، «بدت الأشياء والأيام كأنها عادت إلى قواعدها سالمة» .

إلى هنا وكل شيء يسير فى طريقه ، إلا هذا الكابوس الذى يتكرر عشرات المرات ، مع التلميحات التى ألح عليها الراوى فى بداية القصة من أن هناك شيئاً ما سيحدث . وتأتى النهاية ، المتوقعة ، وهى اصطدام الأوتوبيس بجدار مخزن مهجور فى أسفل عمارة ضخمة تطل على النيل . . ولا تتركنا الكاتبة دون أن تلمح ، وتكرر ، ما تريده فى كلمات بعينها ، «لكن النبوءة حدثت ، أو حدستها قبل أن أعرف كيف أواجهها ، وكل ما أستطيعه أن أبقى مرتدياً ملابسى فى انتظار لحظة الاقتحام ، فاغلاق الأبواب لم يكن مزاجاً ، ولكن ضيق اللقمة والمكان والظروف والحظوظ» (ص ٢١)

أما قصة «بنت السلطان» فهى قصة حقيقية ملأت سطوراً عدة فى صفحات الحوادث ، محورها امرأة فاجأتها الولادة ، وترفض جميع المستشفيات قبولها ، لأن الأطباء فى إجازة العيد ! . ونتيجة للاهمال ، تموت السيدة ، ويموت جنينها . وهذا هو الجانب الواقعى كما قرأناه فى الصحف . أما الكاتبة فتلتقط هذا الخيط ، وتنسج منه قطعة من دانتيلا العذاب والألم والبهجة والحب والاحباط والسلبية والاهمال والطبقية والفقر . . كل هذا يتجمع فى شخصية البطلة «سناء حسين الشحات» أو «بنت السلطان» كما أسمتها سكينة فؤاد . .

وهذه الشخصية من انضج شخصيات المجموعة . . فالبطلة هنا ترفض الواقع برغم أنها تحياه وهذا الرفض يكون بالهروب ، والبحث عن أصلها العريق فى ذاكرة التاريخ . . «أشارت بسهم كبير لصورة ضخمة لسلطان مهيب ضخم ، لم تجد له اسماً ، وكتبت تحت الصورة : من الجد الأكبر ورأس العائلة لحفيدته سناء» (ص ٢٩) . بحثها الدائم فى التاريخ عن الأصول المزعومة ، لا يجعلها تصل إلى ما تريد ـ تغيير الواقع ـ وهنا تعترف بأنه لا توجد أصول عريقة ، وأنها فقيرة ، ابنة رجل فقير ، وإن ما تبحث عنه لا يعدو حكايات كانت أمها ترويها قبل النوم . .

وقد أجادت الكاتبة ـ ببراعة ـ توظيف الخيال ، وادماجه فى الواقع . بل أصبح الخيال واقعاً تعيشه البطلة . ثم يفاجأ القارىء بأن هذا الخيال تسلحت به البطلة ، وهى تبحث عن حقيقة أصلها ونسبها : «كنت أطل من وراء أسوار مدرستنا على أولاد وبنات الرصيف الثانى ، ينزلون ويصعدون من الأتوبيسات والسيارات ، ويلبسون مرايل لها ألوان زاهية تختلف عن لون الخيش الذى نلبسه . وأبحث عن أرجلهم وأيديهم الزائدة ، أو أى شيء يجعل العالم نصفين والمخلوقات قسمين» . وتتساءل الكاتبة ـ على لسان بطلتها ـ ما الذى يمنع أن تكون أصولنا واحدة ؟ . فالبطلة تنشد المساواة بين الناس ، ولكنها تظل مفتوحة العينين على هذا الواقع ، ويصبح الواقع أملاً ومستقبلاً ، فهى سوف تنجب طفلا لا يرث عرش الأجداد ، ولا تجرى فى عروقه الأصول العريقة ، ولكنه مثل كل أبناء البسطاء .

ولأن الفرحة أو الراحة تعدّ كارثة لهؤلاء المقهورين التعساء ، فإن المأساة تحدث ، وتنتهى القصة بموت البطلة وأملها ومستقبلها «طفلها» . وتكتمل المعادلة . .

فالواقع الهش غير قادر على تحمل المستقبل ، واللحظة الحالية غير مأمولة الاستمرار ، ومع هذا فالموت مكسب كبير : «مهما كان وما حدث وما سيحدث ، كان يمكن أن يحدث ما لا نعرفه ، والحمد لله ما نعرفه أحسن مما لا نعرفه . وحتى الآن لم نخسر شيئاً ، والموت بلا خسائر مكسب كبير» (ص ٦٢) .

وتتفق هذه القصة مع قصة « ٩ شارع النيل » فى أن هناك تحقيقاً يجرى ، «ويتخذ اللازم بشأن المتسبب فى الإهمال الذى أدى إلى وفاة الحالة» . .

أما قصة «العفريتة» فهى عن صاحب مجلة يظهر فى جميع الصور التى التقطت له شبحاً ـ أو كما يقولون : تظهر «عفريته» فى الصور فى البداية الصقوا هذه الظاهرة الغريبة بمسؤول العمل ، وإلى الحالة المتدهورة التى أصبحت عليها عيناه وأعصابه . . ومن ثم صدر قرار من رئيس القسم «بتكهين» مسئول العمل . وبعدها ببضعة أيام مات الرجل . وكان صاحب المجلة وراء ما حدث بأنانيته وحرصه على إبعاده . .

والقصة تتميز بغلبة الفانتازيا . البطل يطالعنا فى صورة شبحية فهو غير واضح الملامح ، وأصبح لكل موظف لديه أن يضع له تصوراً وملامح ، حسب حالته وعلاقته به .

سكينة فؤاد تضعنا أمام مشكلة الفقر ، ولكنه فقر من نوع آخر ، فقر الأخلاق . . وهو أخطر أنواع الفقر التى يواجهها المجتمع . . فأصحاب الفقر الأخلاقى قادرون على الوصول والتحكم فى أقدار الناس ، والتنكيل بهم . .

والحق أنه إذا كانت المجموعة قد طرحت المشكلات التى يواجهها الإنسان ، فإن العديد من الشخصيات يستسلمون فى سلبية للواقع الذى تتجه تلك المشكلات . وثمة أبطال حاولوا الفكاك من هذا الواقع ، بل قاموا بتغييره فعلاً ، كما فى قصتى «التى ستأتى» و «عاملة التلغراف» . ففى قصة «التى ستأتى» تفقد البطلة من مدينة «القنطرة شرق» أسرتها أثناء الحرب ، ومع ذلك فهى لا تستسلم لوحدتها ، وتحاول أن تبدأ من جديد . . «فى الكشك الصغير الذى أقامته من تحويشة عمرها وبيع سوار قديم لأمها ، ومن مهر مسعد لها ، ووضعت فيه كل ما تعلمت أن المسافر يطلبه» . ورغم أن البطلة تعى مسؤولياتها جيداً ، فإننا نجدها تستعين بشخصية الأستاذة ـ وهى صحفية فى إحدى المجلات ـ وتأخذها مثلاً أعلى لها «على الرغم من أن صلتها الوحيدة بهذه الاستاذة صورة موقعة بإمضائها ، ومصحوبة بتمنياتها بدوام التوفيق والنجاح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع بالغ ثقتها واعتزازها، . ثم تتبين الفتاة أن الاستاذة ما هى إلا انسانة ضعيفة تحتاج إلى مساعدة ، وتشعر الفتاة بتفوقها ويدفعها هذا التفوق لرفض وصاية خطيبها مسعد عليها ، وتفسخ الخطبة هنا بطلة إيجابية تقوم بنفسها بتغيير الظروف المحيطة بها ، مستعينة فى النهاية بنفسها فقط

وتختلف قصة « عقلة الإصبع » عن باقى قصص المجموعة ، فى انها اتخذت شكلا سيرياليا ، وان كانت قد استعانت بالفنون الأخرى مثل « التبقيع » فى الفن التشيكلى ، والهارمونى الموسيقى . . واتسمت القصة فى مجموعها بما يسمى الواقعية السحرية التى أفلح فى تقديمها من خلال عشرات الاعمال الروائية أدباء امريكا اللاتينية ، وفى مقدمتهم - بالطبع جابرييل جارثيا ماركيث . .

أما فى القصة « عاملة التلغراف » فقد قامت الكاتبة بشطر البطلة نصفين ، الأول عاملة التلغراف ، والثانى صديقتها المناضلة . وحاولت الكاتبة أن تدور بنا وتسير مع بطلتها ، وتترقب لحظة التغيير التى توءكد كل الدلائل حتمية حدوثها . وإذا كانت بطلة قصة « التى ستأتى » ترفض وصاية الخطيب والأستاذة ، فإن عاملة التلغراف تعتمد فى عملية تغيير الواقع الذى حدث فى حياتها على جارها القديم ، وجاء هذا الاعتماد طبيعيا للغاية لأمرين : أولهما : أن الواقع كان أكبر من أن تقاومه بمفردها « . . فهذا الوحش وتلك الألاعيب ، والحجر ، وذلك الدخان الذى راحت تستنشقه لكى تغيب عن الوعى ، وليساعدها فى الهروب من واقعها الاليم » . .

اما الأمر الثانى ، فهو ذلك الشخص الذى اعتمدت عليه . إنه من أحبته أيام الصبا ، وتمنت الحياة معه . . فهنا الهدف مشترك ، والغايه واحدة ، وهى القضاء على هذا الوحش . .

ومن الواضح أن سكينة فؤاد فى هذه القصة التى خنست بها المجموعة تعمدت إلا تكون الصورة قاتمة ومأساوية ، بل وجدنا انفراجه ينبعث منها الأمل ، وإن كان خافتا حتى وصلنا الى قصة « عاملة التلغراف » التى تحقق فيها الصراع الدرامى بأجلى صورة ، صراع بين الرجل والمرأة ، وبين المرأة ونفسها ، وبين المرأة والمجتمع المحيط بها . وكانت المحصلة النهائية لهذه المعركة التى خاضتها - برغم شكاستها - انتصارا رائعا .

*

يبقى بعض الخصائص التى اتسمت بها أحدث المجموعات القصصية لسكينة فؤاد :

* تركيزها الشديد على البطل ، فهو محور الأحداث ، به تبدأ ، وبه تنتهى . أبطال عاديون نصادفهم فى حياتنا اليومية - فيما عدا عقله الصباع - ونتأثر لما تعانيه نفوسهم والضغوط الخارجية التى تقع عليهم . .

* تعنى المجموعة بالموروث الشعبى ، وبخاصة الأمثلة الشعبية التى تؤدى دورا كبيرا فى توجيه الأحداث ، وتحديد مواقف الأبطال من تلك الأحداث . وهذه الأمثلة تأتى ـ دائما ـ على لسان الأم والجدة ، ومع ذلك يرددها الأبناء ، بل يحفظونها عن ظهر قلب ، ويتفاعلون مع واقعهم من منطلق هذا الموروث . .

والموروث فى « ٩ شارع النيل » و« بنت السلطان» هو القناعة والرضا ، وعدم مناقشة الأمور ، والاستسلام للقدر . وفى «عقلة الصباع» تتذكر البطلة نبوءة جدتها عندما تملأ المساخيط المدينة «فإما سكنها جن أو شر أو خطأ ما» وهى أرواح سجنت وتنتظر أوان فك السر والسحر ، والمطر حين يطول غيابه تأتى «التحويشة» سيولاً . فالموروث هنا محرك ورافض للواقع ، ويتنبأ بالتغيير . .

* ومما يحسب للكاتبة أيضاً قدرتها الفائقة فى جمع خيوط المأساة والسخرية فى نسيج واحد ، لا تنافر فيه . .

* أما عرضها لبعض مشكلات الوطن العربى ، فقد جاء فى شكل مباشر ، باتت معه قريبة من المقولة الصحفية : «إنه قد فشل العالم المتحضر فى إيقاف قتالهم . إنهم يعيدون تاريخهم ، ويعودون قبائل بدائية تتقاتل على الزرع والماء ، ومذيع من إذاعة عربية يعلن عن ارتفاع عدد الضحايا فى لبنان والعراق وايران» (ص ١٢٣) .

ومعظم الشخصيات فى المجموعة نساء ، فيما عدا قصة « ٩ شارع النيل » وقصة «العفريتة» وهذا أمر منطقى ، فالكاتبة تعنى ببنات جنسها ، وتشغلها قضية المرأة عموماً . .

* وقد تفوقت الكاتبة كثيراً فى وصفها للحظات الولادة : «مجموعة من رماة الأسهم وجهوا إلى جنبها وابلاً متصلاً من رشقات أسهم ، حميت رؤوسها المدببة فى نار جهنم . . ثم صوبوا إلى ظهرها وبطنها . فتحت ساقيها للألم بوابة . اطلقت صرخة ، وانكفأت على الألم تكتمه ، وتدفعه بذراعيها» .

ورغم تكرار مشاهد الألم التى عانتها البطلة فى قصة « بنت السلطان » فإن هذا التكرار كان ضرورياً ، وخاصة أنه قوبل بالفتور وعدم المبالاة ، سواء من الممرضات أو الأطباء ، مما يدفع القارىء إلى أن يشارك البطلة معاناتها ، حتى يدين نفسه فى النهاية ، لتورطه فى السكوت على هذه الجريمة .

القاهرة : زينب العسال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قليل ممّا يجهلون

سامي مهدي

العدو

أمنْ هَمَدانَ بدأتَ طريقَك أَمْ أصفهانْ
وكيفَ عبرتَ الهضابَ القواحلَ ، كيف بلغت المكانْ !
ألم تَرَ شيئاً يعوقُكَ ، شيئاً يروقُكَ ، ورداً ، ندىً ،
طفلة ، غيمةً ، صخرةً ، أيَّ شيءٍ ! ألم ترَ شيئاً
فترتَدَّ قبل فواتِ الأوانْ !
وفيمَ كتمتَ سؤالَكَ ! فيم تركتَ عناكِبهُ ترتعى
فى دماغِكَ ، فيم دخلتَ الرِّهانْ !
ومَاذا حملت مِنَ الزادِ غيرَ الصغائِنِ ! ماذا
رأيتَ هنا وهْجَ اللظى وسواد الدخانْ

وهلْ جئتنا غيرَ هذا الخواء :

دمٍ ناشفٍ ،
وعظامٍ مجوَّفةٍ ،
خلفَ روحٍ مُسنَّدَةٍ بمسامِيرَ . .
مطَلْيةٍ بدهانْ !

. . وقدْ كانَ يصرخُ من فَزَعٍ
دمُه هاربٌ منْ شراييِنهِ ،
وهو يزحفُ ،
يهربُ من قدميهِ إلى لا مكانَ . . إلى لا زمانْ

خندقان

ليسَ بيني وبينك إلا الهواءُ الثقيلْ
ودمُ الرعبِ والمستحيلْ
والرصاصُ الذى لا يميّزنا
والتلالُ التى تتناءى بنا . .
سُفُنٌ فى شُواظٍ من الوهج والرملِ
كلٌ له شبحٌ مترعٌ بروائحِ أسلافِهِ ،
وله جَسَد مثقل بغبارِ الرحيلْ

ليسَ بيني وبينكَ إلاّ عويلْ
وطريقٌ إلى الموتِ
يسلكها قاتلٌ أو قتيلْ

تأريخ آدم

كُنت أقرأُ تاريخَ آدمَ ،
فانفجرت فى الفضاءْ
شهبٌ ، ورأيتُ النساءْ
ينحدِرْنَ إلى النهرِ
يبحثنَ عن صِبْيَةٍ ضائعين
وَيَحْثُثْنَ أزواجهن على أن يعودوا بما رزقوا
ويَنَمْنَ على فُرُشٍ من بكاء .

كنتُ أقرأ تأريخ آدمَ . .
كان الهواءْ
دكّةً وسلالم تصعدُ نحو السماءْ .

بغداد : سامى مهدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

قصائد

• الجبل • وحدة • الحديقة

هشام عبدالكريم

الجبل

مرَّ الخلقُ
خِفافاً
حدجوا ـ عن بُعْدٍ ـ
وجه الفرد الواقفِ
منذ دهورْ

كانوا ،
منشغلين ببعضهمُ
بأحاديث ،
عن البردِ اللامتناهى
وعواءِ المدفعِ
فى الليلِ المهجورْ
مرَّ الجندُ
رعاةُ «المعْزَى»
والعشّاقُ المجهولونْ
مَرَّ الكلُّ
وما سألوا
عن حالةِ وحدانىٍّ
كيف تكون !

وحدة

مسكينةٌ ،
مظلةُ «الباص»
وحيدةٌ ،
إلاّ من الظلِّ الذى
يقعى على الرصيفْ
مرّ بها
الربيعُ والخريفْ
لكنّها
- رغم فلول الصدأ الصارخِ والشحوب ـ
تحلمُ بالفتيانِ
يرجعون
فيلتقى المحبوبُ بالمحبوب

الحديقة

كلَّ صباح
تمشطُ الأوراقَ
والأغصانْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترسمُ فوق ثغرها
علامةَ المحبّه
فتفرحُ الجداولُ ــ السواقي
ويجلسُ العصفورُ والسمّان
منتظِرَينِ هَلَّةَ الأحبّه !
سُويعةً
سويعةً
صرَّمتِ المسكينةُ الحنونْ

ولم تسرْ
ولم يزرْها
أيُّما إنسان
إذاكَ لفّت بعضها ببعضها
خطىً علَى «ثَيِّلها»

وغادرت
تبحثُ عن بُستان !

العراق ــ الموصل : هشام عبد الكريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواجهة

عبد المنعم الأنصارى

يقولون إنى مغرم بالمتاعبِ
أقرِّبُ أعدائى وأقصى حبائبى
يقولون . . والأقوال حولى كثيرة
ويذهب فيها الناس شتى المذاهب

وهيهات يا صَحْبى أصيخ لقائل
ولو ضاع باقى العمر خلف الغياهب
وما كان مثلى يحذر الموت عندما
يكون افتداء الحق أقدس واجب

أأسجدُ للأصنام فى كل معبدٍ
أصلِّى . . وما يُتلَى نبوءاتُ كاذب
وأنثر أزهارى على ركب حاكم
يجرُّ ذيولَ الخزىِ بين الخرائب

وإيوانِ شيخٍ سادرٍ فى ضلالِهِ
مُصرٍّ على صبِّ الورى فى قوالب ؟

*

فإمّا سعى بالشر أدنى أقاربى
إلىّ كما تسعى غِراثُ العقارب
رجعتُ إلى الماضى فأذكيتُ ناره
لتنبئ عما فى غدٍ من عواقب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فإن لم أجد ما أبتغى من كتابه
أحسُّ كأنى لم أفِد من تجاربى
وأن جذورى عافها باطنُ الثرى
وردَّ فروعى عن مدار الكواكب
فأحملُ تاريخى وأغلى تمائمى
وعطرى وأكفانى وإحدى حقائبى
وصورةَ من أهوى وقلبى وخنجرى
وأمضى بأرض الله ذات المناكب
أحطُّ رحالى تارةً فى مدينة
وأخرج منها خفيةً مثل هارب
فأشرب من أخرى مرارا على القذى
ومالى وللأنهار ذات الشوائب

*

فأهتك أستار الدياجى لعلّنى
أرى ما أرى حولى بعينَىْ مراقب
فحَوْلى رجالٌ غير أن قلوبهم
اذا ابتليت كانت قلوبَ الثعالب
تضيق بهم حانات « روما » وسوقُها
يباع لديها مجدهم بالرغائب
وثمَّ أسودٌ لم تزل فى ثيابهم
بقايا دماء من قِراع الكتائب
ملاحمهُم لم يكتب الدَّهرُ مثلها
ولا خطرت يوما على بالِ كاتب

*

ولما تَردَّى بى زمانى لقاعه
هتفتُ أمَا من شاهدٍ أو محاسب
أمصرعُ بعض الأهل فى حومةِ الوغى
كمصرع بعضٍ فى خدورِ الكواعب؟

*

ولما التقينا ـ فجأةً ـ قال صاحبى
إلى أين تمضى ؟ قلت أنت مصاحبى
ستأتى إلى دار السلام معى غدا
لمن بلغت فى المجد أعلى المراتب

وأذهلت الدنيا بوقفة شعبها
جدارا تهاوى دونه كل غاصب
وأيقظت الغافين من هدأةِ الكرى
ومن عبَّدت درب المنى للمواكب
تجىء ورائى موكبا بعد موكب
على هدْى آلاءِ النجوم الثواقب
نوفّى نذورا ثم نقضى مناسكا
تطهّرنا من باقيات المثالب
وشتان ما بين الذى خان وادَّعى
ومن جاء يسعى فى ثياب المحارب

الاسكندرية : عبد المنعم الأنصارى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

فى الأقصر

كمال نشأت

أطلالٌ تنبت فيها أوراقٌ خضرْ
ويعشّش فيها الوطواط
إن مرَّت ريحٌ بين الصخر النابتِ
من أجداث فرعونيه
تسمع صوتا لا تفهمه
لا تجهله
يهبط فيك جليلا ومَهيبا
كهبوط الليل على الغابات الجبليّ
ويعود الصمت الممتد
يغلّف هذا الكونَ الميّت الممتد
صمت حجرى
من ماض تتحلل فيه الأشياء
إلا الأجداث . . الأحداث
واللغة النيلية
تتحدث عبر قرون فى الصور الحجريّ
وتدور العينان
حيث تنفّس ــ فى قِدَم الدهر ــ الإنسان
يبنى قصتنا البشرية . .

القاهرة : كمال نشأت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

البيت المنصوبُ على قرون الأيائل

عبد العظيم ناجى

إوزَّةُ الشَّرقِ الخِلاسيّه
تبيض فوق الماء
تغمسُ فى شريانه منقارها . . . تكشفُ للسَّماء
عَوْرتها . . . تغيبُ فى ديمومةٍ . . . غيبوبةٍ صوفيّه . . .

السُّقوط على المؤخَرة :

الخطيبُ يُبعثر من فوق منبره الفولكلورىّ أوجاعه فى الهواء
يترجَّلُ . . . تسقطُ فى بهجةٍ ركبتاه . . . ذراعاه . . . هيكله اللاإرادىُّ . . . خاصرتاه ،
يتكلّم . . . يسقط فى جيب سرواله صوتُه البرتقالىُّ . . . هذا النَّسيجُ الهلامىُّ . . .
هذا الدُّخانُ الحزين
يتكلّم فى بهجةٍ فولكلوريّةٍ عن قُرون الأيائل . . . عن طائر البلشون ! . . .

حوارٌ مع بَبَّغاء ميِّت :

من تُرى أشعل النَّار فى صَخْرة الأبجديّة ؟
أيها الببَّغاء ؟
أيها الحجرُ الجالسُ القُرفصاء
تتفلّى فيسقطُ من شَعْرك الصَّدَفُ الأخضرُ . . . الصَّمْغُ والملحُ . . . بيضُ الضَّفادع . . .
ريش الطواويس . . . ينثالُ من عينك الحجريّة . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النبيذُ القديم . . . دخانُ النراجيل يا أيها الحجرُ البيغاء
من تُرى حزَّ رأسك . . . ؟
سيفك الخشبيُّ . . . أم الخنجرُ البيغاويّ . . . ؟ كيف تحوّلت قارورةً للنبيذ . . .
وطاحونةً للهواء ؟
كيف أصبحتَ هذا الوِجاقَ من المِلْحِ . . . رأساً لمكحلةٍ أثريّة . . . ؟
جالسٌ أنت ترسمُ وجهك فى بُرعم الماء . . . فى زَهْرة الموتِ . . . تغزلُ حول
وشيعتك الجوعَ . . .
تقضِم مرآتك النرجسيّه . . .
كنت يوماً إلهاً . . .
تدفعُ الخيلَ . . . تصطفُّ فى بابك العرباتُ . . . تشقُّ بسيفك
كعكة الأبديّه . . .
كنتَ أول مزولةٍ تحت خاصرة الشمس . . . أوّل سجّادةٍ للصلاة . . . مُسوَّدةٍ
للنبوة . . .
خارطةٍ لحروف الهجاء . . .
كنتَ . . . لكنك اليوم أُثْفيَّةٌ تحت قِدْر عَجُوزٍ . . . جدارٌ قديمٌ على حافة
البشريّة . . .

الحَجَرُ المُزَخْرف :

كانت شاشاتُ التليفزيون
تنقل أخبار المؤتمر الصحفىّ
تعرض صُوَر الضحكات التذكاريّه . . .
كان المتحدّثُ فوق منصّته الرَّقْشاءِ يحاور فى استرخاء عَذْبٍ . . . فى شَبَقٍ
منغوم . . .
شاربه المعجون بماء الكوزماتيك
كانت يده المسرورة تمسح رأساً مسكوناً بالأعياد الشرقيّه
حجراً مكتوباً بالخطّ الكوفىّ
حجراً مرسوماً بالخطّ الهيروغليفىّ
كانت سَبَّابته تتأرجح فى خطٍّ رأسىٍّ . . . فى توقيتٍ إيقاعىٍّ . . . ترسمُ للنغم
المتكسّر فى شفتيه
فواصل موسيقيّة
لحناً لذناً كخيوط الكاوتشوك . . . .

*

تعليق :

الفارسُ يخلعُ درع الشّرق على فرسان الألوية الحمراء . . . على فرسان
« الباثيت لاو » . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يزرع فى فسقيات كفاح الشرق زهور البندق والكاكاو

صوت هتافٍ أوّل :

نحن المزمارُ . . . الكورسُ . . . نحن نشيدُ الجُوقه . . .
نحن الكـرةُ المطّاط . . . الأكـروباتُ . . . الألعـابُ الناريّـة . . . نحن الأيدى المحروقه . . .
نحن التطريزُ الباهتُ فى حيطان قُصور الشرق . . . الزخرفةُ الممسوحةُ فى جلباب الشرق . . . .
نحن الأفْواهُ المَسْرُوقه . . . .
نجلس فى صمتٍ بيضاوىٍّ خلف كواليس القصر المُرْخاه . . .
نغزلُ للفارس درعاً جَذْلى من أزهار اللّوتس والبردىّ . . .
نتطوحُ فى فرحٍ سادىّ . . .

صوت هتافٍ ثانٍ :

نحن صوتُ الدخان . . . .
قرقراتُ النراجيل . . . تهويمة الحَجَر المتفائل . . . نحن عصا النَّقرزان
ضحكاتُ الفناجين فوق صحون النحاس القديمة . . . أغنيةُ الأوجه الخشبيّة . . .
احتضار الربابة فوق ذراع الغناء الرَّمادى إطـراف المشربيّة . . . نحن صوت الحصان العجوز..غناءُ اللجام المزركش . . . والرَّشْمةِ الذهبيّة . . .
نحن صوتٌ من البُوص . . . والفطْر . . . والخيزران . . .
قد أتينا نجرجرُ أفراحنا . . . نتأبَّطُ كومْة ألحاننا . . . نمتطى صَهْوةَ الفَرَس الفولكلور . . .
قد أتينا نقدم للمهرجان . . .
رقصة الأراجوز الصغير

صوتُ هتافٍ أخير :

ونحن الجُشَاءُ الـذى يتطايرُ . . كى يتصاعدَ . . . كى يتكاثفَ . . . كى يتفصَّدَ . . . كى يتخـدّد . . . كى يتحلّب . . . كى يتـرسّب . . . يتحـوّل أنبـوبـةً تقـذفُ الرمل . . .
سحَّاحةً تقذفُ الشوْكَ والصَّدَفَ المتكلّس فى الرئتين . . . غناءُ المذبّاتِ وهى تَهُشّ الذباب عن الشرق . . . عن وجهه الكستنائى . . .
عن شجر البرجوازيّة الوطنيّه . . .

تُروبادور الشرق :

فى المقهى نجلسُ نحن تروبادورَ الشرقِ الدَّاجن . . . نحن طُيورَ اللَّقْلق والبَشروشْ

نلتفُّ على عُلب السَّردين . . . على أغصان الأسماكِ المحفوظة . . . .
نتلاصقُ فى استرخاء . . .
نتناثر فى صمتٍ دودىٍّ حول الفسقيّاتِ . . . البوّاباتِ . . . الأقْواس المتقاطعة
الأوتارِ . . . كتالوجاتِ الرسم التجريدىّ . . . تهاويلِ الجصّ المنقوش
تتساقط تحت مقاعدنا أعناقُ اللحظاتِ الصفراء . . .

حوار بين صوتين متداخلين :

ــ الهُدْهدُ يرفع صوت الظُّهر بمئذنة الفُسْطاط
ــ ارتقى الهدهدُ للمنبر يُلقى خطبة الجمعة يوم الأربعاء
لابساً وجه المُقوْقس . . .
ماسحاً أمعاءه فى كعكة القُربان . . . فى قنِّينة الماء المُقدّس

تعليق أول : إنه ماركسىٌّ قديم
زهرةٌ فوق صدر (الكرملين) . . .
كان بالأمس يحمل رأس (تُروتسك) لكنهم قطعوا رأسه فتدحرج
من حَنَك المقصله . . . .
لابساً رأس (بيريا) . . .

تعليق ثانٍ : هو وحدوىٌّ رافضىٌّ . . . رافضىٌّ وحدوىّ
مِنْ هؤلاء الراكبين على قُرون الكركدنْ
من هؤلاء المؤمنين الملحدين . . . النَّافضين سجائرَ الإيمانِ والإلحادِ فى
عين الزَّمَنْ . . .

تعليق ثالث : إنه لاعبُ السَّاموراى الخطير . . .
قوةُ العضلات إلى قوّة الفكر فى نغمٍ مُتّحدْ
كبرياءُ الذكاء . . . إلى عنفوان الجسد
من دُعاة اللُّواطِ السياسىِّ . . . وجه بديعٌ لكلِّ العُصور . . . .

تعليق رابع : إنه شاعر الأمير . . .
إنه حارسُ المَلِكْ . . .
ذو وشاحيْن . . . فى الصباح وشاحٌ وفى المساء
فهو فى الصبح فى وشاحٍ بديع من الحرير
وهو فى الليل فى وشاحٍ بديعٍ من الحَسَكْ

تعليق أخير : هو إنسان مصنوع من تُفْل الكلمات . . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يـأتى للمقهى . . . يجلس . . . يضحك . . . يسعـلُ . . . يستلقى . . .
يتزلَّجُ فى غَيْبوبته . . .
يتمحـور حول ذؤابتـه . . . يتجشأ . . . يُـرسـل عينيـه فى النـاسِ . . .
الباعة . . .
ينفخ فى قصب النَّرجيل . . .
تتدحرج ضحكته المغسولةُ فى كوب الجَعَة المَغْسُول
يمشى فى السوق يُبشر بالملكوت الطوباوىّ . . . وبالأمجاد الروحيّة . . .
ويعود ليمسح إبطيْه فى ورق الإنجيل . . . .

فَطيرةُ الموت :

الشِّعْرُ والموتُ المفاجئ
والحفرةُ الجهنميّة . . .
مخافرُ الشرطة . . . مَوْتةُ الذُّبابة الظَّلْعاءِ فوق زَهْرة البطاقة الشخصّيه . . .
منصّةُ الألوهة الكبيره . . .
والدهشةُ الحتميّه . . . .
هى الزخارفُ التى تصنع ريش البَبَّغاء . . .
هى الزخارف التى تُبحر فى دمَائنا . . . أنهارنا الصفراء كلَّ يوم
هى انتحارُ الكلمات . . . وغناءُ البانتومَيْم
تُـرى متى يعزفُ هـذا الحجرُ الشَّـاحبُ سيمفونيّـة المـوت . . .؟ متى تجىء رحلةُ
الزُّهور ؟
متى تنام الزهرةُ المُتعبةُ النَّبيّه
على ذراع المطر الغزير . . .؟
متى . . . متى يزغرد البركان ؟ . . . تلبس القبورُ ثوبها العرائسىَّ . . . يعزفُ الرَّعدُ
نشيده ؟
متى يجىء موسمٌ يُصبح فيه الموت . . .
فطيرةً شهيّه . . .؟
يُصبح فيه جَفْنةً منشورة على الموائد . . .
يُصبح زينةَ العروس : الكحلَ . . . والحنَّاءَ . . . والقَلائد . . .

الإسكندريّة : عبد العظيم ناجى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على هامش جراح الصمت

محمود العزب

وأسأله عنكِ حين أراه وقورًا
وحين أراهُ غَضُوباً جسورًا
وحين أسافر تحملنى ذكرياتك عبر المحيطِ . . .
إلى عالم عبقرى الرؤى فأهيم بعطركِ . .
أسأله : هل تعود الليالى إلى أُنْسِهَا !
هل تعود الطيورُ إلى شدْوهَا !
أنْتَحِي جانباً من صخور المحيطِ . . وأرحلُ مَرمَى البصرْ .
هنالكَ حيثُ التَقينْا ، وكان جمالُ الجزيرةِ يرقصُ ملءَ عيونِكِ
كانت مرابُعهَا تحتوى . . عاشِقين . .
بَتُولاً تملكَهَا الحُبُّ فارْتَدت الصمتَ . .
تفضَحُهَا كَفُّها إذْ تُسَلّمُ . .
يكشِفُهَا صَوْتُها حينما تتكلمُ . .
قِدّيسة تحمل الله والناسَ فى قلبها وهى لا تتألمُ
والموج يأخذها كى يُذَوّبَ ماخبأته السنينْ
وتحنو السماء على الأرضِ . .
يمتزج الأحمر الجرحُ بالأزرقِ البحرِ . ـ
يعتنق الكونُ . . .
كانت تَوَدُّ تقول : أحبّكَ ! تَصمتُ
كانت تَود تثورُ : أحبكَ !!
كان كبيرًا

وكان بلونِ الوطنْ
يثورُ ويحنو . .
ويناى ويَدْنُو . . .
وَيْطَحنُ من يزرعونَ دروبَ الحياة زهورَا
ويُشعلهم فى المساء قناديلَ من عرَقٍ وقصورَا
ويبكى جراحهُم النازفاتِ بلونِ السواقِى

حنانَكَ ياوطناً حالمَا !
حنَانَكَ ياعادلاً طالمَا !
حنَانَكَ ياعاصر الناسِ للناسِ كأسَا !
ويانَاسِجَ الدمعِ تُرساً وفأسَا !
وحُلما يراودُهُ الأغنياءُ قُبَيْلَ الصَّباحِ فَيغدوُ عطورَا
ويَغْدوُ حَريرَا . .
يتيهُ به الرافلونَ . . .

وكانَ بلون الوطنْ
يعيشُ التطرّفَ ! أقصى الشمالِ وأقصى اليمينْ
وكانَ كبيرَا . . .

وكانت بَتُولاً تملّكها الشوقُ يومَ الرحيلِ . . .
تكتمتِ الحب بين الضلوعِ مخافةَ أن يعرفَ العاذِلُونَ
فضنّت على نفسها فى الوداعِ . . ولو بالدموعْ .

رجعتُ وكانَ جمالُ الجزيرة صمتاً كَصَمْتِكِ . . .
لكننى كنتُ أشربُ غَمْغَمة الكَائناتِ .
وأستصرخُ الموجَ والزهر والناس
أستنطِقُ الأرض حتى تبوحَ . . .
وأحْلُمُ أنَّ صدَى صرختى يستحِثُّ القبورَ . . .
ويجرح صمتُ الوطنْ
ويسأله : لِمَ لا يستحيل جَسُورا
تعشقْتِهِ ، وتعشقْتهُ . . .
وهو مازال بين القيودِ أسيرَا
نَمُدُّ له من دِمانا جُسوراً على شاطِىء الجرحِ
كى يستطيعَ العبورَا
نمدّ له أعْيُناً هدَّها الشوقُ أن يتفجَّر فى الناسِ . .
أمناً ونورَا !
وأسأله عنكِ . . .

أسألُ عينيكِ عن سِرّهِ . . .
كيف هزَّ العصورَا !!
وأسأله باسم حيّ وحبّكِ أنْ يَكْسر القيدَ
أن يتحررَ من صمتهِ . .
أن يسيَرا

باريس : محمود العزب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدار الخوف

بدوى راضى

يسبح بين المداراتِ . .
. . يملك سرَّ انجذاب الشموسِ ، وجمعَ اليواقيتِ . .
. . يملك أن يصطفى للخوارج ــ فى عتمة الوقتِ ــ
سيفاً ورايهْ .

أحاول رصْد البطولة فيه . . فأُبصر وجه أبى الهولِ ،
. . لكنما الأنف مئذنة للصلاة . .
. . وسارية للجيوش التى تكتب الفتح بالأغنياتِ . .
. . لينهمر الفيْء ، يصبح ــ فى راحتيه ــ ملاذا
فهل بحتُ بالسرِّ ، حين كشفت له رغبةَ الريح ــ فى أن تهبَّ . .
رخاءً وعصفا . .
. . وأغْريته باقتراف البدايْه ؟

اجتبانى له ، فاقتسمنا السباحة فى المدّ والجزر . .
أطعمنى وجْدَه ، فأبحتُ النوارسَ حبّات قلبى
أقمنا جزائرنا . . واحةً للتهجّدِ . .
. . أمْناً على الرأسِ . . .
. . نافورةً لنزيف الشوائبِ . .
جرحاً . . وبوْحاً . . وتأويل آيَهْ . .

قال : أرحلُ عنك . . فقلتِ : الرحيل مباغَتَةٌ . .
. . دونها ــ لو أردتَ ــ إعادة رسم التضاريس . .

قال : صون الحدودِ . .
فقلت : ولو باجتهاد . . .
. . وفى الحرب خدعَهْ .

كان يحسن جدَّ الأمور . .
لأنْعم فوق مروج النوافلْ . .
وكان يحاولُ . . كنت أحاولُ ألاَّ أحاولْ . .
وأختارُ ــ فى الفىء ــ سهمين . . يرضَى بسهمٍ . .
. . ويحدو المدى فى عيون القوافِلْ .

* * *

قال : ترحَلُ عنِّى . .
. . فأطلقتُ خيل الحروف . . .
. . تصدّ التتارَ . . وتحمى الذمارَ . . .
. . وتعلن أن الهلاك استدارَ . .
. . وأن الديار ستغدو ديارَا
ووهماً . . فَوَهْماً . .
. . وعاراً . . فعارَا . .
تمطّت أتانٌ فصارت حماراً . . .
. . وغافلنى الوقت ، حتى رحلت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاهرة : بدوى السعيد راضى

بيان على الموجة الصّامتة

محمد عبد الوهاب السعيد

هنا القاهرة
إليكم بياناً بما أسفرت عنه آخِرُ جَلِساتِ . .
نادى الخطابةِ والكِلمةِ الشاعرة
« على نجمةٍ فى سماءِ الْبلادِ البَعيدة إبّانَ عُقم السّنابل
تجمّع فى أُلفةٍ عائليه
لفيفٌ من الشعراءِ الفطاحلْ
وكَان الْحماسُ الوقور إشَارَة بَدءٍ لِفصلٍ جَديدٍ من المسرحية
تقُول البلابل : ــ
ــ قِفَا نَبْكِ . .
أوْ نَضْحَك الآن سيّان . .
فالْموت بالْدمعِ كالْموت بِالضحْكِ أصْبحَ شيئاً حقيراً .
ــ صديقىَ قبلِ وقوفك وَدِّع هُرَيرةَ . ..
فالرَّكبْ يَسْرحل مِنْ قَريةٍ حَطمَتها المدَافعْ
إلى حَيثُ يحدوه لصّ صديق برىء للصِّ غريبٍ مخَادعْ
إلى حَيْثُ يَغْدوُ احْتضانُ الأكف السلامَ . .
احْتضَانُ العيون البراءَة ، شيئاً عسيراً . .
ــ دع الركبَ يرحل ياشاعرُ
صموتا . . مهيبا . .
وَهَيّا فإنْ الْعُيون التى طرْفُها أحْورُ
تُنَسّيكَ ذِكرَى هُريرةَ . . دارَ هريرة . .

بُوماً ينوح بأعْتَابِها
أَمَا قلْتَ يوماً :
(وكأسٌ شَرِبْتُ عَلى لذةٍ
وأُخْرَى تدَاويتُ مِنها بها)
فهيَّا فَقَدْ صارَ دَنُّ التّعزِّى كبيراً . .
ــ خليليَّ مَرّا عَلَى دَارِهَا فالخُطَى مُتْعَبْه
وَقولا :
يُحبّكِ حَتَى الْجُنون . .
إلى أنْ يرى الشّمس تُوقِفُ بِالدّمِ زَحفَ الْبحار الكريهة .
فَوْقَ الْرُبَى الطّيبه
وقولا :
يُحبكُ مَجْنُونك الْمُتحدّى الْمَدى
برَغْم المَسَافاتِ ما بَينَ عُشٍّ حَبيبٍ وعُصفورةٍ ضائعة
برْغمِ الطريق الطويلةِ ...
رغم خطوط الحدود وأسْلاَكِها المرعبةْ
وقولا :
أيَا غيمةً تقطعُ الأفْقَ بَحثاً عن الروضة الظامئهْ !
هُنَا فاسْتَرِيحِى
وَغَنِّ . . وبُوحِى
فَقَدْ أَرْهَقَ الْوَجدُ أعْصَابك الشّاحِبَهْ !
وقولا . . وقولا . . .
فَقَدْ صِرتُ أصْرخُ بِالصّمتِ فِى وَجْهِ مَنْ كَبلونَا
وَأمْشِى وَتَمْشِى كأنّا أَسِيرانِ فِى قبضةٍ غاصبهْ
ولَيلاىَ صَارتْ سراباً وجرحاً خطيراً . .
ــ لِماذا تَنُوحُونَ !
هَلْ غَادر الْشُعراءُ المنازلَ . . دِفءَ الفَراشِ . .
كتابَةَ شُغلٍ لِدار الإذاعة كيَما نودع ركباً رحلْ !!
فإنْ كَانَ لابُد مِنْ كِلمةٍ أسْتطيعُ بها صَرف مَاهِيَّتى
فَهاكمْ نَصيحة شَيخ الحروب ، حَديثَ البطَلْ !
لقد كنتُ أطعم مُهْرى بخمسٍ بلا فائدة
وأشحذ سيفى بخمسٍ بلا فائدة
وكانت رماحِىَ تصْدأ حِينَ يَطولُ الشتاء وتحتاج عشراً بلا فائدهْ
أخيراً . . تفَتَّقَ ذِهنِىَ عنْ فِكرةٍ رائدهْ
تَحَسَّنَ دَخْلِىَ حِين بعْتُ حصانِى فِى رحلةٍ نحو أرض السياق
وتُوجْتُ نُوطَ الشجاعة حين بَعْتُ رِماحِى وسَيفِىَ للمتحف العسكرىْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصارت عُبيْلةُ ترضَى سوادىَ . .
لَمَا رأتْ خلف عينىّ عقلاً كبيراً
وبين ضلوعىَ قلباً جسورا
فضجّت سرورا
وأثنت علىّ كثيراً . . كثيرا
ـ إذَا جُنْدُ رُومَا اسْتَطالُوا عليّا
وحَطو بزنْزَانتِى وَجْهَ أُمى وداسُوا عليهِ
فأمرقت عينىَ خِزياً
فعذراً إذا مارأيتكَ فى موقفِ الصّمتِ كالرّومِ سيفا علَيّا
إذا أوغلَ القيد كالروح فيّا
وأنْسيت أنّىَ فى ذاتِ يومٍ
رفعت جبينىَ حُراً أبياً
فعذراً إذا ما تحوّلت يوماً كأحجارِ زنزانتى أعجميا
ـ فيا سيف دولتنا يابن عمى
أراك عصىّ الدموع وهذا أوانُ
لنبكى قليلاً ونغضب وقت النداء مِليّا
تبارَك حزنٌ . .
يعيد إلى الوجه عينيهِ . .
للدار مَنْ شرّدته المنافى . .
وللروض أزْهَارَه والْبَلاَبِل
تَبارك حزنٌ . .
يُعيد كتابةَ تَاريَخ شعبٍ قد اعتادَ ظِلَّ السّجونِ وصوت المقاصلْ
تبارك حزنٌ . .
له سيف حقٍ . .
وإعصار حقدٍ . .
ومليون زَندٍ مقاتل
تبارك حزن
يُعيد إلى الصّدرِ قَلبا بكف اليهودِ وقَدْ كفّنته السلاسلْ
فَهَلْ يَبْدأ الآنَ زَحْفَ الْمَشاعِلْ !!
فَهَلْ يَبْدأ الآنَ زَحْفَ الْمَشاعِل !!

المنصورة : محمد عبد الوهاب السعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقطوعات

مشهور فواز

« ١ » هَوَسْ .

ـ ماذَا يَتبقى مِنْ هَوَسِ الشَّاعِرِ بالمُوسِيْقى !
ـ يَتَبَقى . . .
المُوسِيْقَى !
ـ مَاذَا يَتبقى مِنْ هَوَسِ الشَّاعِرِ بِالْمَرْأَةْ !
ـ يَتَبَقَّى . . .
هَوَسُ الشَّاعِرْ !!

« ٢ » منطق .

لَسْتُ فِىْ حَاجَةٍ للجدلْ
سَاعِدِى . . .
حَسَمَ المَسْأَلَةْ
قالَ لِى :
لا نقىَّ سِوَاكْ !

« ٣ » جَدَلْ .

غَيْرك غَيْرك
لاَ أَحَدٌ يُملأُ أَوْرِدَتِى بِالْمُوسِيقى
. . . .
يَاأَللهْ !.

كَيْف يَدُلُّ عَلَى الْأَشْيَاءِ نَقيضُ الْأَشْيَاءْ !

« ٤ » لِقَاءْ !

أَنْتِ رَاغِبَةٌ فِى الْبُكاء . .
وَأَنَا . . .
رَاغِبٌ أَنْ أُهْدِهِدَ سَيِّدَة مُتْعَبَةْ . .
. . . . . .
حَسَناً
الْتَقَيْنا إِذَنْ !!

« ٥ » فاقة

عَرَّشَتْ فى النَّوَافِذِ
فِى الْحُلْم . .
فى الرَّكْضِ . .
فِى الْأَوْرِدَةْ . .
. . . . . .
كَيْف تَلْقَى منَ الْوَقْت مُتَّسَعاً
تتوَجَّعُ فيه عَلَى مِيْتةِ الْأفْئدةْ !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ٦ » سياسة .

ـ مَاذَا قَالَتْ حِينَ انْدَسَّتْ فِي النَّارِ فَرَاشَةْ !

ـ قَالَتْ :

يـا لِي . .
أَكْتَشِفُ الآنَ جَمَالَ زَوَالِيْ !

القاهرة : مشهور فوّاز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جالسة فوق عرش اكتمالى

أحمد الحوتى

يدحرجنى فى الأزقة . .
يلمس وجهى . . ويهرب !
يهرب فى غمرة القش
يمشى . . على حافة القلب
والقنوات
ويرقص ،
يرقص . . مثل اشتعال الأجِنَّةِ
أسمع صرخته ، وهو يأتى ، أقول :
هو الليل

ـ جميزة العشق والفطنة العائلية ـ
وهذا هو الليلُ ؛ يمرح فيه الصغار ويألفه النخلُ
تُشعل فيه الفوانيسُ أسرارها
وتأتى الفراشات للأهل
تتلو تلاوتها
ثم تقطف رحمتها . . وتسافرُ !
هذا هو الليلُ . . ،
أسمع صوتا يدحرجنى مرتين ؛ ويغمرنى بالعصير
وبالوجدِ !
يأخذنى من سياقى وفِطْرِيّتى ويغمسنى
فى تويج الحنين ،
يغازلنى . . .
ثم يَفْرطنى أخضرا . . أخضرا . .
(حنةٌ فى كلام الصبايا
وقوس على رحم الشوق والأسئلة !
وبين دمى
والحصير المعلقَّ فوق الحوائط
يسكن هذا النبيذ الخرافى
يمتد حبل الأنوثة
يرشقنى مرتين ؛ ويخطف قلبى
أكون أنا همزة الوصل
بين السنابل
والمرأة القابلة !)

لماذا أسمّى المواقيت بعضا من العشق
او فرحة فجرّتها البواكير
فى لمة العائله ؟

وكيف أكون أنا واحدا مفردا
وأرحل مثل اليمامات
قبل اعترافى ؟
وقبل الضفاف التى فَتَّقت ترعة التجربة ؟!

. . . . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقول : هو الليلُ . .
يشغلنى مرتين
ويطلق صوتا
يدحرجنى مرة ثالثة !؟
. . . . . .
مشيتُ . . ،
وطاوعنى ــ الليلُ ــ ناولنى كأسه
. . وشربنا
رأيتك
تفّاحة من عقيقٍ . . وخمره
رأيتُ رسوما وآلهة وزهورا
رأيت العراجين والورق العسلىّ
رأيت المدائن تخرج للنهر . .
لمستُ أحرفها فى يدىّ
وأبصرت . . أنك فى داخلى . .
مثل تلك النقوش وتلك المدائن
وأنّكِ جالسة فوق عرش اكتمالى
فقمت . .
وتوّجتك النارَ والكوكبَ الدائرى
ووليت قلبى قصائده المرمرية
وكاشفنى الليلُ . . كاشفنى . . كا . . .
وزيت يضىء
ونار مُوَلّهة
وبخور على قوسهِ
إنه يتشكلُ . .
يخلط بينى وبين الفراعين !
تضربنى كفه
مرةً
رابعه !
فمن أين أهربُ ؟
كل الأزقة مسكونةٌ
والغوانى تلاعب قلبى
وما كنت ممن يخافون دفَّ الدفوف
ولا فتنة الرقص
أدخل فى مهرجان الغوانى . . وأرقص ؟!
والناى ؟
ــ هذا البهيج ــ
يلوّننى صوته
إنه فى دمى
والغوانى تلاعب قلبى
فينطق بالحق
يقطف ليمونة . . ثم يجرى
يوقّع إسمك
يتركه فى حفيف الوريقات والشجر العائلى ،
ويصطاد شمسا ،
يقول بأن الأزقة مسكونة
وتلك الحروف براعمها ضيقه
ويدخل
فى الصمتِ !
لكنه . .
يسمع الآن صوتا
يشاغله
مرة . . خامسة !
. . . . . .
توجهت للقمر الرّطب
كان حكيما ككل السواقى
وكان يجرجر ذيل عباءته
ثم يفتح ساقا على صرة الأزمنه
وكانت عيون النساء تبارك لحيته
وتفرِط فى حجره سنبله ،
و . . أ . . خ . . ى . .
وأختى . .
تكركر ضحكتُها
حين تطلق زغرودةً للقمر
وتضرب فوق الأوانى
وفوق الجريد .
و . . (أنت القديم . . الجديد . . الجديد
وأنت القمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تبارَكَ صوتك
وجهك خبز
وعيد البلاد
وثوب الولاد
وعرسٌ لنا
كلنا
يا قمر
فكيف نصلّى
إذا غاب وجهك
كيف نروح
وكيف نجيء
وكيف تمرّ الليالى
إذا أنت ودعتنا
يا قمر ؟
تنفّسْ رحيقَ الأجنّة
واضحكْ لنا . . ضحكةً
وأطلق خيولك تأتى
إذا شوقُنا هزّنا
يا قمر !
وتلك الجميلة تأتيك طوعا
تحلّ ضفائرها
ثم تفضى إليك بأسرارها
فدعْ عنك تلك العباءةَ
وارحل
على شعرها
يا قمر .)
تفرجتُ . . . ،
كانت دمائى تسافر فى الظل والضوء
كانت تذرّى . .
وتنشىء حقلا من القمح
كنت النبى الذى يختفى خلف صمت القمر
وحدثّنى صوتها بالعناق
وطوّحنى
مرّة
سادسه !
. . . . . .

قطفت من القلب غصنا طرياً
توكأتُهُ . .
وأنشأت فيه العناقيد . . والوردَ
ثم ضربت به البحر . . فانشقّ ،
والبحرُ . .
كان يراودنى عن حنينى وعرشى المكين
فقلت له : الأرض سبع عماد
وقلت : السموات سبع
وللبحر وجه وحيد !
وأنتَ المؤنثُ . . ،
(تلك الفتاة التى طيّبتنى قليلا
وحاصرنى عطرُها كلّ حين
ألمّ بى العشق ساعةَ أطلقتُها
فعَصبتُها الطيفَ
والياسمين)
وينحل طيفى . . يشكلّنى برتقاله
يشكلنى أخضرا . . كالعقيق . .
بنفسجة . .
ودخانا . .
وحقلا من القهوة الصافية
وليمونة . . أنضجتها البحار
فسمّيت قلبى بأسمائها
وسبعا تكون المواقيتُ والملحُ
نشبع سبعا
وسبعا . . نجوع
تدور الطواحين ،
إنكِ أنت التى كنت أسمعها
فى البرارى
فتخطف قلبى
وتضبط إيقاعه الغجرىّ
وتهرب فى البدء
تهرب . .
تهرب . .
حتى اكتمال السبوع .

القاهرة : أحمد الحوتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

قلب محفور فى سور مستشفى عسكرى

بهاء جاهين

تتضمن القصيدة أربعة مقاطع نثرية مبينة (...)

(١)

الليل صاحبى الوحيدْ
يزورنى كلّ يومْ
يمدّ نحوى كفا
أمدّ كفّين
من شرفة المستشفى
وعينه فى عينى
نظلّ ساهِرَيْنِ
حتى يطلّ الفجرْ
وتهجمَ الشمس بوجهها السعيدْ !

(٢)

قصيدة حب

كتبها نزيل الغرفة ١٧ قبيل دخوله المستشفى

لا شىء يثير الحزنْ
لكنّى أسند رأسى فوق السورْ
أتطلع من فتحات السور
أبصر نخل البلح المهجور
ويماماً يمرق بين الظلّ وبين النُّور

لا شىء يثير الحزن
لكنى أفتح صدرى ليمامةْ
كانت تدعوها صاحبتى
بالسيدة المهجورة

. . . . . .

وأنام جوار السور

(٣)

هلوسات نزيل الغرفة ١٧

المجد للحديقة الخلفيّةْ
لمستحيل الحب . . للأناشيد الشجيّةْ
ــ هكذا قال فتى يدعى جميلْ ــ
يعيش فى مصحة نفسيةْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمدٌ
ووردة تلوح من ثقب جدارْ
تَنَاسَلاَ
وأنجبا ذريةْ :
مصر التى فى خاطرى وفى دمى
أحبّها . . من كل أنفى وفمى !

أصدُّ عدوان الجنونْ
وأشترى باقةَ زهرٍ حنونْ
أهديه للأنثى الخريفيةْ
شريكتى فى الحجرةْ
امرأة تنام فى جِوارى
أشبهُ شيءٍ بحواديت الجَوارى
. . . . . .
واندَسَّ تحت الإبط ميزانُ الحرارةْ

رأيت رأىَ العين ربىً فى المحلّةْ
أمام مصنع النسيجْ
رأيت فى جواره محمدا
سمعت صوته شجياً ذائبا
كأنه يغالب الرغبة فى النشيجْ

. . . . . .
واندسَّ تحت الإبط ميزان الحرارة !
كان حبيبى وردة من أثيرْ
. . . . . .
ميعادُ رسم المخ . . قُمْ !

*

الليل جاء
وليس فى مدينتى صبية
قتلتها . . يوما

الليل دائما يجىء قبل موعده
قلت لها كيف استطاعت أن تحبّ زرقة السماءِ
دون أن تنسى غرامها القديم ؟

قالت : سأرتدى ردائىَ القطنى
الشمس ليست غاربةْ

الليل دائما يجىء قبل موعده !

*

(وجاء موعِدُهْ
لبستُ كلِ مالدىَّ من ثيابْ
صرتُ كُرةً منتفخةْ
تأكدت من قسوة عينى فى المرآهْ
أنتمى لحبيبى
كل هؤلاء القوم لا يعلمونْ
لابد أن أجعل عينى قاسيتينْ
أنتمى لحبيبى
زرقة البنفسج ، المدينة المترامية ، سرطان الأصابعْ !
كل هذا تاريخ قديمْ
لقد كان يعيش فى مصحة نفسيةْ
وخرج منها بإذن اللهْ
فى الحادى والعشرينْ
من شهرٍ غير معروفْ
فى أى تقويم أرضى أو سماوىْ
لقد كانت تحبّ زرقة السماء
تباً لها !
لقد كانت . . تحبّ . . زرقة . . السماء) .

*

المجد للّفافة القطنيةْ
لعيِّنات الدمْ
للصوم قبل الجلسة الكهربيةْ

(٤)

أصحاب الليل

الليل دارْ
يؤمّها الذين يسقطون من نتيجة الحائطْ
ويسرقون الكحل من عين النهارْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول صاحبى
نزيل غرفتى . . وشرفتى :
« العاشقُ الليل أنا
سقطتُ ميتاً
حين أتيت صارخا من لذّة الحياةْ »

« وعندما يحين موعد النجومْ
أظلِ أرنو للعيون الغامضة
يطلّ منها السحر والكهنوتْ
حتى يجىء البعثُ . . أختفى
أجوس فى الملكوتْ
وألتقى بالله »

« فى الليل زارنى الشبحْ
وجاء قطب الوقت عرّانى
قبّلنى فى كل جسمى ثم غطّانى
وقبل أن يمضى أضاف قبلةً
عند التقاء الظهر بالعُنُقْ
وقال هذا موضع النبوّةْ
فى الليل يأتى النورْ
ثم تغيب الشمس فى مشرقها
أنام حتى يشرق الظلام »

فى المنهج العلمىّ
هذا ذُهانىٌّ فِصامىٌّ شقىّ
لكنه فى المنهج الليلىّ
مندمج بالكون فضىّ الشعاعْ
وليس فى عينيه أسئلةْ

*

(تنزل السلّمْ
جاريةٌ ثورية من حَرمْلِك الجنونْ
فى قميصها الذى تصحو به ثم تنامْ
تطالب بقدح من الشاى الساخنْ

ذابلةً ، ريانة البدنْ
متقدة العينينْ
تتحدى الطبيب والممرضات والعسكر والنزلاء الرجالْ
تتحدى المصير والصدفة والقضاء والقدرْ
بامتلاء شفتيها
ويدعى جسدها شيئاً
ولكن روحها التى لا تكذبْ
حمامةٌ عَلِقَ جناحها فى شَرَكْ المستشفى .

تقتحم المطبخْ
وتطالب بقدح من الشاى الساخنْ
لأنه يبرد فى صعوده السُلّمْ
لعنبر الصُفْرِ العذارى
تدرك بغموض أن الظلم هو القاعدةْ
وأن المستشفيات العسكرية معتقلاتْ
لكل شىءٍ مدنىّ أو حنونْ
من عاداتها السيئة القاء طعامها من النافذةْ
على رأس الحديقة والناسْ !

راهبةٌ متهتكة تَبتُلُها قهرىّ
ويشتاق جسدها الشاى الساخن
لها الله
وجلسات الكهرباء !)

*

كان يصوم كل يومٍ . .
لاتَبتُلا
بل اضطرارا
حتى تحيل الكهرباءُ ليلَه نهارا !

رأيته ــ فى عامه السادس عشرْ ــ
أشْبَهَ شىءٍ بالحطام الزورقىّ
يحسبنى الطبيبَ أو أباهْ
وأمُّهُ تبصق فى وجههْ
ــ أسَرَّ لى ــ

يسير كالشىء المنوَّمْ
يقتحم الحجراتْ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعبث بالأشياء . . يستعملها
يُهْرع للسلَّمْ
وراءه اثنان من العسكرْ
يكتفانه . . يزوم صارخاً :
« أحبّ أن أسير فى الحديقةْ !»
فيربطونه إلى السريرْ
يعوى إلى أن ينامْ
« أحب أن أسير فى الحديقة !»

كان يحب أن يسير فى الحديقةْ
يتبعه خمسةْ
من الجنود والملائكةْ

*

ثيابه العسكريةْ
كأنها أكفانْ
تظل فى دولابه معلَّقةْ
كلّ صباح يعتنى بثوبِهِ
ويعتلى الأريكة الجلديّةْ
ينتظر الزائرينْ
ولا يزوره أحدْ

الوجه طفل أشيب الفَوْدينْ
علَّمه القهرُ وقارَ الخائفينْ
ولوْزتا عينيهْ
نبعان من حنينْ
لصحبة الليل الذينْ
تفرقوا فى آخر السهرة مرةْ
كلٌّ إلى بيتهْ
وهو إلى منفاه . . مستشفاه . . وعدِه الحزينْ
بالعين يدعونى
لمقهى النزلاءْ
نشعل نار الدفء والحديثْ :
ــ تعزَّ بالفراغ
واملأ حياتك التى انتهت
بتافه الأشياءْ
تقول عينى ؛
واللسانْ
يلهج بالمستقبل الفتان

*

(أما اليمامة التى تمرّ فى الطُّرقة
مندهشة . . مندهشة ــ مندهشةْ
لها من عادات الطير
انتفاض الوجه ، وانثناءة العنق

لست أدرى لمَ يضعونها هنا !
إنها تناسب الحدائق أكثرْ
خاصة إذا كانت الحديقة وهميةْ
فى الخامسة عشرةمن هُيامها
تحب كل العسكرْ
وخاصة أحمدْ
ريفىٌّ جميلْ
أبيض الوجه ، أبيض الثوب ، أبيض القلبْ
يصنع الشاى . . وأحيانا البهجةْ)

*

(أمّا محمدْ
أمّا محمدْ
أمّا محمدْ
العسكرى الشهيدْ
شهيد البلهارسيا . . وبطاقة التجنيدْ
الطيِّب . . ذو الشارب المعتذر عن تفاهتِهْ
كأنه دودةٌ تتلّوى فوق شفتيهْ
لا يملك شاربا فخما كالآخرينْ
لا يملك شيئاً
إلا صُفرةَ وجههْ
ومواويل الصعيدْ
والدود الذى ينهش وجدانهْ
أعطيته « برطمانا » من عسل النحلْ
ــ فيه شفاء للناسْ
لكنه بدا يائساً
ومستسلما لقدرهْ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه من الزعامة الوقارْ
ومن صفاء القلب حبُّ الصغارْ
حبيب أطفال الممرضاتْ
وصاحبى
أعطيته صورتى . .
أعطيته يوما جنيهين هديةْ
لأنه رُقّى من نَفَرْ
إلى استدارة القمرْ
أعطيته قلبى
ورقْمَ هاتفى . . إذا خرجْ
يزورنى .

الجند فى هذا المكان طيبونْ
وصاحبى علىّ
هو العلىُّ بينهم . . والخافض الجناحْ
ينام ثلْث الليل مثل الأنبياء
يقوم قبل أن يشقشق الصباح
يرهق نفسه . . كأنه . .
سيدخل التاريخ لو تعبْ .

سيدخل التاريخ صاحبى علىّ
هو الذى أنبت حوض الورد فى الحديقةْ
وهو الذى يسقيهْ

(٥)

قصيدة حب

كتبها نزيل الغرفة ١٧ قبيل دخوله المستشفى

لا شىء يثير الحزنْ
لكنى أترك قلبى فوق السورْ
محفوراً فى أحجار السورْ
أعطى ظهرى للمستشفى
وأسيرْ
لا أحمل قلباً
لكنى أحمل كل قلوب رفاقى . .
وأسير .

القاهرة : بهاء جاهين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوجه الذى توحّد

مفرح كريم

إلى صالح الصياد

سَأَصْعَدُ فوْقَ فروعِ الشَّجَرْ
وأقْذِفُ قلْبِى إلى جَنَّةٍ فى السَّمَاءْ
وأعْرجُ للصَّبَوَاتِ التى استعبدتنا
وأصعد للصبواتِ التى استكْبَرَتْ
فاسْتحالَتْ عَلَيْنَا
وأسْكُبُ ــ فى سِكَّتِى ــ كلَّ ما عَرَفَتْهُ المسَافَةُ ،
أنظُرُ للشَّمْسِ إذْ تتناثَرُ فى كلِّ صَوْبٍ ،
وأنظُرُ للأرْضِ
تمشى الجبَالُ عَلَى كتِفَيْهَا . . وَتَحْلمُ . .
أنظرُ للنَّاسِ ينكفئونَ على شاطئ النَّهْرِ
ينتظرونَ الخلاَصَ
وما يتفَتَّقُ زَهْرٌ عن النطفةِ المُرْتَجاةِ ،
وأعرفُ أنى سَأَمْشِى وَحِيداً
فأنْتَ عَبَرْتَ على مركبٍ مِنْ دُخَانٍ . . .
وأوغلْتَ خلْفَ تدفُّقِ مَوْجٍ . .
وأنْتَ على حافَةِ الأفْقِ
تنظُرُ . .
ها قَدْ تجمَّعَ كلُّ الرفاقِ

وطافَتْ عليهمْ طيُورٌ من الصَّمْتِ . . ،
ألقَتْ عباءَتَها فوقَ كلِّ الرؤوسِ
وشدَّتْ عليهمْ خياماً مِنَ الدَّمْعِ
ألقَتْ حروفَ الكَلاَمِ إلى سَافِيَاتِ الرِّيَاحِ
وعادَتْ تحوِّمُ
ترفَعُ رايةَ ليلٍ تطاوَلَ
حتَّى سَقطنا على شاطِئَيْهِ
وما أنقذتْنَا النَّوَارِسُ ،
ما أرْشَدَتْنَا إلى الشَّطِّ رايَهْ .

*

وَيَوْمَ تَمُرُّ الجبالُ كَمَرِّ السَّحَابِ
ويومَ تعودُ الجوارى إلى مُلْكِ آبائهنَّ
وينسينَ عُمْراً تقضَّى على حاشِيَاتِ البُكَاءِ ،
ويركبْنَ أحْصِنَةَ البرْقِ ،
يصعَدْنَ فى موكبٍ للشموسِ التى تتخفَّى ،
ويقطفْنَ منها زهوراً
ليصنعْنَ عِقْداً

ويركبْنَ فى مرْكَبٍ من شعاعٍ
يطوِّقْنَ جيدَكَ ،
يطبَعْنَ فوقَ جبينِكَ قِصَّهْ
سأدخُلُ فى صفحاتِ النفوسِ التى
رَسَمَتْهَا يداكَ
أفتّشُ عنْ لفْتَةٍ منْكَ
أبْحَثُ عنْ خَطْرَةٍ
كُنْتَ تحملها ذاتَ يومٍ
وأعطيتَهاَ ــ فى دماكَ ــ إلى نَفَرٍ
يملأونَ الكتابْ .

*

سأبْحَثُ فى صفحاتِ كتابِكَ عن بَصْمَتِي ،
وعنْ وجْهَتِي ،
وعنْ قطرةِ الدَّمِ
حينَ تصيرُ محاورةً بيْنَنَا
فتحملنا فى رحيقِ الكتابةِ
وَجْهاً توَحَّدَ ،
عُمْراً تحَدَّدَ ،
صَوْتاً تردَّدَ .
أهرُبُ مِنْكَ
وأنْتَ على كلِّ وجْهٍ أراهُ
كأنَّكَ وَجْهٌ تبعْثرَ عبْرَ الوجوهِ
وأهربُ منكَ
ولكننى فى نهايةِ رحْلَتِي المجْهِدَهْ
أراكَ تجيءُ
وتجلسُ فى كُرَيَاتِ دَمِى
فأغْلِقُ بابَ المَسَاءِ
وآتى إليكَ
لنشربَ قهوتَنَا فى السَّدِيمِ
ونحكِى عن الوجْهِ حينَ توَحَّدْ .

القاهرة : مفرح كريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التماثل للاقتراب

عبد الستار سليم

. . . وإنّ عناقيدَ كرْمك حين اكتَرَتْ .
كلِ هذى العصافير من كل صوب . . لتغرس .
سرَّ مناقيرها فى حلاوتك العسجدية . . ثم تجىء إلىَّ عناقيدَ يقطر شِوقٌ حلاوتها فى الفؤادْ .
وحين انتشيتُ بقرب المعاد .
تفجَّر قلبى بلاداً من الحبِّ ــ حين رأك ــ وزهْر فى جانبيه الغناءْ .
تفرّع فيه الكلام جدائلَ مثل شعور الصبايا .
فإن «الصعيد» بلاد من الأمنياتِ . . من الأغنيات تشاكس طيرَ الحنين فيهربُ . . ثم يحطّ . . ويهرب ثم يحطّ . . إذا ما يراه غرام الحقول .
فيا وطنى عِمْ صباحا . . فإنى التحفتك ليلةَ هاجمنى القرُّ . . وأسمعُ قولك حين تقول . . ويا أيّها الوطن المستكنّ بأحشاء جوفى انبثِقْ باللآلئ من جوفك اللهبىّ . . يرفرف من فوقك العشق لحنا وتنفجر الحلمات زروعاً .
وهيّئ لنا فى رُباك رجوعاً .
ويا أيها البلد الشفقىّ انتثر بسيوفك واقطع رءوس العذابات . . والباحثين عن الزهر كى يقتلوه .
فبين صدورك والغائبين تضلُّ النصول .
وبين انتشائك والأغنيات يكونُ .
ارتحال العصافير والحلم نحو الفصول .

القاهرة : عبد الستار سليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الرزاق المطلبى

قصة

ظل قديم

« كل انسان هو صحراء نفسه . »

ـ هنرى ميلر ـ

رجل وامرأة . .

رجل غادر بيته ، وامرأة غادرت بيتها . .

حثيثاً يخطو الرجل ، فيثير بقدميه غبار طريق قديم ، وفى ذاكرته يزيح غباراً قديماً عن ملامح امرأة . .

وتخطو المرأة متعجلة طريقها القديم ، وفى ذاكرتها ينزاح ضباب عن وجه رجل .

الرجل لا يعرف ما الذى جعل المرأة تخرج الآن من تحت الظل العميق لهذا الزمن القديم كله ، وتتجه إليه ، ربما مثلما كانت تتجه بوجهها الجميل ، الحزين ، الوقور إليه أيامها تلك .

والمرأة لا تحتمل أن يكون الغبار قد ضيّع ملامحها فى وجدانه وخياله بعد هذه السنين . . كلها . .

غير أنهما يستمران فى اندفاعة خطواتهما ، المرتبكة المتعجلة اللاهفة لملاقاة بعضهما .

والرجل لا يعرف ما الذى يحصل له الآن . ليرى طريقه تمتد بكل آثار خطوه القديم إليها ، مع أن السنين الطوال ساوت ملامحه وأضاعته حتى فى ذاكرته .

والمرأة لا تعرف ما الذى حصل لها ، لتجد عينيها بإزاء وجهه الذى سطع فجأة فى خيالها ، كما لو كانت ثمة ستارة انفرجت عن ملامحه ، لتقف ذاهلة هذا الذهول كله ، وهى تحدّق غائبة تماماً خلال سطوع اللحظة ، فى عينيه ، اللتين كانتا لا تملاّن التحديق بعينيها ، غير أنها تشعر بثبات غريب لم تعهده فى أعماقها ، وبمشاعر تهيج هيجانها القديم الذى تذكر ! وبتوق يسيطر عليها ، ويكاد يقفز بها الآن ، وهو يقودها إليه .

هكذا . . .

دخل ، ووجد مظروفاً على مكتبه فى بيته . .

فى البداية سقطت عيناه على اسمه وعنوانه ، من غير اكتراث كثير ، وتجاوزه إلى عنوانى كتابين ، ومجلة ، وبضع كلمات مكتوبة على ورقة مزاحة إلى جانب الطاولة ، لكنه كان يعود بعينيه إلى الكلمات على المظروف سريعاً ، إذا بقى مرتسماً فى ذاكرته بعد مرور عينيه عليه ، ونبضةً نبضةً ظهرت مظاريف وعنوانات ، وكلمات ، ولحظة ما كان يتأمل فى الكلمات على المظروف ، كانت أشياء كثيرة تنثال فى خياله ، رسائل كاملة تنبثق ، وتشرق ، ثم تهبط ضائعة فى رماد ذاكرته لتسطع غيرها . . و . . . ومن بينها كلها ، ظهر الوجه ، الوجه الهادىء الجميل ، بمسحة الحزن الغريبة ، والنظرات التى تمتد

إلى ما لا نهاية منبثقة من نقطة بعيدة جداً فيها . . وجه امرأته . . وانتفض . .

التقط المظروف سريعاً ، وأدار كرسيه الدوار بحركة تنم عن اندفاعة لخلوة أو حرص أو سرية ، وفضّه بأصابع يربكها التعجل ، وعدم التصديق واستغراب الأمر كله .

آ . . . . . ه !

أطلق هواء صدره دفعة واحدة شاعراً بفراغ هائل يملأ أعماقه ، وكأن لا نبض أو أنفاس .

كانت رسالة منها فعلاً ، بعد . . بعد . . كانت السنين قد تراكمت ، حتى لم يعد يعرف كم مضى على آخر لقاء لهما ، بعد أن غادرت قدماهما دربهما اليومى المشترك .

لكن أين هى الآن ؟

معه ، فى المدينة نفسها ، الرسالة تقول . .

أكانت إذن ، الزمن كله ، كل هذه السنين الطوال ، هنا ؟ وهو لا يعلم ؟ أم تكون قد عاشت بعيدة ، حتى إذا عادت عاد بها حنينها إليه ؟

وتنفس عميقاً هذه المرة ، وأغمض عينيه ، وشرد بخياله . .

المرأة لا تشعر الآن أنها تغيرت كثيراً عمّا كانته لحظة سيرها الحثيث إليه ذلك الزمان ، فها هى ذى نفسها ، تكاد خطواتها تقفز بها قفزاً عبر هذه الشوارع والأزقة الملتوية ، إلى محطة الحافلة فى الشارع العام ، لا تبصر الآن إلاّ بداخلها المحموم المضطرب ، لا ترى ولا تشعر حتى بخطاها . .

والرجل لا يدرى ما الذى اعتراه الآن ، وهو يرى خطواته موصولة تماماً بأصداء تلك اخطوات ، التى كان يحملها هياج أهوائه إليها ذلك الزمان ، ولا يصدق أبداً ، أن مثل هذا يمكن أن يحدث ، له أو لغيره ، فأية سهولة هذه التى انزاحت بها كل تلك السنين ، كأنها ضباب نفخته ريح ساخنة ! وها هو ذا يرى نفسه فرحاً ومدهوشاً تماماً ، وهو يتعجل ساقيه إليها ، ولم يفكر كثيراً بالشوارع أو الأزقة التى ستقوده إلى محطة الحافلة ، التى كانا ، من قبل ، يأويان إلى مظلتها ، وتحت نور مصباحها الوحيد ، صيفاً وشتاء .

الرجل ، سأل نفسه : أتحسن أن تتخيلنى كما أنا الآن ؟ أوه ! أتمنى ألاّ تنتظر فىّ ذلك الوجه الفتىّ القديم ! صحيح أن مشاعرها قد تكون هى نفسها ، لم تتبدل ، كما هى مشاعرى الآن ، لكن هل ستألفنى عيناها ، أو تتآلف مع وجهى الآن ؟

والمرأة تأملت طويلاً صورته القديمة فى ذاكراتها وتساءلت حزينة بعض الشىء :

أترى هذا الزمن أثّر فى عينيه ، وهل سينظر إلىّ بعين مشاعره كما كان ؟

الرجل والمرأة ، أقبلا معاً ، نحو نقطة واحدة فى رصيف الشارع ، كل يسبق بعينيه خطواته إلى الآخر ، من غير أن ينتبها للضوء الباهت ، ولا لخلو المكان من مظلة الحافلة العامة واتجها معاً إلى مكانهما القديم نفسه ، الذى تباعد عنه عمودا ضياء الشارع فى جانبيه ، وقد نسيت المرأة طريقها كله أن تفكر فيما ستقوله له ، والرجل مثلها ، حمل نفسه إليها ، من غير أن يفكر لحظة واحدة ، فيما سيقوله لها ، على غير عادته القديمة . لكنهما تنفسا بارتياح كثير ، إذ حملا معاً ، « أشرطتهما الصوتية » القديمة ، التى كانت تفرحهما لحظة يسجل كل منهما عليها ما يختار من مقطوعة موسيقية تمتزج بكلماته للآخر : « عيد سعيد . . . . » حيث كانا يتعانقان تحت مظلتهما القديمة ، فى السطوع القوى لضوء عمود الشارع ، وفى جهازى التسجيل الصغيرين قربهما ، كانا ، المرأة تستمع لكلمات الرجل ، فلا تتخيل أن ثمة ، فى الكون كله ، أكثر عذوبة مما تسمع هذه اللحظة الفريدة ، التى لا تتنفسها وحدها إنما الكون كله يتنفس رنينها معها :

والرجل يستمع لكلمات المرأة ، فيشعر أنه يخفّ يخفّ ، حتى ليغدو بعض شعاع أو خفقة ريح . . وكأن كونه كله يحمل هذا الوقع الشديد العذوبة لكلماتها .

تمس القدمان القدمين ، وتمسك العينان بالعينين ، وكأنهما لا يصدقان نفسيهما ، أو كأنهما يحلمان ببعض ، هكذا فجأة ، امتدت الكف للكف ، وشدتا على بعضهما شداً خفيفاً أولاً ، ثم بقوة . . تنهدا معاً ، كما لو كانا يطرحان عنهما ثقلا أتعبهما حمله السنين الفائتة كلها ، وكانا يتنفسان هواء واحداً ، أليفاً لهما معاً ، كانا يتنفسان مشاعرهما المبهمة الغامضة ، الفرحة ، الهائجة هذه اللحظة .

ــ أوه . .

قالت له ، وهى تبتسم متلفتة حولها ، وأضافت :

ــ كنت أعرف أنك ستأتى . . لكنى لم أتخيل كيف . .

وهزّ هو رأسه هزات سريعة ، من غير كلام أولاً ، وكان لا يزال يحدق فى وجهها ، ثم قال :

ــ أنا أيضاً . .

قالت :

ــ حتى إننى لم أسجل لك ما أودّ من موسيقى ، ولا حتى

كلماتى لك لهذا العيد . .

قال :

ـ ولا أنا . . لكنى . .

وفتح حقيبة صغيرة . . أراها فى الضوء الكابى ، مجموعة أشرطة صوتية قديمة ، وفتحت هى حقيبة يدها ، وأرته فى الضوء نفسه ، مجموعة أشرطة صوتية قديمة . .

وبقيا ينظران إلى بعض صامتين ، ثم قالت :

ـ لم أحمل جهاز تسجيل معى . . الجهاز فى البيت كبير ، وليس لدى جهاز صغير ، والأولاد . .

فأشار لها برأسه أنْ أنا مثلك ، وهو يتمتم :

ـ تماماً . . تماماً !!

كان لا يزال يحدّق التحديق القوى فى عينها . . وكانت هى تعود إلى تحديقها شاعرة ، كما كانت ، إنها تندس وتنتشر فى داخله كله .

بيد أن الرجل كان يفكر هذه اللحظة ، أنها أليفة وغريبة على نحو لا يستطيع تحمله . إنها مثل زائر عزيز على وشك الرحيل ووجد نفسه ضائعاً ، وهو ينظر فى وجهها بقوة ، أكانت هى هى نفسها حقاً ؟ أو تقدر أن تكون هى هى حقاً ؟

قالت له :

ـ لا أستطيع أن أظل هنا كثيراً ، ، أردت أن ألتقيك هنا فقط ، فأعيش اللحظات الجميلة فى حياتى مرة أخرى قبل أن . . . لكننا . . لا نستطيع أن نستمع مثلما كنا .

كان ينظر إليها فاتحاً فمه قليلاً ، يتأمل الملامح التى يتكشف وهمه عنها الآن ، فيتعلق بصره بالسنين الكثيرة التى مرت على هذا الوجه الحبيب ، ويفكر أنها لا بد أن تكون قد تجاوزت بنظراتها ضباب لهفتها ، فتبصر الآن بركام السنين الثقيلة على وجهه .

قالت :

ـ زوجى شرب حتى سكر ، وثمل تماماً على عادته ، ونام . .

لكن الأولاد . .

أعادته كلماتها إلى نفسه ، وتذكر أن امرأته ، ومن فرط تعبها الكثير فى البيت نامت من زمان . . لكن الأولاد . .

قالت :

ـ زوجى يشرب كثيراً كثيراً . . حتى ينام .

وفكر هو بصوت مسموع :

ـ وزوجتى تعمل كثيراً ، كثيراً . . حتى تنام . .

هذه اللحظة ، تنبها معاً ، إلى أن لا مظلة لحافلة ، ولا ضوء لمصباح يضىء وجهيهما ، كما فى الزمان القديم ، بل كانا يقفان عند عمود كهرباء مهجور ، علقت عليه لوحة صغيرة تحمل أرقام حافلات ، التفت كل إلى جهته ، كان الضوء يسطع فى بقعتين تنفرشان على رصيف عريض فى جانبيهما البعيدين .

الرجل مدّ يديه بحقيبته وقال :

ـ خذى شريطاً ، واستمعى وحدك إليه . . أرجوك . .

والمرأة مدّت يديها بحقيبتها ، وقالت :

ـ وأنت خذ واسمع وحدك . . أرجوك . .

وكانا يتماسكان بعيونهما ، وتستحيل مشاعرهما خيطين من حنين قديم ، يندسان وئيداً فى جسديهما . .

المرأة اقتربت ، وهى تمد كلتا يديها إليه مشرعتين لاحتواء جسده .

والرجل اقترب من غير انتباه ، مدّ يمناه ، وأخذ يمناها فقط شدّ عليها بقوة ، يصافحها ، اهتزت هى قليلاً ، وقد بدأت تشعر اللحظة بالبرد الشديد ، وكأنها كانت تنظر إليه وتبحث عن شىء قديم أضاعته الآن ، قالت :

ـ البرد شديد الليلة . . وطريقى إلى البيت طويلة .

ثم انفلتت تحثّ خطاها حثاً سريعاً ، مندفعة فى ضباب بارد وهواء ثقيل .

الرجل استمر واقفاً ، وبدا ضائعاً يتوه فى مشاعره ، وهو يتبع بعينيه شبحها المندفع فى الظلمة الشاحبة ، يستفزّه ويثير حزنه العميق هاجس لا يتبينه ، تذكر بعْده عينيها وهما تدمعان آخر لحظة ، وأبصر فى خياله ، متنبّهاً للتو ، بيديها تمتدان إليه معاً ، كانت تنوى أن تعانقه إذن !! كانت تريد كلتا يديه ليعانقها إذن ! وهذه اللحظة شعر أنها إنما كانت تودعه وداعها المؤجل كل تلك السنين . وبسرعة عجيبة كرّ شريط السنين أمام عينيه . . لم يكونا قد ودعا بعضهما ، كانا ينظران بعشق فى عيون بعض ، وهما يعرفان أن أقدامهما تفترق ، وطرقهما تفترق ، وأن أيامهما تفترق ، فكانا يزيدان فى التجائهما إلى بعض ، فى امتزاج مشاعرهما ، فى التقاء عيونهما ، يوماً وراء يوم ، حتى لم يعد ثمة من مكان أو زمان . .

الرجل شعر أنه مهجور من نفسه ، ومن مشاعره ، فى هذا المكان الذى بلا ضوء ، تلفت حوله ، متعجباً تماماً ، لأنه لم يشعر بالبرودة الشديدة لهذا المكان إلاّ اللحظة ، هذا المكان فى هذا الليل المهجور حتى من بقايا الأنفاس ، عمّق كثيراً من شعوره بالوحشة والفقد الأبدى . . وعندها قال بصوت خفيض يكلم نفسه ويكلمها وكأنها ستسمعه :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ما أفظع برد هذه الليلة !

بعدها أسرع بخطواته إلى مكان لا يكون فيه وحيداً ، حتى لو كان بيته !

فى البيت ، لم تدخل المرأة غرفة الأولاد ، ولم تتجه إلى غرفة نومها ، حيث يتكوم زوجها على سريرهما ، بل اتجهت إلى المطبخ ، ووقفت فى منتصفه ، بكامل هيئتها وحقيبة يدها تتأرجح على كتفها ، تنظر ولا تبصر شيئاً ، وأنفاس تتصاعد من قاع أعماقها مثل أبخرة ساخنة ، تشعر على نحو ما ، بخيبة ، وبما يشبه طعم الرماد فى حلقها ، وخوف غامض يشدّ على وتر بعيد فيها ، لا تعرف ما كانت تريد ، ولا ما تأمل . كانت مفاجأة بشىء ما ، صعب ، ينزل فى أعماقها كحجر ثقيل ، وكانت ثمة رغبة شديدة بالبكاء، بالصياح أو الغضب من أحد . كانت روحها تلوب مضطربة ، وكان جسدها يضيق بالاضطراب فى روحها ، ومن غير انتباه أو وعى ، فتحت شباك المطبخ على الليل الشديد البرد ، وتركت ريح تلك العتمة تهب عليها ، وتزيد فى برد أعماقها تلك اللحظة .

والرجل ، الذى هاج حبه القديم فيه ، حملته قدماه إلى أمكنة كثيرة ، فجلس فى مقهى عتيق ، فى المكان الذى اعتاد الجلوس عليه تلك السنوات البعيدة ، وعلى المعقد الخشبى القديم المفروش بحصير الحلفاء ، ثم طوح بقدميه فى شوارع وأزقة ، وصعد على جسر ، وترك لهواء النهر البليل أن يجتاح روحه .

كان يشعر بغربته عن نفسه ، وعن ليلته ، ومرّ بسوق شعبى أو صلته إليه شوارع ضيقة ، حتى وجد نفسه ، من غير وعى أمام باب بيته .

دقّت ساعتا حائط فى بيتهما اثنتى عشرة دقة ، فانتفضا معاً ، من غيبتهما ، ثم كانا ، هذه اللحظة ، يستمعان ، كل منهما فى غرفته البعيدة ، عن الآخر بمسافات داخل الليل ، والصوت البارد الغريب ، كملمس حديد صباح يوم صقيعى ، يوغل بعيداً فى داخل كل منهما ، ويوهن حتى النبض ، فيهبطان معاً بجفنيهما على عينيهما ، ويسود ظلام ، ليفصلهما عمّا حولهما ، ويشعران أنهما يقفان معاً ، داخل العتمة القصيرة للحظة الفاصلة بين يوم عجيب مضى ، ويوم غريب يأتى . .

وكما لو كان يستمعان إلى أصواتهما القديمة ، أخذا يعدّان الثوانى . . كان الزمن يسقط مثل قطرات تتتابع داخل كل منهما ، على إيقاع تكتكات ساعتى الحائطين فى بيتهما .

حين فتحا عينيهما مرة أخرى ، كانا يبصران على نحو كئيب . وحدتهما الغارقة بظلام الأعماق داخل ضوء غرفتيهما الشديد السطوع . .

كان الرجل يقف وسط غرفة مكتبه ، وقد أطفأ ضوءها لائذا فى ظلامها الصامت .

وكانت المرأة تقف فى غرفة نومها ، ملتفة تماماً بظلامها العميق ، تلوذ به حتى من نفسها ، ومن أفكارها . ثم امتدّ الظلام ، وشمل سكونه المدينة كلها ، فأسرعا معا ، المرأة إلى جهاز التسجيل فى غرفة الجلوس ، ودفعت شريط الصوت داخله ، وضغطت على زره ، وأنصتت . .

ومثلها أنصت الرجل منتظراً جهاز التسجيل أمامه . .

وراحت ساعتا الحائط فى البيتن ، تنسجان بتكتكاتهما صمتاً يتجمد فى ليل بارد . .

فى الجهاز أمام المرأة ، كان شريط الصوت يدور . .

وفى الجهاز أمام الرجل كان شريط الصوت يدور . .

وجليد الصمت يمتد ويوغل فى الليل . .

وتمضى الثوانى والدقائق . . وأجزاء الليل . .

والرجل والمرأة ينظران ذاهلين ، وبما يشبه الفزع إلى الدوران الصامت للشريطين أمامهما . .

ودهشا ، وهما يفكران تائهين ، ثم تساءل الرجل :

« أتكون المرأة قد مسحت عامدة أصواتاً قديمة فيه ، ولم تسجل جديداً ؟ أم هو الزمن الطويل قد . . . ؟! »

وتساءلت المرأة شاردة :

« أيكون الرجل قد مسح عامداً أصواتاً قديمة فيه ، ولم يسجل جديداً ، أم هى السنين الطويلة قد . . . ؟! »

ضربة . . وكفّ الجهازان آلياً . .

فزّ الرجل من شروده ، وفزّت المرأة من شرودها ، وهبطت أنفاسهما معاً فى بئر واحدة . .

كلا الرجل والمرأة ، وهما يستلقيان على ظهريهما فى البرد ، كانا يفكران فيما سيفعله كل منهما الآن ، فى مثل هذا الصمت الغريب المطبق لبقية الليل من يومهما الجديد ، ويتساءلان : إن كانا ، هى أو هو ، سيقصدان ثانية فى ليلتهما القادمة إلى ذلك المكان البعيد القابع من غير مظلة عند عمود الضوء المهجور . .

بغداد : عبد الرزاق المطلبى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد كمال محمد

قصة

التربح عند الحافة

كان الرجل يتقلب كثيرا فى سريره . . بينى وبينه فى الحجرة الضيقة متران فاصلان ، أما أنا فكنت ساكنا بغير حركة فى الظلام ، مفتوح العينين . .

بعدما تحدثنا فى البداية قليلا ، رجوته أن يدير مفتاح الكهرباء المجاور لسريره ليطفىء النور ، فابتسم ابتسامة باهتة ، وقال فى غير نبرة تساؤل :

ـ « أتريد أن تنام الآن ! »

قلت إنى متعب من جهد النهار ، فسألنى فيم تشتغل !

لذت بالصمت ! فحدق نحوى بنظرة حجرية ، وسكت . .

فى البداية تقلبت مرتين ، أذكرهما ، فأنين السرير يتلقفنى معه خوف غامض مترقب . . وظللت مع نفسى ، تقتحمنى تقلبات رفيق الحجرة . .

انبثق فى الظلام وهج ثم طرف لفافة مشتعل . . قبلها لم أسمع حك العود بعلبة الثقاب . .

تسمعت امتصاص الرجل للفافة وزفرات الدخان . . خمنت نفاد اللفائف التى جاء بها عامل الفندق منذ ساعة واحدة .

صرَّ السرير والرجل يتململ فى رقدته يسألنى فى حرج ، إن كان لا يضايقنى الضوء وقتا !

ضيقت عينى لأتقى الوهج قليلا . . كانتا متعبتين . . ليال طويلة لم يغمضهما النوم . . وكلما تقاصرت المسافات حملت لى الليالى خوفا أكبر .

ـ « حكى لى حكايته » . .

سمعت صوت الرجل فحملقت نحوه متسائلا

ـ « كان ينام على هذا السرير أمس »

بدت أصابع يده كأنما تنبض بانفعال غامض ، وهى تربت على طرف سريره . .

ـ « هارب من سجن عشر سنوات »

كتمت انزعاجى فلم أسأل من !

مضى يقول :

ـ « أحب أن أصاحب من أقابلهم . . ربما لوحدتى »

همهمت :

ـ « هل تنزل بالفندق من زمن ! »

ـ « مدرس . . كان مدرسا »

ثم بعد سكتة :

ـ « هرب من حارسه عند ترحيله إلى السجن »

تقلبت فى رقدتى . . اعتدل الرجل يواجه السقف . .

ـ « سيظل هاربا . . لكن الدنيا تضيق عليه »

ـ « تضيق كقفص »

مد نحوى نظرة تفيض بالقلق ، ثم استحالت إلى كآبة ، قبل أن يحولها عنى صامتا . .

ـ لن تتسع له الدنيا على سعتها . . لن يقدر على التمدد فى مساحة آمنة . . يتنفس دون خوف . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الرجل يطلق ناحيتى نظرة لم أتبينها ، فهربت بعينى . . عاد يشرع عينيه للسقف . .

سمعت همسه لنفسه :

ـ « والرزق الضيق . . هوان »

ثم لم أعد أسمع أنفاسه . .

هبط بيننا صمت غامض مضيت أتأمله داخل . .

ـ « منذ متى لا تعمل »

فاجأنى سؤاله . . قلت متخلصا :

ـ « لا يهم » .

ظلت عيناه لا تتحولان عنى بتلك النظرة الحجرية ، ثم لحظنى ألزم الصمت فقال :

ـ « معذرة . . كنت أود التكلم معك . . بعض الوقت » .

انقلبت نظراته الحجرية حركة حادة تحاصرنى تحت عينى كانت نقوش السجادة القديمة ، التى تغطى المساحة بين السريرين تتشكل صورا تتلاحق : عجوز يلبس ثياب مملوك يحمل صرة تدلت على ظهره حتى المؤخرة . . نسر يفرد جناحيه مشدوداً للأرض بسلسلة غليظة . . تيس يطارد عنزة تركض أمامه . . وامرأة راقدة فى الوحل ترفع يديها مستنجدة . . ثم رجل يقبض على سكين طويل النصل . . وتحت قدميه نقطة كبيرة حمراء كبحيرة . . الدم . .

أغمضت عينى مرتعدا . .

ـ « يتنقل بين الفنادق الرخيصة . . ببطاقة مزورة »

امتد بيننا خوف مكبوت ، لا أدرى هل يحسه مثلى

اعتدلت أقول :

ـ « ألا يخاف ! »

ثبت عينيه فى السقف :

ـ « يخاف »

قبل أن التفت نحوه مستغربا رجفة صوته ، نهض فجأة جالسا على سريره . . لوى رقبته منزعجا نحو سترته المعلقة فوق رأسه . . وثب على قدميه ودس يده فى جيب السترة . . عاد إلى السرير يهمهم بصوت مجهد :

ـ « ظننتها سرقت فى زحام أوتوبيس »

ـ « النقود ! »

ـ « لا بطاقتى الشخصية » .

فى اضطراب دسست يدى تحت الوسادة أتحسس بطاقتى . .

منذ الليلة الفائتة ألوذ كرجل الأمس بالاسم الجديد والمهنة الزائفة . .

سمعت همهمة الرجل :

ـ « كأنك تخمن ! »

كانت على شفتيه ابتسامة ضيقة . .

ـ « النقود . . لم يترك لى نشال الأوتوبيس شيئا منها »

قلت للتو :

ـ « أتريد نقودا ؟ »

رد من فوره :

ـ « لا . . شكرا بعت ساعتى »

ثم بعد سكتة :

ـ « ادفع مقدما أجر السرير أسبوعا . . لحسن الحظ »

كنت مشغولا بنفسى ، فلم أسأله عن نفسه . . ثم لعله لن يجيب كما فعلت . .

قبل أن أدير وجهى للحائط سمعت صوته لنفسه كالتأوه :

ـ « أوحشتنى ابنتى . . وزوجتى »

يشحذ أشواقى . . يهيج مواجعى . .

كأن دهرا مضى قبل أن يقول بصوت خفيض :

ـ « كان يذهب إلى بيت أحدهم . . يعطى الدرس لولده »

عمَّن يتكلم !

ـ « كان صيدا سهلا لوالد الصبى . . كان يحتاج لجنيهات تسند الدخل الصغير . . ليكفى الزوجة والبنت »

كنت نصف مصغ لكلامه . . فيما أحاول الزحف من الفتحة الضيقة ، لأنفلت خارج نفسى . . والحزن المكتوم فى صدرى ينشب أظافره . .

ـ « حمل الحقيبة يومها . . مرة واحدة حملها . . ومنذ ساعتها لم يعد إلى بيته » .

مضى صوته يحيطنى :

ـ « كان يعرف أى شىء يحمل . . وهو الآن يحمل عذابه . . يحمل ندمه » .

تمنيت لو يواتينى النوم . .

الآن يحمل عذابه . . يحمل ندمه . .

سمعت تكة لينة وغاب الضوء . . بقيت مفتوح العينين . . أحدق فى الحائط الذى أحاله الظلام قائما . . طال تحديقى دون غمض عينى . . تشقق الحائط واستحال قضبانا كئيبة . .

. . . . . .

على رأس الطرقة الممتدة لمحتهم يسرعون ناحيتى . . تداعيت مستندا الى حائط الحمام الذى خرجت منه لتوى ، أقاوم السقوط . . داريت بالمنشفة المطروحة على كتفى جانب وجهى . . سبحت عيناى فى الضباب . . تسارعت أقدامهم على بلاط الطرقة دون أن ألمح غير أشباح تتدافع حولى . . انقلبت المنشفة المبلولة حبلا لا سعا يلتف حول عنقى . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سمعت باب الحجرة ينفتح بدفعة عنيفة ، ثم صوت يهدر فى الداخل ظافرا « وقعت فى يدنا أخيرا » .

كان الرجل هناك قابعا فى سريره . . تركته يأكل شطيرة الفطور . . وهو بينهم يقتادونه أطلت نحوى من عينيه المذعورتين نظرة موجعة . . كان وجهه شاحبا . . أحسست وجهى أكثر شحوبا . .

ازددت التصاقا بالحائط أود لو غبت فى داخله . .

الحبل يضيق حول عنقى . . حتما سيهوى الجسد هامدا . . وسأبقى معلقا فى العقدة مكسور الرقبة .

القاهرة : محمد كمال محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

مشتاقة إلى التراب

معك حق يا « سارتر » ، حين بدأت واحدة من أجمل رواياتك معلنا « المصيبة أننا أحرار » .

« المصيبة أننا أحرار » ، كلمات ثلاث تفسد علينا نحن البشر ، أية محاولة للتنصل من المسئولية .

« المصيبة أننا أحرار » ، كلمات ثلاث تحكم حولنا حصاراً ، تصبح معه الشكوى من أمر مفروض ، كذبا والاستمرار دون وضع نهاية عاراً .

المصيبة أن القيد الوحيد هو فى داخلنا . المصيبة أننا لا نريد الامتثال لقدر الحرية . لا بد أن نثور . . لابد أن نخالف . حتى لو كان الثمن ، الخضوع .

وآن لى أن أعترف .

أعترف أننى كاذبة . . أعترف أننى حاملة للعار . فما الذى يحول دون تخلصى من وضع كرهته . . مللته حتى النخاع ! ما الذى يضطرنى إلى تحمل ما لا أريد تحمله ما لا أستطيع تحمله . ما الذى يدفعنى إلى الاستمرار فى غسل وجهى كل صباح . فى الكلام والأحلام ورؤية الناس . ما الذى يجبرنى على مواصلة الوجبات الثلاث . . متابعة نشرق الأخبار عن سفك الدماء . ما الذى يبقينى دائرة فى دائرة لا مبرر لها من الخوف والترقب القلق . أى شىء فى العالم يحملنى يوميا على فعل تلك الحركة البغيضة ، المزعجة البلهاء . . اسمها الابتسامة ! ما الذى يزين لى البقاء متأرجحة فى ذلك الوجود المتصف ، الذى يسمونه « إنسانى » . لا أستطيع التحول إلى إلهة . . ولا أستطيع التحول إلى حيوان . وأنا ينفرنى كل شىء يقع فى المنتصف .

لا شىء سوى أننى كاذبة وحاملة للعار .

« المصيبة أننا أحرار » .

وآن لى أن أتحول .

الليلة سأصدق . . أغسل العار . . الليلة أنهى « الغثيان » . لم أرد شيئا من قبل ، كما أريد الليلة أن أضع حداً لتعاقب الليل والنهار . لم أرد شيئا من قبل ، كما أريد الليلة ، أن أعتزل « العيش » . لم أرد شيئا من قبل ، كما أريد الليلة ، أن أتشرف بلقب « المرحومة » .

« المرحومة » . . . كلمة كانت تصيبنى بالذعر . تذكرنى قبل النسيان ، بغدر الزمان . . باختفاء مفاجىء لا يُفهم . . بالعبث المتناثر فى الهواء ولا نراه . تحضر إلى ذهنى طقوس مخيفة مبهمة تدفن الجسد خالى الروح . « المرحومة » فى الصباح مع فنجان القهوة ، أقرؤها بخطوط سوداء ، تصف إنسانة موجودة حتى البارحة . وأتخيل حشداً هائلاً من النساء يغرقن فى السواد والمرارة . ورجال فى ريب يتبادلون نظرات التنبؤ بمن عليه الدور غداً . ويستغرقنى التحول الغريب من لفظ « إنسان » إلى لفظ « جثة » . يحاصرنى خيال موحش عن كآبة وعفن المثوى الأخير الترابى . وأرى كائنات لا أعرفها ، تحيا على الجسد الميت . لها أشكال مرعبة وأصوات خشنة . ولم يكن افتتانى بقصائد « بودلير » - فيما يبدو لى الآن - إلا لأنه شاركنى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تخيلاتى عما يحيط بالموت من خراب وغموض . وما أبدعه شعراً عن وحشة المقابر .

وتساءلت لماذا نخلع على الإنسان ، حين يموت لقب « المرحوم » . ألا يوجد لفظ آخر فى اللغة ؟ ثم أدركت بلاهة السؤال وسذاجة صاحبته . فهو لا يخطر إلا ببال مَنْ لا يعرف حقيقة الموت ، ومَنْ لا يعرف حقيقة الحياة .

آن لى أن أرحم .

من حقى أبدية الراحة . . من حقى الرحمة . . من حقى الحرية . ما أجمل أن أصبح « المرحومة » . . بيدى ، لا بيد القدر .

لا أدرى على وجه التحديد ، ماذا حدث لى وماذا جرى فى حياتى ، حتى أصبح الموت جذاباً . . فاتنا . كالحبيب الأوحد ، صار آسراً فكرى . . مثيراً كل الحنين . بعد أن كان غدراً وغموضا مخيفاً ، أصبح عدلا وخطوة تمرر . بعد أن أرق منامى وعكر استمتاعى بالتصاقه غير العادى بظلى وصداقته الشاذة مع أنفاسى ، أصبح صحبة حميمة ، بدونها لا آنس أيامى . بعد أن كان طفلا متطفلا عابثا ، فوضويا ، صار كل الحكمة وخلاصة النضج .

حتى تخيلاتى عن أجواء المقابر ، وطقوس الدفن ، تخلت شيئا فشيئا عن كآبتها ووحشتها . لا أدرى على وجه التحديد ، ماذا حدث لى وماذا جرى فى حياتى ، فأحببت المثوى الأخير الترابى . فى الحقيقة ، وقعت فى غرام التراب ، المثير من قبل ذعرى . أصبح التراب صديقى الوحيد . أحاوره . . أستمع إليه . . نتنزه معا . بكل الرقة أنظر إليه . . وأحتويه . فإذا به أكثر رقة . . وأكثر كرما ، ويعترف بأسرار لا يعرفها سواه .

ما عيب التراب ! وهو من الأزل وإلى الأبد ، يرحب بنا حين تملنا الدنيا . لا أدرى على وجه التحديد ، ماذا حدث لى وماذا جرى فى حياتى ، لأقرر أن كائنات المقابر ذات الأشكال المرعبة والأصوات الخشنة ولا أعرفها ، لن تكون أسوأ من البشر ، هى على الأقل ، تنتظر زوال الروح لتبدأ انتهاك الجسد . البشر خارج المقابر ، لا ينتظرون . لا أدرى ماذا حدث لى وماذا جرى فى حياتى ، لأقرر فى ثقة نادرة الحدوث ، أن حب الموت هو المفتاح السحرى المفقود للسعادة . وأن عشق التراب ، هو العشق الوحيد الذى ظللت عمرى سائحة ، بين أنواع العشق ، أبحث عنه .

الليلة ، سأبرهن على أن عشقى أيها التراب ، لك حقيقى . الليلة أودع الخوف . ماذا يخيف فى العودة إلى الأصل ! حتى الحزن لا معنى له . فى لحظة ما ، دخلت الحياة ، لا أملك إلا جسداً عاريا . تقصر أو تطول استضافة الدنيا ، وفى لحظة ما ، أخرج . ولا شىء معى إلا الجسد العارى . عدل مطلق وحكمة خالدة . . سهلة ممتنعة . لكن الإنسان لا يفهم . ولا تستهويه إلا الحكمة الهشة الفانية .

الليلة . . أستحضر الحكمة الخالدة .

على يقين ، أننى لن أندم . فما أهمية يوم أكثر . . عام أكثر ، أو عدة أعوام ، طالما نخضع لقانون الضيافة الثابت !ما الفرق بين وداعى المضيف بعد عشر دقائق ووداعى له بعد عشر سنوات ، طالما أننى ضيفة فى كل الأحوال ولا بد أن أعود إلى بيتى حيث أشيائى وأوراقى وذكرياتى !

وكم أتوق إلى بيتى ! طالت ضيافتى . . تكاثر الضيوف . . زادت الضوضاء . . عمّ التلوث . وأنا أكره الزحام والضوضاء . وأمرضنى التلوث بحساسية لا تعالج .

أتوق إلى بيتى . . فالدنيا لا تحسن استضافتى . . لا تميز بين ضيف وآخر .

أتوق إلى بيتى . المكان على اتساعه يضيق . . والمباهج على اختلافها تتشابه فى عدم البهجة .

أتوق إلى بيتى . أتمرد من الزى الرسمى . . والتعبيرات الرسمية والأحلام الرسمية .

أتوق إلى بيتى . أفتح كل النوافذ . . أسير حافية . . لا أمشط شعرى . . لا أمشط طباعى .

أتوق إلى بيتى . أنام على يقين تام ، بأننى لست فى حاجة إلى حبة مهدئة . . لا يوجد منبه يفرض الاستيقاظ . نوم مطلق أهفو إليه ، وأحسد مَنْ قبلى جرَّبه .

الليلة ، أجرِّبه .

لم أقدم على الانتحار من قبل . على كل حال ، سأكتشفه وأنا أمارسه . لا حرية عظيمة دون اكتشاف عظيم ! وسأستمتع ـ كعادتى ـ بالاكتشاف . أهم شىء أن أجد طريقة تناسب شخصيتى . أريد موتا ينسجم مع حياتى . أريد موتا واقعيا جداً ورومانسيا جداً . أريد موتا خاصا بى .

أريد إنجاز بعض الأشياء الهامة الضرورية قبل أن أنتحر . سأكتبها حتى لا أنسى . فالأمر لا يحتمل النسيان . ما هى تلك الأشياء الهامة الضرورية ! كانت دهشتى اذ وجدتها ، الأشياء نفسها أفعلها كل يوم ، وكل ليلة . لا أهمية لها ولا ضرورة فيها ، إلا لأننى أفعلها للمرة الأخيرة . بدت ذات بريق لم يظهر من قبل . . ركزت كل كيانى . . ولم أملها . على العكس ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكتسبت جاذبية تغرى بطول العمر . لكننى لن أخدع ، لن أطيله .

لأننى سأموت الليلة وعلى يقين من ذلك ، أشعر بمتعة لم أتذوقها من قبل . . وأحس باطمئنان بحثت عنه طول الحياة . لأننى سأموت الليلة وعلى يقين من ذلك ، شملتنى مغفرة أنستنى سوء استضافة الدنيا .

لم يبق إلا الليلة . . الخلاص الليلة . . التحرر الليلة . . السعادة الليلة . . . ما أحلى الليلة !

أخذت أرتب المكان . يجب أن أترك كل شىء مرتبا قبل انتحارى . حين جئت إلى الدنيا ، لم يكن كل شىء مرتبا . لا بأس ، لتكن هذه هدية الضيفة .

وبين تنقلاتى من ركن إلى آخر ، تأتينى وجوه أهلى الذين رحلوا . ماتوا وتركونى قبل استنفاد أغراض المعاشرة . ماتوا قبل أن يفرحوا بالإبنة الكبرى . ماتوا قبل أن يعوضهم العمر ، عن تعب لا عمر له . ماتوا قبل أن أحب الموت .

اطمئنوا . قادمة إليكم الليلة ! لا أعرف هل تجتمعون فى مكان واحد أم متفرقون ! . . ولا أعرف العنوان . الليلة سآخذ الخطوة الأولى إلى المعرفة . الليلة ، سأتشرف مثلكم بلقب « المرحومة » .

اطمئنوا . . لا داعى للحسرة . . لا داعى للندم . فمنذ موتكم ، والأحياء لم يفعلوا شيئا جديداً يستحق الحزن على انتهاء العمر . . أو يستحق أمنية إطالة العمر . لا شىء سوى الأكل والغرور والزيف ومشاهدة مباريات كرة القدم . لا شىء سوى التكاثر وانتظار الموت .

اطمئنوا ، لا داعى للحسرة . . لا داعى للندم . فالفن الجميل مازال محاصراً . . والحب دون أوراق رسمية ، مجنون يبحثون له عن معزل . اطمئنوا . . فمنذ موتكم والتصفيق لا يزال مستمراً لمَنْ يهب قامته للانحناء .

ومازالت صفحات الجرائد ، أبعديات تورث . اطمئنوا لا شىء جديد تحت الشمس . فقط خيبة الأمل . . . لا شىء جديد تحت الشمس ، فقط تلك الحركة البغيضة المزعجة البلهاء ، لا معنى لها اسمها الابتسامة .

اطمئنوا . . واسعدوا بالمثوى الأخير . . صدقونى ، التراب أرقى . . أكثر خصوبة . . التراب أحنّ .

لا . . أنا لا أكذب . . ولا أبالغ ولا أغالط . ولا أقدم لكم عزاء . ولا تقولوا كما يقول عنى البلهاء ، إننى لا أرى إلا نصف الكوب الفارغ . خدعة كبرى أن بعض الماء موجود ، خدعة أكبر ، أن هناك أصلا كوب . ولا تظنون كما يصفنى السذج ، أننى مريضة - إلى حد الجنون - بالكآبة . والدليل أننى قادمة إليكم الليلة . . ممتلئة بالسعادة . . ويغمرنى الأمل .

أصبح كل شىء مرتبا الآن . كل شىء ، مهيأ تماما للتخلى عنه . وأنا مهيئة تماما لتحية الوداع الأخير .

أحضر الزجاجة . أقراص ملساء صفراء اللون ، صغيرة الحجم جداً . يستوقفنى صغر الحجم . أتذكر أننى منذ سنوات ، اعتنقت ما أسميته « فلسفة الأشياء الصغيرة » . بعد طول تأمل ، أدركت أن جوهر التميز ، أشياء صغيرة . . الذى يميز حياة عن أخرى تفاصيل صغيرة ، دقيقة . . الذى يميز إنسانا عن آخر ، لفتة بسيطة .

ما يفسد يوم بأكمله كلمة عابرة . ما يحدد مستقبل إنسان ، شىء صغير حدث فى الطفولة . وردة صغيرة تزيل قبح مكان ، رغم الفخامة والثراء . والذى يكشف عن جريمة معقدة ، شىء صغير . والذى يقتل انساناً ، قرص صغير .

بعد طول تأمل ، أدركت كم هى « كبيرة » تلك الأشياء « الصغيرة » . الجميع قادرون على الأشياء التى تسمى « كبيرة » . ولم لا ! فهى « كبيرة » مرئية . . محسوسة . . واضحة . . وعيب مخجل ألا نراها . هى بحكم كبر حجمها ، لا تترك مجالا لتقديم الأعذار . كم منا قادر على الشىء الذى نسميه « صغيرا » ! بعد طول تأمل ، وضعت تعريفا زاد من عزلتى . « الإنسان الكبير هو القادر على الفعل الصغير » .

أدخل الفراش . بجانبى كل ما أحتاج إليه . قلمى - شريك حياتى غير المعترف به - . . بعض الأوراق . . الأقراص . . كوب ماء . . والتليفون . مكالمة أخيرة رغم ضرورتها ، أتردد فيها . لكن لم الضرورة ! غداً سيعرف بالأمر . سوف يستعيد حوارنا المتكرر . . يتذكّر تقلبى المستمر فى أخريات حياتى . على يقين أنه سيقدر ويفهم . وعدنى بذلك . وهو - منذ أن أحببت عينيه - لم يخلف لى وعداً . الضرورة ، لا علاقة لها بتقديره أو فهمه . فى الحقيقة ، لا علاقة لها به . الضرورة شىء خاص بى وحدى . أحن إلى صوته الرقيق ، العاشق .

أشتاق إلى سماع اسمى ، مرة واحدة أخيرة من بين شفتيه العذبتين . أريد أن تكون نبرات صوته ، آخر لحن يطربنى . وعلى أنغامه ، أستسلم فى هناء مطلق ، لمفعول الأقراص . لكن المكالمة ستفسد كل شىء . تقديره لإصرارى ، لن يمنعه من محاولة إقناعى برأيه لمرة أخيرة . سيرجو تأجيل الأمر . أو سيطلب رويتى للمرة الأخيرة . وأنا لا أريد أيا من هذه

الأشياء . صوته فقط ، هو المُراد . فلتكن إذن مكالمة من طرف واحد . تماما كما كانت من طرف واحد ، العلاقة بينى وبين الحياة .

جاءنى صوته . . يردد كلمة واحدة متسائلة . . مندهشة . يغيب صوته . . أعاود المحاولة ، فإذا بالكلمة تصبح كلمتين . مع كل مرة ، يظل معى كلمة أطول .

يغيب صوته . . أحضره . . يغيب صوته . . أحضره . . إلى أن جاءت مرة ، لم يجىء صوته . أوقفت الأمر بعد جرعة من المتعة ، لا أقول كافية . وإنما بالقدر الذى لا يسمح بالحسرة .

جاء الآن موعد الجرعة الأخرى . . الكافية للموت . أنظر إلى الأقراص فى فرحة . ما أروع أن يكون الإنسان مالكا مصيره ! العيب الوحيد فى هذه الأقراص ، أنها طريقة مستهلكة للانتحار .

بينما كنت أريد طريقة خاصة بى وحدى ، منسجمة مع حياتى . لا ، ليس هذا هو العيب الوحيد . هناك عيب آخر ، يؤرقنى أكثر فى هذه الطريقة . فهى لا تعذب ولا تؤلم . كم كنت أتمنى أن أجد طريقة للانتحار تعذب وتؤلم . فالأحياء ـ أو هكذا يطلق عليهم ـ ينزعجون جداً مع كل حالة انتحار . انزعاج يصل إلى حد الاشمئزاز وإطلاق الاتهامات . والاتهام الأزلى المتكرر ، أن المنتحر « ضعيف » و« جبان » . استوقفنى رد فعل الأحياء ـ أو هكذا يطلق عليهم ـ على اختلافهم . رد فعل دائما مبالغ فيه . . ردّ فعل يصيبهم دائما بالتوتر والارتباك . . رد فعل لا سبيل إلى تغييره بالحوار والمنطق . زواج كاثوليكى هم وحدهم شهوده ، بين المنتحر والجبن . والقرينة الوحيدة فى صالحهم ، أن المنتحر دائما يختار طريقة للموت ، لا تعذب ولا تؤلم . لهذا تمنيت أن أنتحر بطريقة تعذب وتؤلم ، لأثبت للأحياء ـ أو هكذا يُطلق عليهم ـ أن المنتحر ليس جبانا . هذا ما يؤرقنى الآن . لكننى أعود وأرفض الفكرة . أرفض الانقياد إلى عقول لا تغوص إلى الأعماق . أرفض الدخول فى اختبارات تثبت للأحياء ـ أو هكذا يُطلق عليهم ـ مؤهلات إنسانيتى . أرفض « المقاييس الجماهيرية » لمعانى الشجاعة والجبن . . أرفض تدخل الأحياء ـ أو هكذا يطلق عليهم ـ يعكرون صفو آخر لحظة .

لا شىء الآن يؤرقنى . أبتسم وأنا أتذكر « رقية » الطاهية ، تفتح باب حجرتى وهى تلقى بصوتها المبحوح تحية الصباح . كانت فكرة صائبة أن أعطيها نسخة من مفتاح الشقة . وافقت بعد تردد طويل . حقا ، لا نعرف قيمة الأشياء ، إلا فى وقت لاحق . سامحينى يا « رقية » ، لم أقصد « قطع عيشك » . عزائى أنك طاهية ممتازة ، وسوف تجدين البديل سريعا . لابد أن أدفع لها مقابل العمل أيام الشهر الماضى . أحضرت النقود وضعتها فى ظرف عليه اسمها . وتركت لها خطاباً قصيراً ، فيه رقم تليفونه ، أوصيها أن تطلبه بمجرد اكتشافها الأمر . شىء رائع لم أتنبه له من قبل ، أنها تعرف القراءة . فقط فى هذه اللحظة ، شعرت أول مرة بأهمية التعليم المجانى .

لم يبق إلا كلمة أكتبها له . لم أعرف صعوبة الكتابة كما عرفتها الآن . لم يحيرنى اختيار الكلمات ، كما يحيرنى الآن . أين ذهبت الكلمات ! تأتى سلة فى اللقاء . وعند الفراق . ماذا ماذا يحدث لها ! تفارق هى الأخرى ! وإلى أين ؟ أمسك بالقلم . وفى الحقيقة ، أحاول الإمساك ببعض الكلمات . وأكتب : « أشكرك على صوتك ليلة الأمس . . كان رقيقا كعادته . . بخيلاً على غير عادته . لا تحزن فأنا الآن أسعد . لن أشتاق إليك ، لأننى أخذتك معى . لأن فى البدء كانت الكلمة وكذلك تكون النهاية ، أقول أحبك » .

أحتضن قلمى ـ شريك حياتى غير المعترف به ـ . . أبتلع الأقراص كلها لضمان اللا عودة . . أطفىء المصباح الصغير بجانب الفراش . أغمض عينى هامسة« الله يرحمك يا نفسى ، كنتِ ثائرة . . كنتِ طيبة . . كنتِ حائرة » .

يدور شريط طويل متداخل الذكرى والنسيان . أحلى ما فيه أننى أشبعت حب فضولى القديم . كنت أريد أن أعرف كيف تمر الأربع والعشرون ساعة الأخيرة فى حياة إنسان . كنت أتوق إلى مصاحبة إنسان فى لحظاته الأخيرة . وحين يأتينى خبر وفاته ، أبدأ فى استعادة كلماته وأفعاله . . كيف كانت مشاعره وكيف كانت حركاته . أستعيدها من أجل ماذا ! لا أدرى على وجه التحديد . الذى أدريه ، هو أننى أشبعت حب فضولى القديم . فرق بسيط حدث . الإنسان الذى صاحبته فى لحظاته الأخيرة ، كان يعلم علم اليقين أنها لحظاته الأخيرة .

أناجى فى الظلام صديقى الحميم . . « قادمة إليك أيها التراب . فافسح لى مكانا » .

وككل المحكوم عليهم بالموت ، داعبتنى أمنية أخيرة فات أوانها . . . . . أحن إلى شرب فنجان قهوة .

القاهرة : منى حلمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد زغلول الشيطى

قصة: سكة فى الشمس

قامت أمى ، أخذت الملاءة السوداء من الدولاب ، ألقتها على كتفها ، وأعطتنى صرة الملابس فى يدى ، شعرت أنها مصممة على الخروج ، وأن أبى سيضربها ويمنعها بالقوة . اعتدل أبى فوق الكنبة . استند بظهره إلى الجدار ، ورفع المفتاح الطويل قريبا من وجه أمى وزعق : ناقصك حاجه ! .

التفت أمى فى الملاءة ، أخذت الصرة منى ، وأمسكت يدى بيدها الأخرى . قال أبى : لو خرجت مش هترجعى تانى . .

كانت أمى لا تنظر إليه ، ولا ترد ، وكنت واقفا بينهما ، أرى الشعر النابت فى رجلى أبى ، وأنظر إليه فى الصورة المعلقة ، يضع ذراعه على كتف أمى ، وهى تنظر إليه وتبتسم . نظر الىَّ قال : خليك شاهد على أمك !

لم أستطع الرد عليه ، كان غاضبا ، فى يده المفتاح النحاسى . أزاح أمى بيده عن الباب ، وأدار المفتاح فى الطبله ، وزعق : مع السلامة ، وضرب الباب برجله ، فارتج بصوت عال .

أخذتنى أمى من يدى ، وسرنا إلى المحطة ، كانت الشمس حامية ، تتوهج على القضبان ، وكان العرق يسيل على وجه أمى بكثرة ، حتى ظننتها تبكى ، وكانت ، تقبض بيدها على يدى ، وتمشى بسرعة بين القضيبين ، دون أن تنظر إلىَّ . تعثرت فى خشب السكة ، قالت : مالك ؟ قلت : تعبت .

نظرت إلى الخلف فيما وراء المدرسة ، لم يكن أحد فى الطريق ، قالت : أقعد شويه . قلت : الديزل هيفوت . قالت : ما يجراش حاجه .

جلست فوق شريط القطار ، شعرت بسخونته ، جلست أمى إلى جوارى . وضعت الصرة أمامها على الأرض ، كانت تنظر ناحية بيتنا ، قالت : شفت عمايل أبوك !

كنت أعرف السبب ، وكنت لا أعرف لماذا تغضب أمى إذا جلس أبى مع أصحابه فى المقهى . قالت : يلعبون قماراً طوال الليل ، وكنت لا أعرف كيف يكون لعب القمار .

قلت : هتقولى لجدى !

نظرت إلىَّ ولم ترد . قامت ومشت إلى سور المدرسة ، وراحت تنظر إلى بيتنا . كانت الشمس تضرب رأسى . . شعرت بالعطش . رأيت أمى تستند إلى سور المدرسة ، حملت صرة الملابس وجريت إليها ، قلت : مالك ؟ .

كانت تبكى ، وكانت الدموع تنزل مختلطة بالعرق ، شعرت بالرغبة فى البكاء ، أمسكت أمى يدى ، جففت دموعها بالمنديل ، وسرنا فى طريقنا إلى المحطة ، وكنا هذه المرة نسير ببطء تحت الشمس الملتهبة ، وكانت أمى تقف كل مسافة وتنظر إلى الوراء ، ناحية بيتنا المختفى خلف البيوت ، وفى كل مرة نرى الطريق خاليا ، وقضبان الديزل تلتمع ، وفوق الأسطح ، كان الأولاد يرسلون طائراتهم الورقية الملونة إلى السماء ، ومن بعيد ، سمعنا صفارة أعقبها صوت أجراس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توقفت أمى ، تخللت أصابعها شعرى ، مسحت دموعى بمنديل ، أشارت إلى الطائرة الورقية ، قلت : طائرتى أحسن ! اقتربت ، رأيت حبة عرق تحت ذقنها .

قالت : عايز ترجع ؟

كنا وحدنا فى الطريق ، ننظر من بين البيوت ، إلى الديزل ، يجر عرباته المحملة بالمسافرين ، وينطلق إلى بلاد بعيدة .

دمياط : أحمد زغلول الشيطى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصطفى حجاب

قصة: ليس سويّا سوى الصّمت

جميع نوافذ العمارة موصدة إلا واحدة منها فى الطابق السادس أطل من النافذة . وسط ميدان المحافظة ترتفع مسلة الشهداء كأنها إصبع سبابة تمتد قائمة أمام فم البحر تأمر المدينة بالصمت التفت إلى الوراء . المألوف يغشى عينيه فلم يعد يرى نتيجة العام الماضى التى تقضت أراقها وما زالت معلقة على الحائط .

لاهمس سوى طنين ذبابة

عاود النظر من النافذة : مرقت سيارة جيش تحمل وجبة الغداء إلى الجنود على حدود المدينة . . . تذكر أنه لم يتناول وجبة إفطاره . ترك مكانه من النافذة . نزل السلم إلى الشارع ، نظراته تتسلق الجدران طولا وتجول عرضا . النوافذ المغلقة عيون أعماها البكاء لغياب ساكنيها الذى طال ست سنوات .

نعقت صفارة الإنذار نعيقا متقطعا ونعيب أسراب طائرات الفانتوم الأمريكية أرعد أعماق المدينة الصغيرة بلا أدنى مقاومة أرضية . أوسع الخطو محتميا بالحوائط إلى شارع « الحميدى » ، وأمام المخبرنسى أنه جوعان لكنه وقف مع المنتظرين لأرغفة العيش ، الكل يمد ذراعه بالنقود ونظره إلى الوراء معلق بالسماء . قالوا فيما بعد إن القذيفة الصاروخية أصابت المخبز والمقهى وبائع الفطير والبيوت التى فى الجوار ، وحرائق وشظايا . . . وإن اشلاء من الجثث فى الدم ساخنه تتلوى . . . وأنات واهنة يعقبها موت . . أدخل مستشفى بورسعيد العام ، أخرج منها . رفضته خطيبته .

فى هذا الطابق السادس الصمت كالأسمنت طبقات يعلوبعضها بعضا .

خلال النافذة تسقط أشعة الشمس إلى الغرفة . . تصل حافتها الى طرف السرير . اليوم جمعة . لم ينهض ، رنات جرس الباب قصيرة متقطعة ، فتح الباب ، دخلت هى ، هزت رأسها بتحية الصباح ، أجابها دون صوت ، نهض من جانبها ، جلس على حافة السرير فارغا حتى من التعاسة . استطال رماد سيجارته ساكنا دون سقوط رغم أزير طائرات الفانتوم ود كها المواقع بإصابات مباشرة .

رفعت هى نظرها إلى نتيجة العام الماضى التى مازالت معلقة وهمست له :

- الى هذا الحد تعجبك صورة النتيجة ؟
- لم أتفحصهـــــا ؟
- ولماذا تحتفظ بهـــــا ؟
- لا أحتفظ بهـــــا .
- هل آخذهـــــا ؟
- خذيهـــــا .
- أتيت الى هنا يوم الجمعة الماضى ولم أجدك ,
- لا أذكر أنى خرجـــــت .
- هل تنسى كثـــــيرا ؟
- لا أنســـــى ,

- لماذا أنت حزين دائمـــــا ؟
- لست حزينـــــا .

مدت له كفها مفتوحة . ناولها النقود ممتناً وود عها حتى الباب . فى طريقه الى النافذة انحنى ليتلقط دبوس شعر رفيع لامع ، فقد توازنه وكاد ينكفىء . . . أسند كتفه اليسرى إلى حافة النافذه رآها تجتاز الشارع وفى أعقابها رجل طويل يلاحقها ، وفأر كبير يفر مختفيا بين أنقاض البناية التى قصفتها القذيقة مغرب الأمس ، ساد المدينة أمان مؤقت .

عبر النافذة يندفع الصمت فى الشارع إلى الغرفة . . . أرق حتى الفجر نام على جانبه الأيمن ، الأيسر مازال يوجعه (مكان الذراع المبتورة من الكتف) نام على ظهره . تناهى إلى سمعه صياح ديك ، الصياح يعلو باصرار وأمل دون أن تجاوبه دجاجة ، يعلو صياحه أكثر عله يصل إلى دجاجة بالمهجر ، تسلخ صوته حتى انشرخ . هو أيضا هُجّرت حبيبته إلى قرية « البتانون اتذكرين ياحبيبتى عند أول لقاء لم يزل وهج حرارة ضوء الشمس باهرا فى ذاكرتى . . . كان المذياع عن يمينك والمذيع ينقل صورة من حرب فيتنام ، الزوج والزوجة خلف المحراث والطائرات الأمريكية تقصف الحقول والزرع والثمار وكانت خطواتها متوافقة شظية أصابت رأس الزوج ، سقط ، انحنت الزوجة لتسحب مدفعه من كتفه إلى كتفها ، وقبلت شعره فى الدم ، وغطت الجثة بالعشب ، المحراث عاود حركته الأمامية . فقط اعوجت خطوط الممرات لحظة ثم استعادت سيرتها خلف الزوجة طويلة مستقيمة ، صفقت أنت ياحبيبتى استحسانا ، نظرت فى عينيك . . . قلبى أنا طار يمامه لم تزل ترف حتى اللحظة . . . فى لقائنا الثانى قرأت لك مطلعاً من إحدى قصائدى .

صفقت أيضا يا حبيبتى وقلت لى : أنتَ الذى أبحث عنه ، قلت : أنت الذى أهوى . وكان عزفاً ، وتواعدنا على الزواج حين تعودين من المهجر يا كلمة طيبة متوهجة بالصدق . ومازلت أعى صوت وقع أقدامك على السلم وكنت دائما تصرين على ألا تدقى جرس الباب ، بل تنقرين الباب نقرتين متباعد تين وعند الثالثة يكون الباب مفتوحا وصدرك يعلو ويهبط فى صدرى بعد ما زاده صعود السلم توترا محببا .

يتململ ، عاد ينام على جانبه الأيسر ، وكان قد علم مصادفة أن حبيبته بالمهجر قد تزوجت من مدرس لديه حظيرة لتربية البهائم .

فى الصباح وسط إغفاءة ، سمع صوت وقع أقدام مألوفة على السلم ثم نقرتين متباعدتين وعند النقرة الثالثة كان الباب مفتوحا فى مواجهة أكداس من الصمت . . . . .

بور فؤاد : مصطفى حجـــاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طارق المهدوى

قصة: سوق الجمعة

بعد الانتهاء من صلاة الجمعة يتجمع الناس فى الأسواق للبيع والشراء ، وفى قلب العاصمة تقام سوق الجمعة أسبوعيا رغم قرار السلطات بإخلاء الموقع لحفر النفق الأرضى الذى طال انتظاره لحل أزمة المرور . أوصاه والده وهو على فراش الموت بأن يكسب الرزق الحلال بعرق الجبين ، لكنه لا يعلم من فنون الدنيا سوى الفلاحة وقد تضافرت عمليات التجريف والتشييد حتى بارت الأرض . باع نصيبه فى البقرة التى كان يشترك فى ملكيتها مع جيرانه ، ربط المبلغ على صدره وسافر إلى الميناء ، وهناك اشترى بعض الملابس المستعملة ثم بات ليلته فى المحطة ، وعندما بزغ نور الفجر استقل القطار ليكون أول من يفترش أرض سوق الجمعة .

بينما هو يتشاجر مع الباعة الذين يزاحمونه ومع الزبائن الذين يساومونه ، هجم جنود الأمن على السوق وهم يطوّحون بالعصى يميناً ويساراً . نجح بعض الباعة فى التسلل خارج السوق بين جحافل الجمهور المذعور ، أما هو فلم يستطع سوى إغلاق حقيبته على الملابس وإحتضانها بكلتا يدية وهو يتطلع إلى السماء متوسلا ، جذب أحد الجنود حقيبة الملابس فازداد تشبثه بها وأخذ يركل الجندى بقدميه وقد أصيب بهياج هيستيرى ، انهال عليه الجنود ضربا بالعصى حتى سقط مغشيا عليه فانتزع احدهم الحقيبة من صدره بينما كان الآخرون يسحبونه من ساقه على امتداد السوق .

ظل الرجال القابعون خلف مكاتبهم يتقاذفونه فيما بينهم حتى وجد نفسه رقما فى عنبر يضم مائة نزيل ، يلقى بهم كل صباح إلى الجبل وهم مقيدون بالسلاسل الغليظة لانتزاع الأحجار من براثنه القاسية . لم يفهم ماقيل عن عقوبة الأشغال الشاقة بتهمة مقاومة السلطات فقد استقر فى ذهنه أن ما يلقاه من عذاب هو اختبار إلهى حيث اصطفاه الله دون الآخرين ليودع فى قلبه السر الإلهى .

تودى عليه بعد انقضاء مدة العقوبة ليمرّ على مديريات الأمن الأخرى قبل الافراج عنه عساه يكون مطلوبا لإحداها فى تهمة ما ، وبعد أن جاب البلاد طولا وعرضا ، عاد إلى السجن مرة أخرى محملا بعقوبة الأشغال الشاقة لمدة خمسة أعوام عن عدة تهم تتراوح بين النصب والاغتصاب وقطع الطريق . قرر الرجال القابعون خلف مكاتبهم انه كان قد ارتكبها على امتداد الأعوام الماضية فى بعض المناطق النائية المتفرقة رغم قسمه لهم بأنه لم يغادر القرية التى ولد فيها إلا عشية سوق الجمعة .

ناء بحمل الأحجار التى لاتنتهى فانطلق خياله يقلب فى الماضى بحثا عما يخفف عنه أثقال الحاضر ، تذكر زوجته فوجدها قد هجرته عندما عجز عن الإنفاق كما رفض جيرانه أن يمنحوه نقودا إلا بعد أن تنازل لهم عن نصيبه فى البقرة تشاجر معه الباعة والزبائن فى سوق الجمعة ، ضربه جنود الأمن . . . قبل استكمال شريط الذكريات لمع فى ذهنه اكتشاف خطير ، فالجميع قد تآمروا للتخلص منه . إنهم يخشون أن يكشف آثامهم بما حباه الله من خواص إلهية ، لذا قرروا قتله . لم يغمض عينيه طوال الليل خوفا من زملائه المتجمعين على شكل

دائرة يتسترون بلعب الورق بينما هم ينتظرون نومه لكى يقتلوه . لم يعد يطيق الانتظار وسوف يفاجىء الجميع فى الصباح الباكر ، سيكون أول من ينهض وسيذهب إلى مكتب المأمور ليرتدى ملابسه العسكرية ويجلس على مقعده الوثير ويدير شؤون السجن بما يكفل القضاء على كل الآثام . لن يكون هناك سوى ثلاثة عنابر أحدهما للمسجونين والآخر للضباط والجنود والثالث للزائرين من الأهالى ، وسوف يغلق الأبواب حتى يأتى كل يوم جمعه فيفتح باب أحد العنابر الثلاثة ليقود نزلاءه كالإبل إلى سوق الجمعة وهناك يذبحهم ويبيع اللحم الطازج للزبائن .

أوسعه الجنود ضربا عندما ضبطوه يهم بدخول غرفة المأمور عاريا ثم أودعوه غرفة التأديب وهى لاتزيد على متر مكعب من الحديد داخل أحد السراديب الأرضية حيث ترتفع المياه العفنة لمسافة قدمين عن سطح الأرض ،وتنتصب عشرات الرؤوس الحديدية المدببة على امتداد الجدران ، وليس بها من منافذ سوى شق صغير فى منتصف السقف ، تدخل منه الفئران فتسقط فى قاع الماء وتعجز عن تسلق الجدران الحديدية للخروج . تظل الفئران فى أحشاء غرفة التأديب ، تتوحش ويأكل بعضها بعضا ، هجم أكبر الفئران حجما على قدمه والتهم إحدى الأصابع أوشكت بقية الفئران أن تتوجه صوب قائدها وتحذو حذوه ، لولا أنه أمسكه بيده وقذف به بقوة إلى الجدار فمزقته إحدى الرؤوس الحديدية إلى نصفين ، لفت نظره ، وهو ينظر إلى الفأر الممزق ، أن القائد كان مقطوع الأذنين .

أنشب أظافره فى أذنيه وأخذ يمزقهما حتى انفصلت قطعتا اللحم عن جانبى وجهه لتسقطا فى كفيه ، وضع أذنيه المقطوعتين داخل فمه على الفور وبدأ يمضغهما بقوة وهو يتراقص طربا لأنه أكلها بمفرده ، أخذ يكيل بيديه الدم المتدفق على جانبى وجهه ليصبغ كافة أجزاء جسده باللون الأحمر حتى يصير قائدا للقطيع ، بعد اتمام الصباغة حشر شفتيه داخل شق السقف ، صاح مناديا على الضباط والجنود والمساجين بأن يطيعوه لأنه القائد ، وصاح مناديا على زبائن سوق الجمعة بأن يشتروا منه الملابس المستعملة ،ثم أخذ يتشاجر مع الباعة الذين يزاحمونه بينما كانت الفئران تنهش الجسد الهزيل القابع فى غرفة التأديب .

القاهرة : طارق المهدوى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعمات البحيرى

قصة..

العاشقون

كانت سيارات الأتوبيس تدخل نفس دخولهم البطىء المتوجس إلى نهاية الخط حيث ذلك الكشك الخشبى لناظر المحطة ، المحاط من كل جانب برائحة عادم السيارات وبول السائقين والمحصلين . وقفوا بثيابهم الكاكية وقاماتهم النحيفة تحت الضوء الخافت المتسلل نفس تسللهم مثل أشباح هاربة . كانوا ينظرون فى اتجاه المعسكر خشية أن تنكشف لعبة الليل ، فالليل فى المعسكر باغ وعتيد مثل خفاش كبير يطبق بجناحيه على عيونهم ونفوسهم فيلفهم بالكآبة والصمت . والليل فى المدينة يداعب أخيلتهم فيتسللون فى صمت خلف بعضهم مثل كائنات ليلية تهيم فى الظلام . يتجاوزون البوابة مانحين حارسها وعدا بعلبة سجائر أو كيس من الشاى الحر . أسرعوا نحو ذلك الحلم الذى يرفرف بين جوانحهم مثل أجنحة حمائم صغيرة تنشد الحب والحرية .

كانوا يتعجلون تلك اللحظة التى يعلن فيها عن السيارة التى سوف تنطلق أولاً . ثم كانت هى التى يخشونها دائما بسائقها الأرعن ومحصلها ضعيف النظر وضوئها المرتعش . امتلأت مقاعد السيارة ومن الباب الأمامى صعد السائق بثيابه كالحة اللون ، ومن الباب الخلفى صعد المحصل متكاسلا بنظارته الطبية شاتما المنطقة بناظرها وراكبيها وذلك اليوم الأغبر الذى التحق فيه بذلك العمل . ضرب قاعدة التذاكر الخشبية بمؤخرة قلمه « الكوبيا » وراح يتبصص فى وجوه العساكر . قطع للجميع أنصاف تذاكر فواصل لعناته متمتما ببقاياها وهو يبتلع سخط آخر الليل . عاد لنهاية السيارة وجلس على المقعد المخصص له خلف الطاولة الخشبية التى تفصل بينه وبين الراكبين . أفرغ محتويات جيوبه أمامه وراح يحصيها تحت الضوء المرتعش فى سقف السيارة . كان من العسير إحصاء كل هذا الكم من الأوراق فئة العشرة والخمسة قروش . كان العساكر جالسين فوق مقاعدهم ينظرون من النوافذ المكسورة وليل المعسكر يلاحق عيونهم . لكنهم موقنون أنه لن يمتد إلى المدينة فهناك المقاهى الساهرة حتى الصباح وصوت « الست » يبقى عطر المساء الذى يعبق ليلهم ، والأنوار مدلاة على واجهات المقاهى مثل عقود الكهرمان . أما النساء بأجسادهن الملفوفة فى ثياب ملونة فهن رياحين المدينة ونوارها . والسير فى المدينة أقل تعباً من النوم على أسرة المعسكر وبطاطينه الشائكة . حين يرونها مكومة فوق الأسرة بلونها الرمادى الداكن يشعرون أن ثمة حيوانات وحشية لها وبر كالابر تسدد عيونها إليهم فيسرعون بتطبيقها فى محاولة ماكرة للتآلف معها وليس حرصا على النظام كما يظن « حضرة الصول » البدين .

كل أخيلتهم عن المدينة وليلها ونسائها كانت تتراءى لهم فى نتف الضوء المتناثرة على الجانبين وهى تمرق مع سرعة السيارة . لكن ليل المعسكر لا يزال يزحف خلفهم من خلال النوافذ برغم ابتعاد السيارة عن محطتها الأولى .

ومن النوافذ توالت الطرقات مظلمة ساكنة مثل وحوش صغيرة متحفزة ، حفظوا رؤيتها فاستألفوها ، حاولوا فى النهار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهم يأتون بالتموين من المدينة إحصاء أعمدة الكهرباء المتباعدة فى انتظام على الجانبين ، كانت كثيرة لكنها فى الليل لاترى وكأنما تقتلع فى الليل لتغرس فى النهار . أراحوا رؤ وسم أمامهم محاولين اجترار النوم لكنهم يحفظون ملامح الطريق بعلاماتها من خلال الصوت ، فحين تعبر السيارة ذلك المطب الصناعى هنا تكون الجامعة وفتيانها الجميلات اللائى يحتضن الكتب والأوراق ، يتنهد الجميع قائلين فى صوت واحد « العلم حلو » ! وعند تلك الانعطافة يهدىء السائق من سرعته مانحاً السيارات المتجهة يساراً طريقا لصعود المستشفى الخاص القابع فى استرخاء فوق ربوة تحيطها الأشجار من كل جانب . وعندما يرتفع ذلك الوشيش المتصل تكون السيارة قد اقتربت من مصنع « السفن أب » . كانت رؤ وس العساكر منكسة فوق ظهور المقاعد الأمامية لحظة أن صعدت فتاة بثوب أزرق مثل عاملات المصانع . قطع المحصل تذكرة كاملة وناولها إياها . حدقت فى وجهه وكأنها تعرفه ، تساندت على المقاعد لتأخذ طريقها إلى المقعد الفردى بجوار النافذة . وقع أقدام الفتاة على أرض السيارة أيقظ أحد العساكر ، لم ينتظر حتى تجلس فأطلق صفيرا متقطعا من فمه إلى زملائه الذين هبوا كالفئران المذعورة وبدأت حالة من الهرج تسود السيارة والفتاة غير عابئة بما يحدث تلتفت نحو الخلف حيث المحصل ، بدا من ملاحقتها له أنها تعرفه وأنها ركبت السيارة خصيصا من أجله .

مرت لحظات قليلة وشعر العساكر أن وجود الفتاة بينهم منح ليل السيارة مذاقا آخر . كان الجالسون فى الخلف يرون من الفتاة شعرها المتهدل من أسفل وشاحها البنفسجى ، والجالسون فى مقدمة السيارة أداروا رؤ وسهم إلى الخلف ليروا منها وجهها الخمرى وملامحه الحلوة وطرفى الوشاح معقودين إلى أسفل ذقنها الدقيق مثل سهمين يشيران فى تحد إلى نهديها . والذين فى منتصف السيارة يرون من وجهها جانبه وساقها وذلك الردف المسترخى على المقعد . مرت لحظات أخرى ثم أطلق أحد العساكر صفيرا آخر متقطعا ، راحوا يرددونه فبدا أن لغة واحدة يفهمها الجميع ، يتبادلون بها القول والحلم بالفعل ثم راحوا يتبادلون أماكنهم حتى ينعم كل منهم برؤ ية الفتاة من كل الاتجاهات . رأى الجميع وجهها وشعرها وظهرها وصدرها واستقرت ملامحها فى أذهانهم فتبادلوا ذلك الصفير ، لكنه كان هذه المرة متصلا إيحاء بأن الكل راض وسعيد .

لم يدم الحال هكذا طويلا فسرعان ما قامت الفتاة ومشت خطوات محسوبة مع سرعة السيارة نحو الباب الأمامى ووقفت تمسك بالحامل الحديدى جيدا . كانت تنظر اقتراب المحطة ثم تهم بالنزول . لم يبد عليها للحظة أنها ترى هؤلاء العساكر الذين تشرئب رؤ وسهم اليها . كانت تنظر إلى المحصل متجاوزة رؤ وس العساكر وطواقيهم وعيونهم . لم تشعر بتلك الهرولة التى حدثت منذ قليل عندما أتى العساكر الذين يجلسون فى الخلف وجلسوا متلاصقين متزاحمين وفوق حجور زملائهم فى المقدمة فأصبح الجميع قريبين منها يرونها جيدا ويسمعون أنفاسها .

كان المحصل مشغولا بإحصاء وريقاته البالية فأراد التخلص منها متسائلا عمن يرغب فى فكة عشرة جنيهات . وهو لا يعلم أن الأيدى التى دخلت الجيوب تتحسس الخواء لن تخرج الا بالمناديل الكاكية لتمسح العرق الذى تفصّد عن الجباه والوجوه والصدور . وجه الفتاة تحت الضوء المرتعش حزين ، لم يأخذ من العيون المتزاحمة نحوه فرحتها ، والوشاح البنفسجى حول وجهها خفيف ومتوتر ، والثوب أزرق ذو خطوط طويلة حمراء مستقيمة تتحدب عند نهديها وأردافها ثم ينطبق الثوب فى ارتياح على الخصر مع وقفتها الثابتة . أرادت الفتاة أن تنظر إلى الطريق من خلال الزجاج الأمامى للسيارة لتحسب مدى اقتراب المحطة . انحنت على الزجاج فأخذت مؤخرتها حيزا أكبر من رؤية العساكر الذين لم يبد عليها للحظة أنها تراهم . كانوا ينظرون اليها كالمنومين الذين يستقبلون رسالات من وحى حركاتها وسكناتها ولفتاتها . ومن الخلف يأتى صوت المحصل متحشرجا بسؤاله الممل السقيم عمن يرغب فى فكة خمسة جنيهات فيظل محملقا فى الرؤ وس والأقفية إلى أن يرى الأيدى وهى تدخل الجيوب ثم تخذله فلا تخرج إلا بالمناديل الكاكية . أشعل أحدهم سيجارة ، أخذ نفسا وناولها للثانى الذى كان فعل مثله ثم ناولها للثالث ومرت على الآخرين . تصاعد الدخان من جملة أفواههم وبدت الفتاة بثوبها الأزرق وخطوطه الطويلة الحمراء ووشاحها البنفسجى مثل جنية . حدق أحدهم فى الفتاة لحظة انتهاء كل خيوط الدخان إلى فراغ فرأى وجهها مثل صفحة التصريح الذى يمنحه اياه حضرة الصول البدين وملامح الفتاة مثل كلمات صغيرة هى اسمه والتاريخ ، وتلك الغمازة أسفل ذقنها هى التوقيع بالموافقة على الأجازة ولو كانت قصيرة لزيارة البلد والأهل وبنت العم . وهاهو الليل القريب من ليل المدينة يداعب عيونهم الشبقة فيعطى تفاصيل جسم الفتاة أهميته الأولى لكنها من آن لآخر تسرق نظرة إلى المحصل ضعيف النظر متسمعة له وهو يسأل مرة أخرى عمن يرغب فى فكة جنيه أو اثنين ولا من مجيب .

انحنت الفتاة مرة أخرى لتحسب ما تبقى من الطريق وتصاعدت أنفاس العساكر المتهدجة بالشوق إلى ملامسة وجهها أو مساحة ولو صغيرة من جسمها . كانت السيارة تسير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على نفس سرعتها حين فرمل السائق فجأة ، سقطت الفتاة على أرض السيارة فهجمت الأيدى عليها . . وجهها المشدوه يرى فوقه فخا منصوبا من أيدى العساكر ووجوههم الشاحبة ، كل يد ترغب فى الإمساك بالفتاة إمساكها بالحلم ، تمتد مشدودة بالخوف من أن ينفتح باب السيارة فجأة فتهوى الفتاة تحت العجلات ويفر الحلم الجميل من بين عيونهم اليقظة . هدأت عيونهم وشفاههم المرتعشة وتساندت الفتاة بأيديهم حتى نهضت ثم تساحبت الأيدى شيئا فشيئا حتى تفكك نسيج الفخ المنصوب حولها ونزلت من السيارة .

من النوافذ المكسورة تباعدت الفتاة مثل نتف الضوء القليلة التى تمرق مع سرعة السيارة ثم راح كل من العساكر يحدق فى يده التى لمست وجه الفتاه وجسدها .

القاهرة : « نعمات البحيرى »

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

قصة: العام الثامن

(١)

عيناه تحاولان النفاذ فى دوائر الضباب عساهما تدركان بؤرة فيها تغاثان وتعصران دمعا رطبا . هذه السنون الشداد أكلن ما تقدم وما تأخر . يرنو إلى بقعة فوق ذؤابات حلم . يجدُّ سعيا نحو رؤى . يحمل رؤاه على كفه . لا يقصُّها على أحد .

(٢)

فتح الكتاب . قرأ عبارتين . ربما ثلاثا . اعتصره الألم إذ يتذكر متى كانت آخر مرة أمسك فيها كتابا . عاود القراءة . ظل يرددها حتى رآها جسدا يمشى على رجلين . أغلق الكتاب . هتف : لو كنت أعرف كيف أوفى الحزن !

(٣)

خرجت إليه من خدرها . تحدثه عن المدرسة والغسالة « كاملة الحركة » ومطالب الطبيب ، وإنها لصادقة . هكذا حدثته نفسه عاود حديث السنين اليابسات . أضاف : ياامرأة السجن أحب إلى من هذه المعيشة !

(٤)

حين قدم رئيسنا تناجوا همسا : ما هذا بشرا ، إن هذا إلا عجل زنيم !

قال : فلِم عبدتموه !

رد أحدهم بلا اكتراث : وأطيعوا الله والرسول

أردف : وأولو الأمر منكم . يضحكون

(٥)

راودته الشمس عن نفسه . قال : أحرقينى وذريِّنى فى زوايا الكون . اجعلينى بددا . هاهو صدرى فقدِّيه . سنخرج من رحم الغيم ونستحم برائحة العشق . وإذ كان النهار ينفض غباره البشرى فوق بحيرة الأسفلت ناداها قائلا : أنت أنت ما اكتسبت ، فهل لى منك بعد ذلك من نصيب !

(٦)

تقرير عن حالة الطقس : لا تغير يذكر فى اتجاه الرياح . الحرارة باقية حول معدّلها .

تنبيه : الصيد ممنوع حتى إشعار آخر . حالة الموج لا تسُر

(٧)

إظلام تام .....

.....

.....

(٨)

راقد بلا حراك فوق تلال من الرمل باردة . خرجت من ثناياها حشرة . انسلّت من بين إصبعيه . لدغته بعنف . أوشك أن يصرخ ألما ، لكنه أدرك أن البرودة أخذت فى التلاشى .

بور سعيد : زكريا رضوان

محمود عبد الحفيظ

قصة

هذه الليلة

لا هو تعلّم ،ولا هو زهد فى حياة المتعلمين . لا هو ثقّف نفسه ، ولا هو أعفاها من هموم المثقفين . لا هو قفز إلى مركز الدائرة جهاراً نهاراً ولا هو رضى بركنه خارج الدائرة . وهُمْ يُحبُّونه ؛ فلم يكن أبداً مصدر أذى لهم ، ولا كان وجوده يرهقهم ، ثم هم لا يعرفون شيئا عن الكامن الخبىء ينهش فكره وجسده مرهقاً أعصابه مبدِّدا حُلْمهَ فى أن يعيش كبقية خلق الله .

قبل هذه الليلة . . كان كل شىء عاديًا ؛ المقهى وروّاده الشارع وسُكّانه ، الذاهبون والعائدون ، القائمون والقاعدون . وكل ليلة تلتهب الحناجر والآذان لم يكن يهمه إلا أن يسمحوا له بالمشاركة ، وكان يشارك . . بقدر ما يشارك . . وكانت له بدايات بعينها يُغْلفُ بها دخوله المناقشة وكانت تعجبهم . سألوه مرة : لِم لم تكمّل تعليمك ! ليْلتها قال أشياء كثيرة ، فصّل وفصّص ، زاد وأعاد ، حلّل وفسّر ، صحيح أنه لم يقُلْ جملة واحدة مفيدة ؛ لكنهم عرفوا . كان يشارك ، وإذن فهو موجود ! هذا ما يهمّه . . أن يكون موجودا . . ودائماً ؛ فى عيونهم الراضية ، أو المتحفزة . . لساعة أو ساعتيْن ــ كانت طموحاته الخائفة ترتعى وتلعب . ودائما كانت ــ وما زالت ــ تُعذّبُه وتضنيه فكرة أن يكون هؤلاء الجالسون معه ــ يعرفون ؛ يعرفون شيئا ــ ولو قليلاً ــ عن ذلك الذى . . صغيرا وساكنا وكامناً هناك . . هناك بعيدا فى أعماقه يختبىء مخافة أن تكتشف وجوده العيون .

كل شىء قبل هذه الليلة كان عاديًا . . حتى هذه « الحُسَيْنيَّة » ورغم إطلالتها واكْتساحها الحاد ؛ لم تكن فى الأسابيع الأخيرة وحتى عصر اليوم ــ أكثر من موضوع تلتهبُ له وبه حناجر الجالسين وآذانهم وطال ما أرهقوا أنفسهم بحثاً عن علاقة بين « الحسينيّة » هذه والانتخابات والأسعار والقوى العاملة وكل ما يدور على . . على خريطة الوطن ــ هكذا سمعهم هنا كثيراً يُرددونها . لكنه أبدا لم يُرهق نفسه ليعرف لماذا يُرهقون أنفسهم ، ولماذا يُرهق نفسه ! حسبه ما هو فيه ، وحسبه أن يسمحوا له بالمشاركة ، وكان يشارك ، بقدْرٍ ما . . بشكل ما ، وفى عيونهم الراضية أو المتحفزة ، ساعة أو ساعتيْن ــ كانت طموحاته الخائفة ترتعى وتلعبْ .

فقط الليلة تغيرَّ كل شىء ؛ فقد أخبره أخوه الأستاذ عصر اليوم أنه انتُدبَ للمراقبة فى امتحانات الثانوية العامة فى « الحسينية »

« وأن يكُون أىُّ شىء قدْ حَدَثَ فى العالم فتصوُّرُهُ مُمْكِنٌ . أمَّا أنْ يُعُودَ الأُسْتَاذُ منَ الحُسَينية مقْتُولاً أوْ مَجْروحاً أوْ ، حتى مُهَانَاً مكْسُورَ الخَاطرْ فَهَذَا ما لا يمكن تصورُهْ . »

هكذا لخّص ما يمكن أن تُسْفرَ عنه . . ما تمنى أن تسفر عنه . . ما يخشى أن تسفر عنه مناقشات الليلة . وعلى الجالسين معه أن يشاركوه طموحه هذه المرة بقدْرٍ ما . . وبشكل ما ، فلأوّل مرة ــ رغْماً عنه ــ كان عليه ــ ومن حيْث يلعب

هناك بعيدا على محيط الدائرة ــ أو إلى الداخل قليلاً ــ أن يقفز إلى القلْبْ ؛ فالحسينية الآن ليست موضوعاً للمناقشة . الحسينية الآن عالمه الجديد ، والحقيقىّ ، والمفروض عليه حَتْماً وقسْراً .

« كنت كُلَّ مَرَّة تُصَلىّ ؛ تَدْعُو الله أن يُساعدكَ حَتّى لا يَعْرفُوا . وكَانَ حَسبُكَ اللَّيْلَةَ أنْ تحتملُوا هَذَا المَدَى الذى انْطَلَقْتَ إلَيْه ، لَمْ يكُنْ ضَرُورِيًّا أَبَداً أَنْ تُقْسمَ بالله لَتَصْحَبَنَّ أَخَاكَ إلى الحُسَيْنِيَّة ، ولْتَنتظرنَّهُ عِنْدَ بَاب المَدْرسَة ، ولتقطعن رَقَبَة مَنْ تُسَوّلُ لَهُ نَفْسهُ أَنْ يَمسَّ الأُسْتاذَ بسُوء أَيًّا مَاكَانَ مَرْكَزُهُ ومَوْقعُه عَلَى خَرِيطَة الوَطَنْ . هَذَا كثير . ادْعُ الله الآن أَنْ يُلْغَى الانْتداب . . أو الامتحان . . أو الحُسَيْنية نَفْسُها ، ما دُمْتَ لا تقْدرُ عَلى إلغَاء طُمُوحك الخائفْ »

لم يكن بوسعه أن يحتمل فكرة التَّصوُّرْ ؛ تصوُّر نفسه مسحوبا بين رجال الشرطة إلى حيث يدرى ولا يدرى ، ومع ذلك ، ورغم كل شىء فقد مَرَّ اليوم الأوَّلْ . . الحمد لله . . لم يحدث شىء . .

ومرَّ اليوم الثانى .

فى اليوم الثالث . . كانت شَمْسُ يونيو لاتُطَاقْ ، رجال المركز الكبار . . والعساكر . . وأولياء الأمور . . وناس آخرون كثيرون لا يعرفهم ، حَوَّلوا مساحات الظِّل المتناثرة حَوْل المدرسة شَمْساً أخرى لافحة لا تُحْتَمَلْ . . . طارت من رأسه فكرة الأذى تتربَّصُ بأخيه . . سكون رهيب يخيم على المكان . . انتظارٌ قاتل ، صَمْتٌ وتوجُّسْ ، . . . من عالمه المغلق انتزعته زجاجة مثلجة تُفْرَغْ فى جوف رجل عند ناصية بعيدة ــ ليست بعيدة تماما ــ . . كالشعرة من العجين انْسَلَتْ من بينْ الجموعْ . . . . . أفرغ مثلها فى جوفه . . لم تطفىء ــ كما كان يظنُّ ــ شيئاً من ناره . . اسْتدارْ . . فى الطريق اجتذبه طفلان يتشاجران . . . انتبه على صوت امرأة تصرخ : « ما تضْربْش أخوك ياوَلَهْ » . . . سار . . أسلمته حارة إلى حارة . . وشارع إلى شارع . . . « إذَنْ فأنت الحُسَيْنية ! هنا يُقْتلُ المدرسون . . هنا تحكم القوة ويتراجع القانون » . . . فكرة أن يكون جادًّا تزحف نحوه . . على اسْتحْياءٍ تزحف . . خائفة متردّدة تزحف ، ولم لا ! هل يمكن أن تتخلَّى عن أخيك ! . . صَدَأ قديم مُزْمنٌ يتحفَّزْ ، يتوقَّفُ الزَّحْف . . صَدَأ قديم . . هل كان ضروريًّا أن تكون مدرسا ياأستاذ ؟ هل كان ضروريا أن تنتدب إلى الحسينية من بين بلاد الله جميعا ؟ هل كان ضروريا أن تتعلَّم أَصْلاً ! . . هَوَتْ به فكرة (العلام) إلى ماضٍ بعيد ، انْشقَّتْ الأرض تحت قدميه تماما . . هو الآن يغوص . . يغوص . . يغوص . . حاول أن يتماسك ، أن يستعيد موضعه فى الزمان والمكان ، شمس يونيو اللافحة هنا الآن فى الحسينية . . لماذا تُطلُّ الآن ! لماذا لا أستطيع إسكاتك وردَّك إلى ركنك المظلم الخبىء ! ركنك الأمين . . لماذا الآن وبهذا الإصرار العنيف ! لماذا ! لماذا !

فى كل مرَّة كان يسترضيه بصرخة أبيه : « اللى ما تعلِّمش له فدان زيادة » . . أراحته صرخة الرجل أوَّل الأمر ، لكنها مع الأيام تراختْ وباخ دفئها اللذيذ ، الآن تنسربُ الصَّرخة إلى ظلمات وعيه ، ضاع الفدان الزيادة وانتصبت « اللى ماتعلمش » ثعباناً يفحُّ فى ليله السَّرمدىّ الرهيب . فى الصَّرخة شىء يريح الأستاذ ، يرضيه ويكفيه ، أما أنت . . فلا شىء يريحك أو يرضيك . . لا شىء يطفىء نار قلبك .

ترنّ ترنّ ترنّ ترنّ . . وشامخاً منتصبا أطلَّ أخوه . . ومرَّ اليوم الثالث . . والرابع . . . . . والأخير .

●

عائداً إلى المنصورة فى اليوم الأخير ؛ جلس فى الميكروباص وأمامه أخوه حتى لا يغيب عن عينيه لحظة فى شوط الرحلة الأخير . أنزل زجاج النافذة ، مدَّ ذراعه واتَّكأ . . . . انطلق الباص إلى الأمام . . وإلى الوراء انطلق العالم كُلُّهُ . . الحمد لله . . لم يحدث شىء . . ومع كل الأشياء التى انطلقت ، إلى الأمام وإلى الوراء ؛ انطلق من ركنه المظلم الخبىء ذلك الذى هناك بعيدا طال سكونه :

ــ وما الذى كان يمكن أن يحدث !
ــ إنّ شيئا لم يحدث
ــ وهل هذه هى القضية !
ــ وما القضيّة إذن !
ــ هذا الذى لم يحدث
ــ هو لم يحدث
ــ لأنك كنت هناك ! أم لأنه كان لن يحدث أصلا !
ــ وإذن لا قيمة لوجودى ! لا قيمة لكل ما فعلتُه !
ــ وماذا فعلت !
ــ كنت هناك
ــ ما الدليل !
ــ هذا هو الأستاذ يجلس أمامى سليما لم يلحق به أذى
ــ والآخرون ! مَنْ لم يذهب معهم إخوتهم !
ــ إحساس أخى بالأمان كان بسبب وجودى
ــ من أدراك ! هل طلب أخوك أن تأتى معه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هذا واجبى طلب أو لم يطلب .

ـ أتراه سعيدا بك ! شاكرا لك ! لعله الآن يسخر منك فى نفسه .

اعتصرته الفكرة الأخيرة . . ثم نفخته . . ثم أسندته إلى حائط صُلْب . . ثم غاصت بكعبيها ممزقة أمعاءه . . . دوىٌ هائل . انتصب الكامن الخبىء زاحفاً متسلّقا جدران ركنه المظلم . . « هذا الجالس أمامى لا يحسُّ بى ! لا يهتمّ بما فعلتهُ ! يسخر منى هو الآن ! » . . انتصب رُوَّادُ المقهى على جانبى الطريق يضحكون ، يقهقهون ، لا يتوقفون إلا لتخترق ألسنتهم اللافحة وجهه الذى يتصبَّبُ الآن عَرَقاً . . حاول أن يُسكته أن يردَّه . . أن يمسك به بين يديه ليزهق أنفاسه . . لكنه كان قد انفلت الآن تماماً ، وبفجّة مكتومة غليظة . . . انصفق الباب وراءه فانحرف السائق يمينا . . ثم توقّف : « اللى نازل السنبلاوين » . . ما زال كل شىء إلى الوراء يطير ، يتملّص ، ينفلت ، يطير . . لابد أن يفعل شيئاً ، أى شىء ، العرق يتصبَّبُ من كل جسده ، طبول تقرع ، يشتد القرع . . يشتد . . يشتدّ ، الغربان تحاصر المكان . . سوداء شيطانية . . يعرفُها ، يعرفها تماما ، وهى تعرفه من بينهم جميعا انقضّت عليه ، تنهش لحمه ، تمزقه صارخة فى هستيرية . . لم يَعُدْ يطيق . . لم يَعُدْ . . حاول ولم يعد . . صرخ فى السائق « اطلع يـاابن الكلب » . . استدار أخوه مستنكرا ، التقت العيون . . استيقظت السُّنون . . . وجبارة مقهورة ارتفعت يده فى الهواء ، وعلى صَدْغ الأستاذ ، على وجهه ، فى عينيْه ، فى كل جسده مغلولة . . موتورة حاقدة مجنونة أفْرغَتْ بركانها الرهيب . . . . . و . . . راقداً فى مستشفى السِّنبلاوين . زحف عليه المساء .

●

فى كل ليلة يُهْرَعُ الأطباء . . والمرضى . . والتومارجية ، وأصحاب البيوت المجاورة إلى حيث يرقد . . وفى كل ليلة يحكى لهم . . وفى كل مرة يبدأ على مهل :

الحكاية . . . . إن الأستاذ . . . . كان منتدب . . . . . فى الحسينية وفى كل مرة كان يلاحظ ـ عندما يصل إلى السنبلاوين ـ أن رَوَّادَ المقهى ـ كل رواد المقهى ـ قد انصرفوا .

كفر صقر شرقية : محمود عبد الحفيظ عبد العزيز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سامى رفعت

قصة

الطابور

هوت قدمى على الفرامل ، تشبثت أصابعى بعجلة المقود .. سمعت صرخة زوجتى بجانبى ، صوت ارتطام طفلنا الوحيد بظهر مقعدى ، زمجرت العجلات ، أنين الأسفلت ، بكاء الطفل ... انخلعت رأسه لتصبح فى اتجاهى ، انفتح فمه بلا صوت ، ارتد ظهره للخلف دون أن تتحرك قدماه ، لسعتنى عيناه برغم الزجاج الأمامى ، ضغطت أكثر ، لامست قدمى الدواسة ، استمرت السيارة فى الزحف نحوه تماما .. بدا وجهه الملثم بالفزع طفليا إلى حد لا يمكن اغتياله .. لكن .. هذا الوجه .. لا .. لا يمكن .. هاتان العينان بالذات ، هذه الأنف ، الجبهه ، زمة الشفتين ، لون البشرة .. نعم .. هو ! فبرغم هذا الشعر الأبيض الذى عرف طريق رأسه والذى لم يكن هناك فى لقائنا الأخير ، وبرغم هذه الطعنات التى ألقت بها فى وجهه الأربعون سنة الفائتة .. فإنه هو ! أعلم أننى لو التقيته فى أى ظرف آخر ربما لم أعرفه ــ لكن فى هذه اللحظة بالذات هو .. هو بالتأكيد ! فالدهشة والخوف مسحتا كل التجاعيد ، أعادتا له الوجه الذى أعرفه .. عيناه أيضا تؤكدان أنه عرفنى ، عرفنى أيضا تماما .. حاولت أن أدثر وجهى بنظرة شفقه أعتقد أنها بدت غير مفهومة . حاولت أن أخلع عينى بعيدا عن عينيه ، لم أستطع .... أنا لا أقصد .. أقسم لك أننى لم أتعمد هذا ، فمن أين كان لى أن أعلم أن طريقينا سيتقاطعان ؟! .. أعلم أنك لا تصدقنى بسبب لقائنا الأخير ، لكن هذه هى الحقيقة ، فأنا فقط عرفت من هذا اللقاء أننا لن نتعانق ثانية ، لكننى لم أتخيل أن نتقاطع .. أن يدهس أحدنا تحت عجلات الآخر ، لم أتخيل ولم أتمنَّ ..

[أعرف أنك تفكر الآن وفى هذه اللحظة بالذات ــ لا فى أن تقفز بعيدا فالوقت قد فات ــ لكن فى ذلك اللقاء ، تتذكره مثلى تماما .. ذلك اليوم الأصفر البعيد .. كانت الخماسين ؟ .. نعم .. لكن على أية حال كانت قد طالت حتى كدت أن أنسى أن هناك فصولاً أخرى تحتضن هواء بلا رمال ، بلا جدب ، فصولاً لا تملك هذا التقلب الأحادى اللون ، فقط أصفر !! .. لا تسخر منى فكلانا فى نفس الورطة ولذلك فأنا لا أمثل .. أنت نفسك كان يجتاحك هذا الشعور ، عيناك اللتان أعرفهما جيداً كانتا تصرخان برغم صمتك .. ثم .. ثم إننى لم أتعمد أن أتخطى الطابور .. وقتها كنت فقط أتململ وهذا من حقى ... حسن .. لا تنظر الى بهذا الشكل ، نعم .. كنت أقصد ، فالتراب كان فى العيون ، والهواء لم يكن كافيا والطابور بلا نهاية ! ... وأنت بالذات ليس من حقك أن تحكم على ، فأنت لم تقف أبدا فى طابور ، لم تشعر بأنك مجرد واحد من مئات ، ألوف ، ملايين .. لم تجد نفسك بين قدمى الانتظار .. أمل ، ثم يأس ، ثم مجرد كره .. كنت دائما موجوداً لكنك خارج اللعبة .. مراقب بلا رغبات ، بلا احتياجات .. فقط وجه قاطع واثق وكلمات ضخمة .. تماما وكأنك قد مررت بالتجربة من قبل ، أو أنك تعرف البداية وتعرف النهاية وأيضا ما يبينهما ، أو أنك لا تفهم أى شىء على الإطلاق ! .. ثم .. لاتنس أنه لم يكن طابوراً بالمعنى الحقيقى . كان يتشكل لكل لحظة على حدة ، وبانتهاء اللحظة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يظهر طابور جديد بترتيب جديد وأولويات جديدة ولكن أيضا للحظة تتغير بعدها كل الأوضاع !، ومع هذا أردت منى أن أبقى . . أنا فقط بدون تغيير . . كيف ؟ . . ومجرد حركتهم للأمام تعنى دفعى للخلف ، ربما لو كان هناك فقط بداية ونهاية وترتيب لانتظرت . . أتفق معك برغم صمتك اللحوح أن الانتظار وقتها لن يكون اختياراً حرّاً ، لكنك تنسى دائما أننا لا نحيا فوق السحاب وأن تلك التى تحملنا أرض !، ثم هل تنكر أن مجرد وجود قاعدة كان سيزرع فى الأفق أملا بأن يوما ما سيأتى لأجد نفسى عند القمة أو على الأقل بالقرب منها ، وأن الثمن ــ أقصد العمر ــ لن يذهب لجيوب تصنع اللحظات ، لحظات التسلق . . .

كان عليك وقتها أن تفهم أننا اختلفنا لأن كتفىَّ أعلنتا الرفض . . رفض المزيد من الأقدام المغامرة فتحركت ، لكن صدقنى ــ فى البداية على الأقل ــ لم أكن أعى على وجه الدقة ما سيحدث . . كانت ساقاى تؤلمانى ، عامود من نار فى ظهرى ، والهواء الثقيل يجثم فوق صدرى . . تململت . . تحركت . . سقطت عيناك علىّ ومع أنك لم تفتح فمك فإننى شعرت ببصقة لزجة فوق وجهى ، فتحت لك ذراعىّ مبتسماً وكأننى لم أشعر بشىء ولم أفهم أى شىء ! . . أعتقد أن يدا امتدت لحظتها من الخلف لتجذبنى ، دفعتها أو قطعتها لم أعد أذكر . . إلا أننى اكتشفت أننى صرت على بعد خطوة للأمام ، هذه المرة كانت للأمام . . ربما رأيت بعدها نظرة استنكار فى عيون من هم أمامى ، ربما ابتسمت فى وجوههم ببلاهة ، ربما انحنيت بمسكنة ، لم أعد أذكر ، لأنه لم يعد يهم . . . تقدمت خطوة جديدة ، ومع ذلك ، وبرغم الفرحة التى شعرت بها تهدهدنى ، وبرغم نظرات الغضب والتملق تلك التى كانت تنعكس من فوق جبهتى لتسقط فى عيون أصحابها ، حاولت أن أبدو آسفا ، لكننى أستطيع الآن ولأول مرة بينما لا تزيد المسافة التى تفصل بيننا عن أمتار قليلة أن أقول إننى لم أكن أقصد لحظتها إلا أن أهادنك . . لماذا ؟ . . ربما لأننى كنت أخشى اللا ملامح فى وجهك ، ربما لأننى لم أكن لأستطيع أن أتخيل العالم بدون كلماتك البراقة ، ربما لأننا كنا يوما أصدقاء ! . . أعرف أننا لم نكن أصدقاء إلا عندما كنا صغارا ، كانت عيوننا مسبلة ، وأسناننا لبنية ، وأيدينا قصيرة ! . . نفس الكلمات التى قلتها عندما أشحت بوجهك ، منعتنى من الاقتراب منك . . ها أنا أرددها تماما كما كنت أفعل عندما كنا صغارا ، وبرغم أننى خلف عجلة القيادة ، وبرغم أنك أمام العجلات ، وبرغم أن شريط الأسفلت ما بيننا يضيق فى كل لحظة أكثر فإننى أرددها ولكن لا من أجل أن أتملقك بل لأننى فهمتها . . فهمتها أخيرا . . نعم لأننا كنا صغاراً ! . . .

لكن الفزع فى عينيك ياصديقى السابق يؤكد أنك لم تفهم بعد ، فالفهم يلغى الفزع ، يلوّنه ، يحوله الى شىء أقرب ربما إلى الاستسلام . . هذا الشىء الذى كان من الممكن أن نشترك فيه برغم الأربعين سنة التى نحملها فوق أكتافنا ، هذا الاستسلام لو استطعت أن ترفع حاجز الفزع عن عينيك ولو فى آخر لحظة لرأيته فى عينى وأنا أدوس الفرامل ، ولبقى فى عينيك حتى وأنت تدهس تحت العجلات التى أتمنى أن تتوقف ، ووقتها سترى الأشياء كل الأشياء فقط كما هى ، وربما تستطيع فى تلك اللحظة الأخيرة وبعد أن يتحول كل شىء بداخلك الى جهاز انتظار محايد للحظة القادمة ــ لحظة التصادم ــ أن ترى المرأة الجميلة برغم الفزع الجالسة الى جوارى . . زوجتى . . كنت أحتاجها . . . ولأننى أعلم أن قاموسك ذا الكلمات العريضة الحروف ، الباترة المعانى لا يحوى كلمة احتياج أو أى من مرادفاتها لن تستطيع أن تفهمنى . لكن ربما يمكنك إذا تخيلت ــ وأنا أعلم أنك تملك خيالاً جامحاً ــ أننى إنسان ــ إنسان بمعنى أننى أحلم ، وأخاف ، وأنام ، وأيضا أتقلب . . هل صارت الفكرة أوضح ؟ . . أيضا هذا الطفل الذى لن تستطيع أن تراه لأنه مكوم الآن فى الدواسة أمام المقعد الخلفى ، كنت أيضا أحتاجه لأننى بمنتهى البساطة احتجت فى سن معينة إلى أن أشعر بالملكية بعد أن تملكتنى مئات الأشياء لعشرات الأعوام . . تملكتنى أنت ، وأبى ، وطابور من إخوة ، وقطعان من أحلام ، ولذلك احتجت إلى هذا الصبى . . .

أعرف أن كل هذا لن يغير من الأمر شيئا ، وأنك لن تتعاطف معى مهما قلت !، ولذلك لن أكذب وأحولها الى مأساة . . لن أقول إننى دست الطابور ، تخطيته من أجل لقمة أسد بها رمقى ، أو دفء ينقذنى من برد ينخر فى عظامى ، لن أقول هذا لأن التبسيط يجعل كل الأشياء مائعة مغفورة ، والوقت لم يعد يتسع لمزيد من الميوعة ، فأمتار الأسفلت صارت (سنتيمترات) والعجلات المتوقفة عن الدوران ما زالت تنزلق لتبتلع الأمل السرابى فى الهروب . . هروبك من أمامى ، أو هروبى من قتلك ، أو هروبنا من المواجهة ، تلك المواجهة التى تحاشيتها منذ لقائنا الأخير ، ومع ذلك عشتها الليلة تلو الليلة وفى كل مرة كنت أنتفض فزعا قبل أن تطأنى سيارتك . . نفس السيارة كنت أنت قائدها وأنا ضحيتها فى جميع الكوابيس بدون استثناء . لكن فى هذه المرة الكابوس حقيقة ، فصرخة امرأتى ما زالت تدوى فى أذنى ، وجسد ابنى المكوم أشعر به يضغط ظهرى ، كل شىء تماما كما كنت أراه ، فقط تبدلت المواقع . . . هل ؟ . . هل يمكن أن تفهمنى لو قلت إننى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خدعت الطابور فقط من أجل هذا التبديل ، من أجل أن ألعب دورا غير دور الضحية ؟ أرجوك ، حاول أن تنسى صوت العجلات وضجيج الأفكار التى أعلم أنها تطعن رأسك فى هذه اللحظة وأن تسمعنى . . أنا لم أقصد أن ألعب دور الجلاد ، لكننى على استعداد . . على استعداد لأى شىء إلا أن أحترق ، أن أصبح وقودا يضىء دروب الإنسانية فى سعيها الدائب نحو غد أفضل ! . . لولا أنك ستموت بعد ثوان ، لولا أننى أخشى أن تظن زوجتى أننى جننت لقهقهت . . . كم كانت كلماتك المنتفخة تدير الرأس ، وكم صارت تثير الضحك . . هل تعتقد حقا أن الوقود يشتعل ليضىء ؟ . . أم أنه يشعل فيحترق فيضىء لا لنفسه ولكن لآخرين ، إذا فالآخرون هم الإنسانية ، ولكن ما تصنيف المحترقين ؟ . . مع الأسف لم تخبرنى ، ولا أعتقد أنك ستجد الوقت الكافى ، لكن الطابور كان طويلاً جدا وأنت تعرف ! ، والكل كان يملك نفس الفرصة ، والجميع شاؤ وا أم أبوا ، حاولوا . .

قد لا تتفق معى لكن الوقت لم يعد يحتمل مزيداً من المهاترات فهذه هى الحقيقة ، كل الفارق ما بينى وبين أى عود حطب تركته فى الطابور هو أننى نجحت وأنهم فشلوا ، وبرغم الاحتقار فى عينيك هذا الذى شعرت به يمزق ظهرى وأنا أدفع من خلفى وابتسم لمن هم أمامى وأنحنى لكل من هم فوق الطابور فإن . . . . . سمعت صرخة ، اهتزت السيارة ، مزقت يده الهواء ، ارتفع جسده ، ارتطم . . . رفعت قدمى عن الفرامل ، لم يعد هناك سبب للتوقف ! ، ضغطت البنزين .

القاهرة : سامح رفعت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محسن محمد الطوخى

قصة: المهاجر

لم يبق إلا أن تمضى تلك الليلة . . ثقيلة الوطء كسابقاتها . . عندما يحل الفجر وتحلق الطائرة . . ميممة نحو الغرب . . وقتها فقط . تنتهى متاعبى . . أكون قد تخلصت من أسر عينى طفلى .

وهناك . . وعندما تستقبلنا « كارولين » . . سأفهم مغزى كل النظرات التى سوف تتبادلها مع الصغير . . سيكون علىّ منذ اليوم أن أواجه حلفاً يحمل نفس القناعات . . نجحت « كارولين » بأسلوب عصرى فى أن تضم اليها حليفاً . . أما أنا . فلن أكف عن المجىء . حتى لو صحت مخاوفى . مطبوع وجه « نوال » فى ذاكرتى منذ الليلة . . طفلى « مروان » يغط فى النوم إلى جوارى . أسمع صوت تنفسه الهادىء . يحتضن وسادة من ريش ـ كما دأب منذ نعومة أظفاره ـ دستها« كارولين »بين أمتعته قبل الرحيل . . سألنى قبل أن يغفو :

ـ هل سنرحل حقاً فى الغد ؟

استسلم للنوم فى سلام بعدما أكدت له أننا سنرحل مع الفجر . . . أتمسك باليقظة . . أخشى أن يفلت منى وجه « نوال » . بتفاصيله الدقيقة المنمنمة . وأهدابها الطويلة المقوسة . . مطبوع فى ذاكرتى هذا الوجه . منذ الليلة . يطمس كل حماقات الأسابيع الأربعة الأخيرة . . بعد سنوات قليلة . ستشب على أطراف أصابعها أمام المرآة . لتصفف شعرها . . وعندما تراني . . لن تحدق فى وجه غريب متسائلة : (من يكون ؟)

مغروزة جذورى فى تلك الغرفة الضيقة . . لا أعرف كيف اتسعت لذلك العدد الكبير من الأقارب والأصدقاء . . أتوا مودعين كعادتهم دائماً فى المناسبات البعيدة التى ما زلت أذكرها . . صبيحة عيد الأضحى . حول لحم الأضحية . . أو احتفالا بقدوم مولود جديد . . أو احتفاء بجذور عائلتنا القادمين من الريف . حول الفطائر المشبعة بالسمن وأبرمة الحمام المحشو . . كنت مضطراً الى الوقوف كلما أقبل زائر ، أو انصرف ضيف . . أنقل بصرى ما بين طفلى الجالس هناك . على رأس المائدة محاطاً بالرعاية . يتفرس بعيون زجاجية فى الوجوه التى لم يألفها أبداً رغم الأسابيع الأربعة الطويلة . . وبين أمى . بملامح وجهها التى تشى بما لم تبح به شفاهها المطبقة . . تتشاغل بتقريب الأطباق . أو صب ألوان الشراب . وتبتعد بنظراتها عنى . . لم تسقط علىّ عيناها مرة واحدة .

فى زياراتى السابقة . كنت شغلها الشاغل . طوال الأمسيات الأخيرة قبل الرحيل . لم تكن تكف عن الحركة . تروح وتجىء . مثقلة بسنوات عمرها الكثيرة . لا تكف عن التمتمة بالدعاء . ولا عن تكديس ما ترجو أن تحملنى به من أصناف الطعام . . لا يجدى تأكيدى لها المرة بعد المرة . أنى لن أحمل سوى حقيبة ملابسى .

تذكرت فجأة ـ حين التقت عيناى بعينى الصغير ـ تلك النظرة التى ودعتنى بها « كارولين » . . (إذهب أيها المهاجر الشرقى . . لن تعدو أبداً أن تكون شرقياً)

شيء ما مازال يدعونى . كلما بهتت فى ذهنى وجوه الأهل والصحاب . لأن ألقى خلف ظهرى بكل ما يوهن عزمى . وأحزم أمتعتى عائداً إلى الوطن . . ترفض هى أن تصحبنى . . أعرض عليها ذلك وأقنع تواً بالرفض ، فأنا أعرف مسبقاً أنها لن تكرر التجربة رغم توالى السنين على تلك الزيارة الوحيدة . حدث ذلك كأنما منذ مائة عام . و « مروان » لم يزل بعد رضيعاً . لم تصبح له بعد تلك العينان . اللتان تحدقان فى الموجودات بفتور .

فى بيت العائلة . رمقتنى أمى وهى تتحسس ذراعى كأنها تتعرف علىّ بطريقتها الخاصة :

ـ هل تزوجتما على يد مأذون ؟

ربت عليها بحنان

ـ أجل ياأمى . . قرى عيناً . « كارولين » ابنة بلد . . عاونتنى كثيراً . . سوف تحبينها .

ألقت إليها نظرة من جانب عينيها . شأنها حينما يداخلها الشك .

عشر سنوات مرت . لم تتعلم « كارولين » حرفاً واحداً من العربية . . حتى تلك الزيارة القديمة . لم يعلق بذاكرتها منها شيء . . حتى « مروان » . كأنه نسخة من أمه . . ضحك أولاد أخى مستثارين وهو يحاول أن ينطق جملة بلكنته الغريبة . امتقع وجهه . ولم يكرر المحاولة .

مهاجرة مثلى . من غرب أوروبا الى الدنيا الجديدة . . جمعت بيننا أشواق المهاجر الى الأهل والوطن . . كانت تحيط عنقى بذراعيها . وتحدق فى عينى طويلاً . . تتحدث عن سحر الشرق القابع فى قاع عينى . وتصف مراكب الشمس التى لم ترها إلا فى الصور وفى المطبوعات السياحية . تقول :

ـ أود أن أسافر الى مصر . وأبقى هناك عمرى كله .

أضحك قائلا : ـ لن نتمكن من البقاء أكثر من أسبوعين .

ـ تستطيع أن تعود أنت وتتركنى هناك . . سيرعانى « حورس » .

أقول لها :

ـ ستغار منك « إيزيس » . فهى لن ترضى لابنها جارية أجنبية .

تقبلنى بين عينى وتقول :

ـ لن أكون جارية إلا لك !

لم يطل انبهار « كارولين » أكثر من ساعات بعد هبوط الطائرة . . أفردت لنا أمى غرفة لإقامتنا . وفى اليوم التالى . فضلت أن تترك الشقة بالكامل لنا . بدت سعيدة فقط بحفيدها الذى يحمل لون الزرع فى عينيه . ولون الشفق فى بشرته . . كانت تجاهد لتحتفظ بالبسمة . بينما « كارولين » لا تدع لها الفرصة لتحمله . أو حتى تقترب منه . . كان هذا أول عهدى بالألم منذ فارقت الأم الطيبة .

لم تخف « كارولين » استياءها من كل شيء . وتمنت العودة قبل انقضاء أيام ثلاثة . حتى انتقالنا الى الفندق لم يخفف استياءها . . بكت أمى بدموع صامتة . وأنا أخبرها بعزمى على الانتقال . جرت دمعتان كبيرتان . أخفتهما عنى بأصابع مرتعشة . . تشاغلت ببعض الأمور . لكنها عندما استدارت مرّة أخرى . كان للدمعتين بقايا فى ثنايا وجهها المتغضن .

لم تُجْد « كارولين » الإقامة فى الفندق . ولم تكف عن التبرم . فأنهينا الرحلة قبل موعد انتهائها بأيام . ولم ترغب أبداً فى إعادة الكَرّة . . بعدها مباشرة . أطلت تلك النظرة من عينيها . وظلت حتى اليوم هى الشيء الوحيد الذى تبقى من آثار تلك الزيارة .

اعتادت أمى فى زياراتى اللاحقة أن تسألنى عن « كارولين » ثم لا تنتظر إجابتى . . تتحسسنى بامتعاض وهى تقول :

ـ أنت تزداد نحافة . لا تقلق . سوف أرعاك .

هذه المرة لم تسألنى عن أى شيء . . فارقتها روحها المرحة الطيبة . وسكنت عينيها تلك النظرة التى رأيتها أول مرة . يوم مات أبى .

انتهى حفل الوداع على أية حال . ولم تبق إلا ساعات الليل . ثقيلة الوطء . . استطعت أن أعلل وجومى غير المعتاد بقلقى على صحة الطفل . . تمردت معدته على كل ألوان الطعام . كان من الميسور تفسير ذلك . . عندما طلب مراد الإذن بالانصراف وبينما كان يصافح الأيدى الكثيرة التى امتدت عبر المائدة ، تذكرت كيف كان ينصرف دائماً ويصفق الباب خلفه بعنف كأنه ينهره . . اعتدنا ونحن صبية أن نوبخه ونسخر منه لكنه لم يكف أبداً عن تلك العادة . . لا أدرى لم تذكرت تلك الجزئية البسيطة . . وللحظة خاطفة . بينما كان يغادر الغرفة بدأت آخذ أهبتى لصوت ارتطام الباب . اتجه بصرى مباشرة إلى طفلى . لكن صوت الارتطام لم يأت . . كان قد انصرف بعد أن أغلق الباب بهدوء

أفتقد سكينة النفس التى كانت تغمرنى فى زياراتى السابقة . والتى حافظت عليها مستميتاً طوال السنوات العشر الماضية . . ليس بوسعى أن أرضخ للمثبطات والعراقيل التى تصنعها « كارولين » فى طريق زياراتى . لست مخيراً فى هذا الأمر . . لو كان بوسعى التخلف لربحت من وراء ذلك مغانم كثيرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبسطها وضع حد لتلك الحرب غير المعلنة إزاء ارتباطى بالوطن . كيف غاب عنى أن أرتاب فى الحاحها علىّ لاصطحاب الولد . . (لن تعدو أن تكون شرقياً . تصدق الأمور إذا بدت منطقية) . . أفسدت عينا « مروان » كلّ المرئيات . . لم يخطر لى ببال . أن السنوات العشر . قدصنعت شيئاً ما . كان ينمو جوارى طوال الوقت . دون أن أتنبه إليه . . لو أن الأصوات من حولى كانت أقل حدة ! لو أن أمى ــ فقط ــ نظرت إلى بعينيها الطيبتين ! . لو أنه لم يكن هناك . على رأس المائدة يحدق فى الجلود السمراء والعيون المجهدة وفى نظرته الزجاجية ذلك المعنى الذى لم أكن قد وفقت بعد إلى صياغته فى كلمات . . . كان على أن أقوم فأرتمى على صدر أمى العجوز الطيبة . التى ما ضحكت من أعماق القلب . منذ أتيت . ومنذ نفر الولد من بين ذراعيها كالمهر الحرون المتباعد . . ظللت أتطلع طوال أسابيع أربعة . إلى اللحظة التى يستكن فيها الولد بين ذراعيها ويأنس . . ولم تأت تلك اللحظة أبداً . . لمَ اكتشفت فجأة . صورة أبى المعلقة فى صدر الغرفة . كأنها نبتت تواً ! . . وكأنها لم تكن هناك طوال الوقت . على مدى أربعين عاماً . كم كان أبى طيباً وعطوفاً !

كادت « كارولين » أن تنجح فى مسعاها . . قدرى أن أرتكب الحماقة تلو الأخرى . . كنت أجىء وأمضى . . أفرغ نفسى من محتواها الآسن . وأعود مشحوناً بالوجوه العزيزة المحبة . التقط صورة جديدة . بدلاً من تلك التى بهتت أشكالها . وبينما تحلق بى الطائرة . مقتحمة الكون الى عالمى الآخر . أوسّد رأسى وأروح فى رحلتى الطويلة . أسقط الرتوش الصغيرة غير المنمقة ، وأزيل كل ما لا يتسق وعالمى الآخر . . ما لم أنتبه إليه . هو أن الصورة الأخيرة رغماً عنى . ثابتة الرتوش . . صورة مأخوذة بعينى مروان . . ربما كان قد قدر لتلك الأسابيع الأربعة . أن تكون آخر الجسور كما أرادت « كارولين » . لولا أن التقيت بعينى « نوال » .

عن يمينى . كان « فريد » يسعفنى بالكلمة التى تراوغنى . وأنا أحاول أن أشرح له آخر إنجازاتى العلمية . . لم تكن تتوه منى الكلمات هكذا من قبل . . بينما كنت أتحدث . محاولا استخدام أبسط التعبيرات والمشاهدات . . اكتشفت أنى مشغول أكثر . بالمقارنة بين « فريد » حامل الدرجه العلمية الذى ينصت إلىّ . بينما اعتلت صغيرته « نوال » ركبتيه . تحدق فىّ بعينين متوثبتين . . وبين « فريد » آخر هو الذى احتفظت به دائماً فى ذاكرتى . . مازلت أذكره . يجلس بنفس الهيئة . يستمع إلى وأنا ألقنه أحد دروس الرياضيات فى مراحل دراسته الأولى . . كنت ألملم أطراف الحديث . وأنا مشغول أكثر بالبحث عن الصبى النابه خلف الشارب المصقول بعناية . . يكبر الآخرون بسرعة . خلال سنوات قليلة قادمة . . ستحمل طفلته « نوال » حقيبة المدرسة . وتصفف شعرها أمام المرآة . . وعندما ترانى . . لن تحدق فى وجه غريب متسائلة : (من يكون ؟)

سيأتى الغد . . وسوف أمضى بعيداً . لكنى لن أكف عن المجىء . مهما ضمّت إليها « كارولين » من حلفاء . . لا . . لن أسمح لأحد بأن يضيّعنى من ذاكرة « نوال »

الإسكندريّة : محسن محمد الطوخى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمرو محمد عبد الحميد

قصة

معزوفة للعطش القديم

الولد عليوه طويل ونحيف ، بوجهه الشائه آثار حرق قديم ، وعلى قدميه المفلطحتين يتشقق الطين الناشف الممتد إلى شعر الساقين الكثيف . كل غروب يجوب أزقة القرية مهرولا ، لينشر رائحة عرقه ، ويقطر لعابه النازل دوما من جانب فمه ، فيتضاحك الرجال ويتهامسون . العيال يعرفون ميعاده ، ينتظرونه بالحصى الأحمر الذى لا يؤثر رميه المباغت على ظهره الأحدب ويتصايحون بنشوة الانتصار . لا يعبأ بهم عليوة . يستمر فى هرولته قابضا على رغيف محشو بالمش والبصل ، قاصدا التبة العالية شرق القرية . وحالما يصل يكون صدره الموجوع قد أشتد نهجانه ، وتكون الشمس قد سلبت المدى أشعة قرصها المحمر ، ليبقى السكون فى باحة الحوش المفعم بالطراوة ورائحة الآخرة . يقلب الوجه الشائه بين الشاهد المقصود وبين أول أزقة القرية ، هناك فى الدرك الأسفل منه ، حيث تتصاعد قهقهات من دار تتعالى فوق كل الدور الطينية الواطئة . هم يتعشون الآن من لحم الأوز الأبيض الغارق فى السمن البلدى ، بينما يكركر الكبير نافثا دخانا أزرق من نار جيلته الفضية ، وفى الحجرات الواسعة تتحرق نسوة الدار شوقا للكر والفر ، للتلاقى والتنائى ، ينتظران أن تخبو جمرات النار جيلة مستحيلة إلى رماد يبرد ، يعلن خلو الدار من كبيرها لطلوعه فى تجواله الليلى المعتاد .

عليوه القط بسبعة أرواح ، اسم محفور على جدران الدار المتعالية ، وداء مستكين فى ذرات ترابها ، لم تفلح محاولات كثيرة لمحوه وتطهير الدار من رائحته . قالت القرية للكبير : حسبك ما فعلته لأبيه وأمه !؟ ، وقالت : هو مجذوب . . أيسترد هذيانه شيئا ؟! سكت الكبير ثم تمتم بانكسار : لقد رأيته فى المنام يروى الأرض بدمى .

* * *

فى باحة الحوش ، يمتد بصر عليوه إلى البريه ثم يرتد حسيرا ، يخطو إلى الشاهد المتآكل جيره الأبيض ، يحتضنه ، يتأمل بعينيه رسم الآيات القرآنية ، يحبثو على ركبتيه ، ويدور حوله ، يمتزج رغيف المش والبصل بالعرق النازف من الكف القابضة عليه ، يقضم بأسنانه الصفراء ، يرقب خروج أسراب النمل الأبيض من داخل القبر ، يزدرد اللقمة بلا مضغ حقيقى ويروح بعيدا ، إلى عوالم خاصة ، رحبة ، تعشش فى الرأس الملفوف بالشال الأخضر ، يهمهم بالكلام الذى لا ينطق ، ويقبض على حفنة من التراب الممزوج ببقايا العظام النخره ، ليذروها لهواء على أصص الصبار .

على الأرض المنبسطة ، تتناثر الحكايا أمام العتبات المتلاصقة ، تختلط بنقيق الضفادع تحت مشاعل الزيت « ستبدأ الليالى الملاح من البكور ! » ، « لهم أفراحهم ، ولنا مل البطون ! » ، « عظيم . عظيم ياعليوه ستغرق حتى شواشى دماغك فى طواجن المرق باللحوم الحمراء ! » . . وتتواصل حكايا السمر الصيفى أمام الدور الواطئة ، حتى يعلن خبو المشاعل وصياح الديكة عن الإيغال فى الليل ، وهناك من على التبة العالية ، ينزل شبح طويل ، يحرسه السكون وتستره العتامة ، يتدحرج بين الأشجار الداخلة فى زروع عطشى

خلف الدار المتعالية ، لا ينبح كلب ، لا يعوى ذئب ، تكف الديكة عن الصياح ، تلج البرية ساعة للهدوء . . فقط ، شهقة ممتدة من صدر سكنه الدخان الأزرق لمرأى ذلك الطويل الشاهر نصله ، الضاوى لمعانه رغم العتامة !

البلابسه - الإسماعيلية : عمرو محمد عبد الحميد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صلاح عشاف

قصة: المطر فجأة

ـ « كنت أظن أنك ربما لن تأتى ! » .

كان يتكىء إلى سور الحديقة القصير . خطا خارجاً من الطوار . رفع يده إلى الميدان الكبير وحاول أن يبدو مرحاً :

ـ « إننا لم نأخذ هذا المطر فى الاعتبار . » .

كانت قد أمطرت منذ قليل . بدت الناس والأشياء كما لو أنها اغتسلت الآن . راحا يتفاديان الحفر الصغيرة التى امتلأت بالماء . مضى يرقب خيوط الضوء التى انكسرت على أسطح الحفرات القريبة .

ـ « لماذا ظننت أننى لن آتى ؟ . » .

ـ « لا أعرف . لا أعرف بالضبط . » .

لاح ذلك الشحوب فى بياض وجهها المستدير وقد زال قليلاً : « لا أعرف . . أوقاتا أقول لنفسى إن ما أريده . . » والتفتت إليه : « لن يتحقق على نحو ما . » ورأى عينيها الكبيرتين تضيقان وهى تواصل : « إذا لم يتحقق على نحو آخر ! » وعادت إلى الأرض وقالت : أنت لا تنزل النهر مرتين أبداً . » لكنها تطلعت إلى الأمام وكان جانب وجهها يرتعش : « إن ما أريده شىء صعب . . صعب جداً ! » .

قال لها :

ـ « ذلك ليس صحيحاً على وجه من الوجوه . أشياؤنا التى نفعلها اليوم بقلب ميت هى نفس تلك الأشياء التى نفعلها فى اليوم التالى بقلب نابض . »

وشبك راحته بين أصابعها الدقيقة . وسألها : « هل لديك تفسير ؟ . . » .

سرت برودتها إليه لفترة . أفلتت يدها الصغيرة بارتجافة مفاجئة . خبأتها داخل جيب معطفها الأرجوانى . وصعدت الطور .

كانا يتقدمان فى إتجاه القناة ، تحت صف المصابيح القوية العالية . أخرج علبة سجائره وقال :

ـ « قلت لك ذلك من قبل . ربما قلته . وأنت لا تريدين أن تصدقى . . » .

هدأت خطواتهما رويداً ، وهما يدخلان تحت سقيفه المرساة المرتفعة . وكان الهواء قد استحال نسيماً رقيقاً الآن . حاول أن يتطلع إلى وجهها ، فلم يرها فى وقفتها تلك . كانت تنحرف بعينيها فى الماء بعيداً ، وقد أمسكت بكلتا راحتيها فى الحاجز الحديدى البارد ، المطلى بلون الفضة .

وفى البعيد . راح يجتذ به ألق حبات الضوء الخافت التى ارتعشت على طول الجانب الآخر .

لكنه رفع وجهه إلى السماء ، وراح يفتش عن نجمة وحيدة وراء تلك النجمات . « نجمته الصغيرة ، البعيدة التى يراها وحده وتومض فى عينيه » . هتف باسمها فاستدارت إليه :

ـ « هل قلت لك من قبل أن الجزيرة التى كانت هنا . . » .

ـ « لم تكن هناك جزيرة فى أى وقت ! » .

رأت شيئاً يلوح فى عينيه عندما قاطعته ، راح يقترب من وجهها واستشعرت دفء أنفاسه :

ـ « من قال لك هذا ؟ . . »

لكنها انفلتت . تخطته ورفعت صوتها قليلاً :

ـ « لماذا تحاول أن تجعلنى أصدق أن جزيرة كانت هناك ؟ . . »

ـ « كانت هناك جزيرة بالفعل وقلت لك إن . . . » .

ـ « حتى لو كانت هناك جزيرة وكنت تحلم أن تبنى عليها بيتك . فما شأنى أنا ؟ »

نفضت راحتيها ، ووارتهما فى جيبى معطفها الصوفى الثقيل . بينما تراجعت فى اتجاه الحاجز البارد . وسكنت وكان الجانب الآخر من القناة ، الذى تركته المعدية الكبيرة الآن ، يلوح فى البعيد وكأنه غرق فى غلالة من ضوء شفيف .

وحين تنبه إليها أخيراً . رأى كتفيها العريضتين تعلوان فى انتقاضة مرتعشة ، وقد راحت تنتحب فى الظلام دون صوت .

ـ « هل تركب تلك المعدية إذن ؟ . . »

ـ « لا . أريد أن أقول لك ما أقوله لنفسى دائماً وأنصرف . . » .

سارا .

كانا ينتهيان على أسفلت الشوارع النظيفة إلى الميدان الكبير .

ارتعشت نسمة حادة ، فيما سقطت قطرة أو قطرتان .

وحين تطلع إليها رأى فى وجهها شيئاً عرفه تماماً .

كان عليها أن تقول ، أخيراً ، فى المطر الذى راح يتراسل الآن . فجأة . .

بور سعيد : صلاح عساف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية

الخوف والصمت

أنور جعفر

الشخصيات

: **عبد الله** ..... جندى معاصر
صابر ..... جندى معاصر
سعد الدين الكيال أحد القضاه بالعصر المملوكى
أبو الأرقم مخيمر ... معاونه فى دار العدل
طاش باى الناشف آمر شرطة القاهرة فى ذلك العصر
أمين الديوان السلطانى أحد رجال السلطان أبو الهيجاء
متولى دار الكتب السلطانية أحد رجال السلطان أبو الهيجاء

الزمان : قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣
المكان ١ أحد المواقع العسكرية .
٢ ــ دار العدل بالقاهرة فى العصر المملوكى

---

(١)

(فى أحد خنادق الجنود بموقع عسكرى)

صابر : ما بك ياعبد الله ولماذا تحبس نفسك دوما فى هذا الجحر ؟

عبد الله : أيام الجندية طالت ياصابر والشوق إلى الأهل يفتت كبدى .

صابر : لست وحدك من يشتاق إلى الأهل ، كلنا يمضه الشوق إليهم ولكن ماذا نملك أن نفعل ؟ ما باليد حيلة ، فاصبر .

عبد الله : لقد ثقلت وطأة أحزانى ، باتت تخنقنى وتكدر صفوى فإلام الصبر ؟

صابر : هانت ياعبد الله ، أما قالوا هى سنة الحسم ؟

عبد الله : بل هى سنة السأم ، ها هى ذى سنة الحسم المزعومة توشك أن ترحل وما لاحت فى الأفق بارقة أمل .

صابر : على أية حال ما السأم علينا بجديد ، شىء واعتدناه جميعا ، فى الموقع تثاقل أيام الجند ، ووسط الأهل تفر سراعا كالبرق ، لا تحزن . سنة أخرى تمر ونعود إلى الأهل أو نوغل فى الغربة بحثا عن سعة فى الرزق .

عبد الله : لا ياصابر أنا لا أحلم مثلك بالترحال ، ولذا لن أوغل فى الغربة إن سُرّحت من الخدمة ، بل سأعود إلى الكفر لأزرع أرضى ، لكنى ـ والحق أقول ـ لا أبغى ترك الجندية قبل المعركة وتحرير الأرض .

صابر : لقد احترت معك ! مادام الأمر كذلك فلماذا شلال الحزن المتدفق هذا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الله : ما يحزننى ياصابر هو تركى لسعادة فى البلدة من شهر وهى على وشك الوضع وإلى الآن لا أعرف ماتمّ .

صابر : للخبر السار أو السيىء أجنحة تحمله دوما ياعبد الله فلا تقلق .

عبد الله : منذ ليال وأنا فى صحوى ومنامى أتوجس شرا حتى كدت أجن .

صابر : أهذا تحبس نفسك فى هذا الجحر مع تلك الكتب الضخمة ؟

عبد الله : أفر من الحاضر ساعات مع ابن تغرى بردى وابن اياس والجبرتى حتى لا أفقد عقلى .

صابر : أخشى ما أخشاه أن تفقد عقلك معهم بالفعل !

عبد الله : لكنك لا تعرفهم ، فلماذا تكرههم ؟

صابر : أنا لا أعرفهم حقا ، ولا أهتم بأن أعرفهم . ما أهتم به حقا هو حالك أنت ، إذ لا أفهم لمَ رغم همومك تلك تصدع رأسك مع هذا الغم ؟

عبد الله : مهما أوضحت فلن تفهم سر استغراقى فى هذا الأمر . لكنى سأحاول أن أشرح لك ما أومن به . الزمن الماضى ياصابر يتنفس فى الزمن الحاضر شئنا أم أبينا ، والزمن الماضى والحاضر ينسجان معا خيوط المستقبل ، ولهذا إن لم أفهم أمسى لن أفهم يومى ولن أتمكن من تشكيل ملامح دنيا الغد .

صابر : تتكلم بالألغاز كدأبك

عبد الله : ألم أقل لك إنك لن تفهم سر استغراقى فى هذا الأمر .

صابر : ياصديقى ، الماضى ذهب بناسه ، والحاضر نصنعه نحن ، والغد يصنعه الأبناء كما يشاءون ، فلماذا نشغل أنفسنا بالموتى ، ولماذا نحمل هم من لم يولد بعد ، وبين الأمس والغد ننسى أن نحيا اليوم ؟

عبد الله : تلك أنانية ذميمة ، على أية حال . لكل سلوته ياصابر ، فمنذ النشأة الأولى فى « كفر الشرفا » واصرار أبى أن أبدأ بحفظ القرآن ، والأحرف والكلمات هى كل حياتى .

صابر : ولماذا لا تتسلى كالخلق ؟

عبد الله : تقصد تسلية المقهى بجوار الجسر ؟

صابر : وماذا فى هذا ؟ ستشاهد « فيلم السهرة » أو تلعب « طاولة » .

عبد الله : تعلم ياصابر أنى من أخيب خلق الله فى هذه الألعاب .

صابر : تعال معى ، ليس عليك سوى الفرجة والتشجيع وعلىّ اللعب وكسب الأشواط .

عبد الله : معذرة ياصابر ، إذهب أنت إذا شئت ، إذ أنى الليلة متعب ، أشعر بصداع ودوار لا أدرى سببه .

صابر : أنت المخطىء أمضيت نهارك تحت الشمس تنظف أسلحة الموقع ، نصحتك أن تتحرى الظل فلم تسمع نصحى .

عبد الله : ما أظنها إلاّ بوادر ضربة شمس ياصابر !

صابر : لا ليس إلى هذا الحد . تعال معى ، السير إلى المقهى وعدة أكواب من شاى « حميدان » كفيلان بإزالة ما بك .

عبد الله : بل اذهب أنت ولكن لا تتأخر ، فدور حراستك الليلة - إن لم تكن تعلم - يبدأ فى العاشرة تماما .

صابر : مادمت سأذهب وحدى فالبركة فيك .

عبد الله : ماذا تعنى ؟

صابر : إنى أعتمد على كرمك لتحلّ محلى .

عبد الله : كرمى أم عبطى ؟

صابر : لا . . بل كرمك ياعبد الله .

عبد الله : ظننتك ستقول كدأبك . . سيّان .

صابر : ياعبد الله المتجهم دوما ، هذا الجو الدائم مفسدة للنفس ولهذا أمزح أحيانا معك لتنفرج أساريرك .

عبد الله : أعرف أنك تمزح .

صابر : مادمت عرفت ، هل ستحل محلى ؟

عبد الله : لا أملك إلا هذا .

صابر : شكرا لك .

عبد الله : لكن مهلا ياصابر . ماذا أفعل لو جاء الجاويش مخيمر ليفتش ؟

صابر : لن يحضر ، إذ حصل على إذن « بإجازة » .

عبد الله : والضابط سعد الدين ؟

صابر : لا تحمل هما ، فهو الليلة مشغول بعروسه ، أنسيت أن الليلة أول شعبان ؟

عبد الله : لديك إجابتك الجاهزة لكل سؤال ، أحيانا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحسدك على حضور بديهتك المذهل هذا .

صابر : أنا « فى الخدمة » ياعبد الله فَأْمُر .

عبد الله : اسمع ياصابر ، إن حدث لسوء الحظ أن انقض علينا تفتيش ما لن أكذب .

صابر : لا تكذب ، لكن فى نفس الوقت لا تقل الصدق !

عبد الله : وماذا أفعل ؟ أأضلل ؟

صابر : قل لم أره . كان هنا من لحظة . ودَع الباقى لى ! فسيسترها المولى إن شاء الله .

عبد الله : أمرك ياعريف السوء !

صابر : احذر ياعبد الله أن يأخذك ابن اياس هذا أو أحد السادة اصحاب الكتب الضخمة معه إلى أغوار الزمن الغابر فتتوه وتنسى العاشرة مساء .

عبد الله : لا تخف ، سأكون حريصا كل الحرص على تغطية حراستك الليلة . هذا وعد

(يخرج صابر)

عبد الله : الآن وقد خرج المزعج ، ليس أمامى إلا كتبى . أضبط الساعة أولاً على العاشرة . .

(يتناول « المنبه » ويضبطه، ثم يتناول أحد كتبه ، يفتحه ، يقرأ منه بضعة أسطر ، ثم يغلقه ويضعه مكانه)

عبد الله : معذرة ياابن اياس ، لن أسامرك الليلة وتسامرنى ، فأنا الليلة حقا متعب وجبال الهم تحاصرنى والشوق إلى الأحباب بكفر الشرفاء يفتت كبدى .

(يذرع المكان فى قلق لبرهة ، يهم خلالها بالعودة إلى كتابه ولكنه يحجم)

عبد الله : ليل المهموم طويل خانق ، والوقت ثقيل الوطأة فى ثقل الرمل المبتل . (يتجه إلى سريره ، يتمدد عليه يضع راحتيه تحت رأسه ، يحدق فى سقف الملجأ . . إظلام تدريجى يحل محله ضوء أزرق ثابت فى البداية ثم متقطع مع بداية ظهور أشباح وخيالات جنود من العصر المملوكى تلتف حوله فى شبه حلقة تقترب منه شيئا فشيئا ، تمد أيديها إليه ، عبد الله ينهض فى بطء شديد ، الأشباح تقبض عليه وتكبله بالأصفاد وهو يقاوم - تخرج به)

(اظلام)

(٢)

(فى دار العدل)

القاضى : بمعرفتى أنا سعد الدين بن عبد الحميد الكيال القاضى وأمانة سر معاوننا فى دار العدل أبو الأرقم مخيمر نبدأ هذه الجلسة . . أين المتهم ؟

المعاون : ماثل أمامكم ياموالانا القاضى .

القاضى : اقترب ياهذا . ما اسمك وما صناعتك ؟

عبد الله : (لايرد)

المعاون : ألم تسمع ياهذا ؟

عبد الله : سمعت .

المعاون : إذن لم لا تقول لمولانا القاضى من أنت وما صناعتك ؟

عبد الله : أنا صفر من أصفار الوادى ، ظل باهت تمحوه الظلمة .

القاضى : ما هذا اللغو الفارغ ؟

عبد الله : صدقنى ياموالانا القاضى أنا أحد النكرات ، إنسان مجهول الكنية والاسم ، لم أذكر فى نقش أو بردية أو سفر من أسفار التاريخ ، إذ أن نقوش معابدنا والبرديات وأسفار التاريخ لا تعنى إلا بالحكام .

القاضى : ياهذا ، لقد سبق أن حاكمت كثيرا من أمثالك محترفى الشغب ومتعاطى الثورة ضد السلطان ، ولهذا أعرف ولعكم بالألفاظ الرنانة والكلمات الطنانة . أعرف ما تمتازون به من مقدرة فائقة فى فن التعمية وفى فن التضليل ، ولهذا لابد أن تعلم أن مراوغتك تلك لن تجدى معى نفعا ، والأفضل لك أن تتكلم حتى لا نلجأ للعنف ! والآن ما اسمك ؟ إذ لا شىء بلا اسم !

عبد الله : ولماذا الإصرار على معرفة الاسم ؟

المعاون : الاسم ضرورة ، شرط لازم لاستيفاء الأوراق .

عبد الله : أية أوراق ؟

المعاون : أوراق محاكمتك هذه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الله : لكنى لا أعرف علام أحاكم ؟

القاضى : التهم كثيرة .

عبد الله : هل لى أن أعرفها ؟

القاضى : هذا من حقك .

المعاون : أنت متهم بالتحريض على الثورة ضد السلطان ومعاداة الحكام وحيازة أسلحة خطرة رغم أوامر مولانا السلطان بحظر حيازة أى سلاح .

عبد الله : ثلاث داوٍ يكفى أهونها للشنق بميدان عام .

القاضى : ياهذا ، هل أنت غريب عن هذه البلدة حتى لا تعرف أين يتم الشنق هنا ؟

عبد الله : ربما يامولانا القاضى ؛ فدنياى غير دنياكم ، وزمانى غير زمانكم .

القاضى : لعلك درويش يتفلسف . ياهذا . . الشنق يتم هنا وفقا لتقاليد الشنق المرعية منذ قرون على باب زويله ، ما لم يأمر مولانا السلطان بتنفيذ الشنق على أحد الأبواب الأخرى أو داخل أسوار القلعة لدواعى الأمن العام . والآن وقد عرفت ، ما اسمك ؟

عبد الله : حقا لا أدرى .

القاضى : إلى الآن أنا أتكلم بلسانى وأعاملك بلطف زائد ورحابة صدر ، لكن لنا طرقا أخرى لاستخلاص الأجوبة المطلوبة منك ، فتعاون معنا حتى لا نضطر إليها ، إذ أنى شخصيا أكره هذه الطرق الوحشية لاستخلاص المعلومات من المتهمين . تكلم ياهذا وقل ما اسمك !

عبد الله : يامولانا القاضى ، لأجنبك الجهد وأتحاشى غضبك ، أقترح عليك أن تختر لى اسما من أسماء الفقراء ، أن تختر لى ما يحلو لك من أسماء ، إذ ما فائدة الأسماء ، كل الأسماء فى زمن لا قيمة فيه أبدا للإنسان ؟

القاضى : ولم لا تختار أنت لنفسك اسما فتريح وترتاح ؟

عبد الله : إن كنت توافق ، فأنا أختار الاسم الشائع فى الأسرة . .

القاضى : ماذا ؟

عبد الله : عبد الله

القاضى : والأب ؟

عبد الله : عبد الله

القاضى : والجد ؟

عبد الله : عبد الله .

القاضى : حسن جدا ، سنك ؟

عبد الله : لا أدرى حقا كم سنة عشت ! لكن يبدو أ قرونا ولّت منذ ولدت !

القاضى : ثلاثون سنة ، أين ولدت ؟

عبد الله : فى كفر الشرفاء ، فى بيت من طين النهر شببه عن الطوق ، فعشقت النهر وعشقت الأرض السمراء الأم .

القاضى : وأين تعيش ؟

عبد الله : فى قرية أو عزبة أو كفر .

القاضى : الآن هنا فى القاهرة أين تعيش ؟

عبد الله : الثابت أنى لا أحيا فى قصر .

القاضى : هذا معلوم بالطبع .

عبد الله : أسكن فى بيت متداع مزدحم كالسوق بإحدى الحارات العفنة .

القاضى : ما صناعتك ؟

عبد الله : لا صنعة لى إلا الكلمة والحرف .

القاضى : ومن أين تعيش ؟

عبد الله : قراريط من طرح النهر نزرعها خضرا لتقيم الأود .

القاضى : ما قولك فى التهم المنسوبة اليك ؟

عبد الله : لا أدرى . ما لى أنا والسلطان ؟ ما لى أنا ونظام الحكم !

القاضى : إنكارك هذا لا قيمة له .

عبد الله : صدقنى يامولانا القاضى لا أعرف شيئا عن هذه التهم جميعا .

القاضى : أدلّة إجرامك ثابتة وشهود جريمتك هنا خلف الباب . ولهذا أنصحك بأن تتكلم ، تقر وتعترف بذنبك ، كى أنهى هذه الجلسة ، إذ أن أمامى مأدبة عند المحتسب ، وبعد المأدبة سأسهر عند الوالى ، ولهذا لا أملك وقتا لأضيعه فى الثرثرة الجوفاء معك .

عبد الله : ولكنى لا أذكر يامولانا القاضى أنى حرضت على الثورة ضد السلطان و لاأذكر أنى يوما عاديت الحكام . وأوكد لك أنى لا أملك أية أسلحة يمنعها القانون .

القاضى : تذكر أو لا تذكر . ذلك شىء لا يعنينا . ثبوت التهم عليك أمر مفروغ منه . اسمع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يـاهذا ، لست بـأول من يتهم بهذه التهم ، ولن تكون آخر من سيتهم بها أو بما هو أخطر منهـا ، دومـا تلك هى الحـال مـادام هنـاك سلاطين ورعاع .

عبد الله : ولكن هـل عمـل السلطة أن تتهم النـاس جزافا ؟

القاضى : لا ياهذا ، السلطة لا تتهم الناس جزافـا ، هى تعمل بالحكمة المأثورة : لا دخان بـلا نار . اسمع ، لكى تكون على بينة من أمرك ولكى ألحق بالمأدبة وبالسهـرة ، سنواجهـك الآن بشهـود الإثبات ، وأولهم آمـر شـرطـة القاهرة الأمير طاش باى الناشف . . تعـرفه بـالطبـع ؟ سيقرأ تقـريـر كبـير البصـاصـين بشـأنك ، وأنصحـك من الآن ، ألا تحاول الطعن أو التشكيك فى صحة ما جاء بتقريـر كبير البصاصين ، إذ لا فائدة ترجى من هذا أو ذاك ، لأن القاعدة المرعية منذ قرون هى أن تقارير الشرطة لا تكذب أبدا .

عبد الله : مـا دام الأمر كـذلك فلمـاذا التحقيق وتحبير الأوراق ووجع القلب ؟

القاضى : يـاهذا ، رغم الخبث المتفجـر فى عينيـك ، شأنك فى هذا شأن جميع القتلة والثوار ، فإنك مازلت قليل التجربة صغير السن ولن تفهم أبدا حكمة إصرار السلطان ، رعاه الله ، على إجراء الاستجواب وتحبـير الأوراق بكلمات لا تقـرأ وتضخم أوراق التحقيـق إلى حـد مضجر .

عبد الله : الحق أقول إنى لا أرى فى هذا أية حكمة اللهم إلا إملال قضاة العدل حتى تشعر بالعجز أمام ركام الأوراق فلا تقرأ الا تقرير الشرطة فهو الأقصر وهو المكتوب بخط يقرأ .

القاضى : يبدو أنك إنسان خطر جدا ، كيف توصلت لهذا ؟ أنت ذكى وفصيح ، ولكن ذلك شىء سىء بالنسبة لك .

عبد الله : لماذا يامولانا القاضى ؟

القاضى : نصيحة مشفق ، لكى تحيا فى هذا العصر لابد أن تتغابى دوما ، أن تتصنع بعض الجهل . ولكن على أية حال فات أوان النصح الآن ، إذ أنك بعد ثلاث ليال مع أول صيحة ديك فى العتمة قبل الفجر ستكون على باب زويلة ، ضيفـا يتـأرجـح ، يستلفت أنـظار الـرائـح والغادى .

عبد الله : معنى هذا ياموانا القاضى أن الحكم تقرر !

القاضى : وبصم وختم بديوان القلعة بيد السلطان .

عبد الله : إذن ما قيمة هذا كله ؟

القاضى : تحبير الأوراق وسماع شهـود الإثبات وعقـد الجلسات وفض الجلسات وما أشبه . . مجرد اجراء شكلى يصر عليه السلطان حتى لا نتهم من العلماء والفقهاء وسفراء الافرنج باهمجية والوحشية والجهل الخ الخ . . والآن . . يأبا الأرقم . . استدع لنا الشاهد الأول أمر شرطة القاهرة

المعاون : السيد طاش باى الناشف الشاهد الأول .

(يدخل آمر شرطة القاهرة)

القاضى : (متمتما) اجراء شكلى آخر ، اقترب ياسيد طاش باى وضع يدك على كتاب الله وأقسم اليمين .

آمر الشرطة : أقسم بالله العظيم عـلى قول الحق ولا شىء سوى الحق .

القاضى : هل يمكن ياسيد طاش باى أن تقرأ لنـا أولا تقرير كبـير البصاصـين عن ملابسـات هذه القضية .

آمر الشرطة : (يخـرج أوراقـا من جيبـه) يقـول كبـير البصاصين عين السلطان الساهـرة على أمن رعيته وبلاده ، فى غرة شعبان فى العام الثانى من سلطنة الملك المنصور أبو الهيجاء سعيـد السعداء رعاه الله قام جند الحرس السلطانى بـالقبض عـلى شـاب رث الهيئـة مجهـول الشخصية يتوسد خرجا بجوار السور البحرى لقصر السلطان ، كان الشاب المذكور يتصنع نوما ويغط غطيطا أزعج كل الحراس .

عبد الله : لا أنكـر أنى نمت بجـانب أحـد الأسـوار ولكن . .

القاضى : لا تتعجل فى الإدلاء بأقوالك قبل سماع بقية ما جاء بتقرير الشرطة يا هذا .

آمر الشرطة : وبتفتيش الشاب المذكور ، عثرنـا معه عـلى أشياء خطيرة تدل بما لا يدع مجالا للشك أن المذكور أداة مؤامرة كبرى تستهدف أمن الأمة وحياة السلطان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الله : أشياء خطيرة ؟

آمر الشرطة : سيف وكتاب . . وكراسة منشورات ثورية .

عبد الله : سيف صدىء وقديم .

آمر الشرطة : نعرف أنه سيف صدىء وقديم ، لكن الخبراء بديوان الجند أقروا بالإجماع ما توصلت اليه من أنه ليس هناك ما هو أخطر من طعنة سيف صدىء رقديم .

(يطوى أوراقه ويضعها فى جيبه)

القاضى : شكرا لك ياآمر الشرطة ، تفضل بالجلوس فقد نحتاج إلى الاسترشاد برأيك فى أمر آخر .

آمر الشرطة : أنا فى الخدمة ياموﻻنا القاضى . حفظ الله السلطان .

(لـــس)

القاضى : ياعبد الله .

عبد الله : نعم ياموﻻنا القاضى .

القاضى : لمن هـذا السيف ؟ وكيف حصلت عليه ؟ ولماذا كان بخرجك وقت القبض عليك ؟ ومن أغراك بحمله ؟ ولماذا ؟ أجب .

عبد الله : هذا السيف كان لجدٍّ لى .

القاضى : ما اسمه ؟

عبد الله : لا أعرف ، ولا أدرى أيهم كان ، أخبرنى بعض شيوخ الكفر أنه كان رأس الأسرة ، ولا يدرون من أين نزح ، لعله كان الثامن فى سلسلة الأسلاف أو السابع لا أدرى بالتحديد .

القاضى : أكان هو الآخر مثلك يتعاطى الثورة ضد السلطة ؟

القاضى : بل كان إماما فى مسجد كفر الشرفاء .

آمر الشرطة : (يهب واقفا) إمام فى مسجد قرية يحمل سيفا ؟ هل هذا أمر يعقل ؟

عبد الله : ولم لا ؟ أما كان الأئمة فى الزمان الغابر فرسانا ؟

القاضى : ذلك زمن ولىّ . الآن لكل صنعته وطرائق عيشه .

عبد الله : على أية حال لم يكن الجد الثامن هذا أحد الفرسان ولا كان من الثوار

آمر الشرطة : لماذا إذن كان يحمل هذا السيف ؟ أكان من المنسر والشطار بعد صلاة العشاء أم ماذا ؟

عبد الله : لم يكن السيف بحوزته لطعان ونزال ، بل كان مجرد حلية ، أداة من أدوات الزينة ، ولهذا لم يكن يخرج به الا فى أيام الجمع وأيام الأعياد .

القاضى : ولماذا بالذات أيام الجمع وأيام الأعياد ؟

عبد الله : سألت شيوخ الكفر فقالوا ، إنهم سمعوا من بعض الأجداد ، أن الجد الثامن هذا كان يحارب الفرنجة فى دمياط ، ولما شاخ وعاد إلى الكفر ، كان حريصا كل الحرص على أن يرقى المنبر وبيده السيف ، فإذا ماخطب وهدد بالويل أعداء الأمة والملة ، لوح بالسيف يمينا ويسارا وكأنه بالسيف يقطّ رقاب الأعداء .

القاضى : ولماذا ضبطك الجند وبحوزتك السيف وما أنت إمام فى مسجد ؟ وما كانت غرة شعبان يوما من أيام الجمع أو الأعياد .

عبد الله : هو ميراث أورثنيه الآباء ، حرصت عليه طويلا للذكرى .

القاضى : وهل الذكرى تحمل فى خرج ويطاف بها فى الطرقات وتتوسدها بجوار الأسوار . . والأسوار السلطانية بالذات ؟

عبد الله : أنا لم أخرج بالسيف الا فى ذاك اليوم .

آمر الشرطة : بالطبع ، لتغتال به مولانا السلطان !

عبد الله : بل لأبيعه فى سوق المهمل .

القاضى : لماذا ؟ اما كنت حريصا كل الحرص عليه ؟

عبد الله : احتجت إلى ثمنه

القاضى : تبدّد ذكرى الجد الثامن . . من أجل دراهم ؟

عبد الله : فكرت قليلا ، ما قيمة ذكرى لا تغنى ؟ ، ولماذا نحتفظ بأشياء لمجرد أن الأسلاف كانوا يعتزون بها ؟ وعلى الفور حزمت الأمر ، فخرجت به وأنا أنوى بيعه لكننى لم أفلح .

القاضى : خاف التجار ولا شك خطورة ما تعرض .

عبد الله : بل خفت أنا .

القاضى : لماذا ؟

عبد الله : خيّل لى أن الجد الثامن يترصد خطوى ، يتبعنى ويلازمنى كالظل فى كل مكان أرتاده ، كان يراقبنى ، يرقبنى بعيون يتطاير منها شرر الغيظ ، وكان يؤنبنى فى صمت أبلغ من أى كلام ، ظل كذلك حتى هدنى التعب فنمت بجانب أحد الأسوار وما شعرت بشىء إلا والجند تطوقنى وتكبلنى بالأصفاد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاضى : حسن جدا ، وما قولك فى الكتاب ؟

عبد الله : أى كتاب ؟

القاضى : ذاك السفر المتضخم بالأوراق المتآكلة الصفراء .

عبد الله : هو كتاب « الإمتاع والمؤانسة » . . لأبى حيان . .

القاضى : مكتوب هذا على الغلاف بالفعل . . لكن للشرطة رأى آخر فيما هو بداخل السفر . .

آمر الشرطة : ما هو بمؤانسة أو إمتاع على الإطلاق ، ما هو إلا سفر سمج لا يحوى إلا ألغازاً ومعميات ، أنا شخصيا لم أفهم حرفا منه . .

عبد الله : الامتاع كتاب تراث لا يجهله أحد من أهل المعرفة وأهل العلم .

القاضى : واهاً لكم ياأهل المعرفة وأهل العلم ! تظنون أنكم الصفوة وأن أسفاركم ومعارفكم هى غاية المراد من رب العباد ، وتجهلون دبيب الحياة ووقعها من حولكم ، تتحولون إلى جزر منفصلة كل يعكف على ذاته فتضعفون ويتلاعب بكم الأوغاد . أما فكرتم يوما فى حسن استخدام معارفكم ؟

آمر الشرطة : عفوا ياموانا . . لم أفهم . .

القاضى : ياطاش باى . . قل لهذا الأبله : رأى رجال الاستنباط الجهابذة بديوان الشرطة فى سِفْر الامتاع وما دار بشأن هذا الكتاب فى الديوان العالى .

آمر الشرطة : الحق أقول : لقد سبب هذا السفر فى ديوان الشرطة قلقا لاحد له إذ دار نقاش حاد حوله دام لساعات ، وبعد الجهد قرر متولى دائرة الاستنباط ، أن السفر الغامض هذا ما هو إلا قاموس للمعلومات الثورية والخطط السرية فى كيفية إشعال الفتن الأهلية والثورات ، مكتوب بحروف عربية إمعانا فى تضليل الشرطة .

عبد الله : لا حول ولا قوة الا بالله !

آمر الشرطة : ولهذا أمرت على الفور برفع السفر إلى الديوان العالى بالأعتاب السلطانية ليرى فيه الرأى الأمثل ، إذ أن السلطان رعاه الله كما نعلم خزانة علم ومعارف لا تنفد ، بل هو أكثر علما وذكاء من كل رجال الاستنباط بدولته .

القاضى : بالطبع . . والا ما جلس على العرش ! شكرا لك ياآمر الشرطة يمكنك الانصراف الآن .

آمر الشرطة : أنا فى الخدمة ياموانا القاضى . حفظ الله السلطان .

القاضى : (اثناء خروج آمر الشرطة) ياأبا الأرقم استدع لنا الشاهد الثانى أمين الديوان السلطانى لنعرف منه رأى السلطان فى سفر الإمتاع .

(يخرج آمر الشرطة)

المعاون : أمين الديوان السلطانى . .

(يدخل أمين الديوان السلطانى)

القاضى : ياأمين الديوان ، هل يمكن أن نعرف منك رأى السلطان رعاه الله فى سفر الامتاع الذى رفعته الشرطة للأعتاب السلطانية ليرى فيه الرأى ؟

أمين الديوان : أنا فى الخدمة ياموانا القاضى . لقد نظر موانا السلطان أبو الهيجاء سعيد السعداء الأمجد رعاه الله وأبقاه ، إلى السفر مجرد نظرة كانت كافية للإلمام بما به من شر وبلاء ، ولهذا أمر على الفور بأن يحرق فى الحال أمام العامة بالنفط ، كما طلب التحقيق العاجل مع متولى أمر ثغور الدولة عن سبب تسرب هذه الأوبئة إلى وادينا الآمن .

القاضى : ويجرى التحقيق الآن بالفعل . ثم ماذا ياأمين الديوان ؟

أمين الديوان : فى نفس الليلة استدعانى موانا السلطان وأملانى مرسوما يقضى . . أن يمنع منعا باتا من اليوم جنس صناعة وتجارة وحيازة وقراءة أى من أنواع الكتب بأنحاء الدولة غير الكتب المصرح بها والمعتمدة بخاتم الديوان السلطانى .

القاضى : لماذا ؟

أمين الديوان : لأن الكتب ـ وقد كثر الوضاع والنساخ ـ باتت خطرا ماحقا وسموما حاقدة تستهدف هدم أصالتنا المتوارثة عن الأسلاف وهى كلها الآن سواء فى سوء النية والقصد .

عبد الله : حتى لو كانت كتب تراث تداولها وتعلم منها الأسلاف !

أمين الديوان : حتى لو كانت امتاعا ومؤانسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاضى : شكرا لك ياأمين الديوا ن السلطانى .

أمين الديوان : أنا فى الخدمة يامولانا القاضى . حفظ الله السلطان .

(يخـــرج)

القاضى : والآن ، ما قولك فى الكراسة ؟

عبد الله : هى دفتر أشعارى .

القاضى : دفتر أشعارك تخفيه بين ملابسك وبين اللحم !

عبد الله : كلماتى أحرص عليها كل الحرص .

القاضى : هى كلمات نازيه لا أشعار .

عبد الله : أعرف أن بكلماتى بعض الحدة ، إذ هى نبض الناس .

القاضى : الرعاع ؟

عبد الله : بل الشعب الغاضب .

القاضى : ومالك وهدير الناس ؟

عبد الله : أسجله فى أوراقى ، فأنا شاعر ، رسالتى أن أغنى للناس ، أترنم للحرية .

القاضى : تترنم ضد السلطة والحكم

عبد الله : لا ذكر لسلطة أو حكم فى أشعارى

القاضى : حقا لا ذكر لسلطة أو حكم فى أشعارك ، لكنا ـ ولأناً نعرف خبث الثوار وحيطتهم ـ عرضنا هذه الأشعار على متولى دار الكتب السلطانية . . ياأبا الأرقم استدع لنا الشيخ شهاب بن بقر . . متولى دار الكتب السلطانية

المعاون : متولى دار الكتب السلطانية الشيخ شهاب . .

(يدخل متولى دار الكتب السلطانية)

القاضى : ياشيخ شهاب ، ما رأيك فى هذه الأشعار الواردة بهذه الكراسة ؟

شهاب : معاذ الله أن أمسها يامولانا القاضى اذ هى شر خالص ، رجس من عمل الشيطان !

القاضى : ياشيخ شهاب ، إنا نسألك الرأى ، هل حقا هذه الأشعار منشورات ثورية أم هى مجرد أشعار وخواطر لشاب أبله ، درويش يتفلسف ؟

شهاب : هى شر خالص ، لأن الشاعر فى هذه الأشعار « يلسن » ضد السلطان ، ونظام الحكم ، بطريق الرمز ، الهمس ، ولكنه رمز وهمس لا يغيب عن فطنة من أدام النظر فى الكتب ، واعتاد قراءة الأسطر وما بين الأسطر ، الشاعر يامولانا القاضى فى هذه الأشعار يعادى الحكام ، يكره نفسه والناس ، يهاجم نظم الحكم المعمول بها منذ قرون وقرون ، يسب الدهر ، وما يسب الدهر فى العادة إلا الزنديق الكافر .

القاضى : كنا نود أن نعرف بالتحديد ماذا قال ؟

شهاب : لا أذكر يامولانا كلماته بالحرف الواحد ، إذ أنى لم أقرأ كل الكراسة ، ولكن على أية حال يامولانا القاضى مازال بذاكرتى بعض كلمات من أقوال المجرم ، وهو كلام كالألغاز لم أفهم معناه . .

القاضى : ماذا قال ؟

شهاب : يقول ما معناه فى زمن الخوف لبسنا أردية الرياء والنفاق والمخاتلة ، وفى زمن الصمت غرسنا بذور الكره والبغض والأنانية . . فى تلك الأزمنة الموبوءة تسربلنا بالسلبية والجبن ، حتى العقلاء وأهل الفكر كانوا أكثر جبنا من أولاد الحارات استمرأنا الوحدة والعزلة والغربة وأدرنا الظهر لما يجرى فى الدار . .

القاضى : كلام غريب حقا . .

شهاب : ويقول . . فى أزمنة الخوف والصمت لا يأبه أحد للمصلحة العامة للأمة ، ولهذا تذبل الزهور وتبور الحقول وتصاب بالشلل التام منافع كل الناس وتسود الفوضى ويهددنا الجوع . .

فى أزمنة الخوف والصمت ، لم نبدع علما أو فنا أو عملا ذا قيمة ينفع أمتنا ، بل كنا نضحك ملء الأشداق على كلمات بلهاء ، نغرق فى الأوهام ، ونلوك الأحلام الوردية ، نقرأ ونؤلف كتبا يأنف منها العقلاء ، يهزنا صوت الدف والطنبور والمزمار ، ولا تهزنا بسمة طفل . .

القاضى : ذلك شىء سيىء حقا !

شهاب : أرأيت وسمعت يامولانا القاضى إلى أى حد هذا الزنديق الكافر يعبث بكل نظمنا ومقدساتنا ؟ يامولانا القاضى الدليل على كفره وزندقته أن كل أوراقه تبدأ بلماذا ولماذا ولماذا ، لم أر ورقة فى كل الكراسة تبدأ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالبسملة وحمد الله ، ولهذا اقترح عليك أن تصدر حكمك بحرقه حيا فى التنور . . . حتى يكون عبرة لأمثاله من الكفار والزنادقة .

القاضى : وهل قرأ مولانا السلطان هذه الأشعار ياشيخ شهاب ؟

شهاب : أنا الذى قرأت بعضها له بالطبع فمولانا السلطان كما تعلم . . .

القاضى : أعرف أعرف . . وماذا كان رأى السلطان رعاه الله ؟

شهاب : أطرق مولانا السلطان قليلا وقد أطل الحزن من عينيه الكريمتين ، ثم فجأة هاج وماج حتى ظننت أنه سيأمر بالإطاحة برأسى ولكن الله سلم إذ أمر بأن تغلق من غد كل كتاتيب الأطفال وأن تلغى حلقات الدرس من كل مساجدنا

القاضى : لماذا ياشيخ شهاب ؟

شهاب : يقول السلطان ، هو ذا ، ما دام تعليم العامة لا يصنع شيئا إلا تخريج الشعراء وأصحاب الهذر الفارغ والثرثرة الجوفاء .

عبد الله : يبدو أن السلطان رعاه الله لا يفرق بين الشِّعْر وبين الشِّعْر .

شهاب : ماذا تقول ياكافر ؟

عبد الله : كنت أدعو للسلطان بطول العمر .

القاضى : شكرا لك ياشيخ شهاب .

شهاب : أنا دوما فى خدمة مولانا القاضى وآمر الشرطة وكبير البصاصين ومولانا السلطان حفظه الله وأبقاه .

(يخرج)

القاضى : ياعبد الله .

عبد الله : نعم .

القاضى : قل لى ، لماذا كنت هناك ؟

عبد الله : أين ؟

القاضى : بجوار السور البحرى لقصر السلطان . ؟

عبد الله : (لايرد)

القاضى : أجب ، لماذا كنت هناك ؟

عبد الله : زوجى حامل .

القاضى : لا تدفعنى إلى الجنون دفعا ! بالله عليك ما دخل القصر بزوجك الحامل ؟

عبد الله : فى الصبح قالت لى زوجى ، يارجلى ، قد ألِدُ اليوم أو الغد ، فلم أفهم ماذا تعنى ، لكن عجوزا بالدار فهمت مقصد زوجى فقالت لى ياولدى زوجك يلزمها سكر ودجاج وعسل أسود . فلبست ثيابى وحملت الخرج وسيف الجد وكتاب الإمتاع وكراسة أشعارى ودراهم كانت بالدار لمواجهة الحدث الطارىء وخرجت إلى السوق .

القاضى : ياعبد الله ، ياعبد الله ما دخل كل هذا ووجودك بجوار القصر ؟

عبد الله : ذهبت إلى مخازن مولانا السلطان ، فوجدت الناس صفوفا متراصة تحجب عين الشمس ، ورغم الشمس المحرقة ورغم الحر وقفت مع الخلق ، مرت ساعات ، قرابة نصف نهار ، لكن لم يتحرك أحد قيد أنملة للأمام طنت رأسى كخلية نحل ، وانغرست فى قدمىّ مسامير محمية ، وفجأة وبلا سابق إنذار غلقت الأبواب وبرز كبير الخزنة يسبقه كرشه ليصيح . . ياقوم نفد السكر والصابون ولا يوجد زيت فتعالوا فى يوم آخر . . مخازن مولانا السلطان وعمال السلطان دوما فى خدمتكم .

القاضى : لعلك رحت إلى القصر إذن لتقدم شكوى ؟

عبد الله : لا ، لست بهذه الغفلة حتى أشغل وقت السلطان بأمر تافه كالسكر والزيت إذ ما قيمة رطل من سكر ودجاجة وسط مشاغل مولانا الجمة ؟

القاضى : ذهبت إذن لما هو أخطر ، لعلك رحت لتغتال السلطان طمعا فى الاستيلاء على العرش لتغرق أنت وأهلك فى السكر والزيت ولحم الضأن !

عبد الله : الحق أقول ، لم اكُن أعرف أصلا أن السور المتسامق هذا كالطود الشامخ هو سور السلطان ، المسألة وما فيها أنى سرت طويلا جدا والخيبة تأكلنى ، إذ كيف أعود إلى البيت بخرج خاو ، وبينما أنا سائر وجدت السور والظل ظليلا ممدودا ، والنسمة بجوار السور تعطرها رائحة الفل . والأغرب من هذا كله أنى ـ ولأول مرة ـ أجد مكانا بالشارع أنظف من صحن المسجد ، فجلست لأرتاح قليلا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما هى إلا برهة حتى غلبنى النوم فنمت ، ولم أشعر الا والجند تطوقنى . .

القاضى : أهذا كل ما عندك ياعبد الله من دفاع عن نفسك ؟

عبد الله : نعم يامولانا القاضى .

القاضى : أما تودّ إضافة أى شىء آخر ؟

عبد الله : لا يامولانا القاضى .

القاضى : حسن ، خذوه إلى السجن . .

المعاون : والحكم يامولاناالقاضى .

القاضى : معروف سلفا ، الشنق على باب زويلة .

عبد الله : لكنك تعلم أنى مظلوم يامولانا القاضى .

القاضى : ياعبد الله ، ماذا تظن العدل يكون ، الكل مظاليم ياولدى حتى القاضى . والآن دعنى ألحق بالمأدبة وبالسهرة قبل فوات الوقت !

(يخرج القاضى والمعاون)

(إظلام)

(إضاءة مركزة على عبد الله فى الوسط مكبلا ، تسمع حوله همهمة جماهير ونشيج أنثوى مكتوم وصيحات غضب دون ظهور لأحد)

عبد الله : معذرة ياولدى ، يامن لم أره ، فاليد المكبلة بالأغلال لا تكتب الرسائل ولكنى أعرف أن الاحرف والكلمات ، مادونته بكراستى وما لم أدونه ستصلك ، ياولدى ، لقد عشت فى زمن الخوف ، وها أنذا أتهيأ للموت فى زمن الصمت ، ياولدى ، أعرف أنك ستشب هناك فى كفر الشرفاء ، تقرأ كتب الأسلاف وتحمل سيف الجد ، وتقول الأشعار فإياك إياك أن تخشى بطش السلطة أو تخشى جبروت السلطان .

ياولدى أعرف أنك ستشب فتياً فى زمن يتداعى فيه عالم الجبابرة الطغاة العتاه ، فكن سيد نفسك ، واخلع ثوب السلبية والجبن ، وتحرر من العبد الذى يسكن بداخلك ، كى يصفو وقتك ويطيب زمانك .

ياولدى ترنّم بأناشيد الحرية وازرع أرضك بالبركة والحب تكن حقا ولدى

(الجلاد ومساعده ، يضعان الحبل حول رقبته تتزايد همهمة الجماهير الغاضبة)

(اظلام)

(٤)

(عودة إلى الموقع ـ عبد الله ممدا على سريره وبالقرب منه صابر)

صابر : الحمد لله على سلامتك ياعبد الله !

عبد الله : ماذا جرى ؟ وأين أنا ؟

صابر : أنت فى جحرك كالعادة .

عبد الله : وباب زويله ؟

صابر : أخذتك الحمّى بين أنيابها أياما لم ننم خلالها لحظة .

عبد الله : كانت الشياطين حول فراشى تتواثب

صابر : أخذتك حمأة الهذيان قلت كلاما كثيرا عن سيف وكتاب وكراسة أشعار . .

عبد الله : لكن الحراسة ؟ . والعاشرة مساء . . ؟

صابر : الحمد لله عدت فى الوقت المناسب لأجدك طريح الفراش وحرارتك مرتفعة

عبد الله : وما هذه الورود والهدايا . .

صابر : هى من زملاء الموقع إذ عرفوا فحوى البرقية . .

عبد الله : أية برقية . ؟

صابر : (يناوله مظروفا) سعاد وضعت مولوداً أسمته عبد الله . .

عبد الله : الحمد لله . . رأيته فى الحلم بهىّ السمات حلو القسمات . .

صابر : وغدا تراه . . لقد أمر القائد لك بإجازة سبعة أيام . .

عبد الله : شكرا له . .

صابر : وبعد الاجازة ستنضم الينا فى تدريبات عبور الموانع المائية . . يبدو أن يوم المعركة على الأبواب .

عبد الله : ليته يكون غدا . . إنى أهيىء نفسى ليوم المعركة متمنيا النصر أو الشهادة ياصابر . .

(متمتما) ترنم ياولدى بأناشيد الحرية وازرع أرضك بالبركة والحب تكن ولدى حقا . .

صابر : ماذا تقول . .

عبد الله : أردد بعضا من هذيان أزمنة الخوف وأزمنة الصمت . .

(ستـــار)

الاسكندرية : أنور جعفر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com